الفينيقيون والألعاب الأولمبية

د. قاسم الشوّاف

الفينيقيون والألعاب الأولمبية

دور مدينة عمريت الفينيقية
في نقل ممارسة المباريات الرياضية إلى اليونان

♦ **القشقشون والألعاب الأولمبية.**

دور مدينة عمريت القشقشة في نقل ممارسة المباريات الرياضية إلى اليونان.

- **تأليف: د. قاسم الشوّاف.**
- **الطبعة الأولى: 2011.**
- **عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.**
- **الترقيم الدولي: ISBN: 978-9933-18-682-1**

جميع الحقوق محفوظة لدار مؤسسة رسلان

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار علاء الدين
للنشر والطباعة والتوزيع
سوريا ـ دمشق ـ جرمانا
هاتف: 00963 11 5617071
فاكس: 00963 11 5613241
ص. ب: 30598
daraladdinsyria@gmail.com

دار مؤسسة رسلان
للطباعة والنشر والتوزيع
سوريا ـ دمشق ـ جرمانا
هاتف: 00963 11 5627060
00963 11 5637060
فاكس: 00963 11 5632860
ص. ب: 259 جرمانا
darrislansyria@gmail.com

وفـــاءً لذكرى

السيدة زويـــا ميخائيلينكو

إلى

مجموعة الشبان والشابات المتطوعين والمتطوعات لإنقاذ موقع (عمريت) الأثري، وهم الجيل الجديد الذي أخذ على عاتقه حماية (عمريت) من مطامع الاستثمارات المادية، مطلقاً نداءَهُ إلى المسؤولين لإنقاذها .

وإلى

المسؤول الذي تقديراً منه لأهمية حضارتنا القديمة سمع هذا النداء، فكان إنقاذ (عمريت) .

إلى

المسؤول الذي تدخل للإنقاذ، وإلى الشباب المتطوعين، أهدي هذا الكتاب.

توضيح و شكر

التوضيح:

نشر الفينيقيون حضارتهم في حوض المتوسط، وكان لهم دورهم في نقل بلاد اليونان إلى مرحلة حضارية أمكنها المفاخرة بها معرفةً وفلسفةً وعلوماً، ورثها عنها الغرب، ونشأ على مرتكزاتها متناسياً جذورها، حتى إن معظم مؤرخي الغرب المعاصرين ذهبوا إلى أبعد من ذلك حين أنكروا وشوهوا، وجعلوا من الفينيقيين أفراداً مجردين من الصفات الإنسانية، ومارسوا في تجارتهم الاحتيال والقرصنة، لذلك كان لا بدَّ من توضيح أسباب هذا التشويه ضمن هذه الدراسة، التي لا بدَّ من تعدّيها لمتابعة دراسات أخرى مكملة، بغية إنصاف فينيقيي المتوسط، ورد الاعتبار إليهم ولدورهم الحضاري.

أمَّا الشكر:

فهو موجه إلى الصديق الدكتور محمد عبد الرزاق الترجمان، الذي بذل جهوداً متواصلة لتسهيل تنفيذ هذه الدراسة، مقدماً العديد من المراجع الأساسية اللازمة لذلك، وكل ما يساعد لإخراجها وإعطائها شكلها النهائي. يساعده في هذه المهمة النبيلة المحامي هشام عبد الرزاق، وهو أحد الشباب المتطوعين لإنقاذ (عمريت)، وله أيضاً كلّ الشكر والتقدير.

استهلال
عن كتابة تاريخ بلاد اليونان بين القديم والحديث

عَرفت كتابة التاريخ في بلاد اليونان حقبتين قديمتين وحقبة حديثة. الحقبة القديمة الأولى شملت عالم الأسطورة: وهو شكل من كتابة التاريخ لا بدّ لنا من محاولة التحقق مما تشتمل عليه من معلومات تاريخية ولو جزئية؛ وأمَّا المرحلة القديمة الثانية، فهي ما أنتجه المؤرخون والكتَّاب القدماء، وما وصلنا منها بعد انتشار الكتابة.

ومن نكد الدنيا القول إن الحقبة التي أطلقنا عليها تسمية الحديثة، أي ما تمَّ محاولة كتابته اعتباراً من بداية القرن الثامن عشر الميلادي كان نسبياً، المقصود أنه أقل موضوعية مما كانت عليه محاولة كتابة التاريخ نفسه من قبل المؤرخين القدماء، اعتباراً من القرن السادس قبل الميلاد. على الرغم من المآخذ التي يمكن إبرازها عن تلك المحاولة.

وإذا ما أردنا بواسطة كلمات قليلة التعبير عمّا يمكن أن يميز المدّتين التاريخيتين المشار إليهما، يمكن تبني الأفكار التالية:

- المرحلة القديمة الثانية: كانت القريبة إلى جمع المعلومات من قبل المؤرخين، بالاعتماد على شهادات شفهية تداولتها "التقاليد"، ومنها ما امتزج بالأسطورة، التي لم تكن تخلو من الخلفية التاريخية، وهي التي تعترف ببساطة بحقائق وعلاقات تناولتها الروايات الشعبية الشفهية، وكررتها مراراً، وكتبها القدماء كما سمعوها.
- أمَّا المرحلة الحديثة التي بوشر بها عبر القرن الثامن عشر واستمرت إلى القرن العشرين، فهي أكثر تعقيداً وصعوبةً، لأنها صدرت في معظم الأحيان عن عقلية لم تكن الموضوعية هدفها، وأرادت أن تكتب تاريخاً أقل ما يقال عنه إنه أراد تزوير الحقائق، وفرض اتجاهات يسيطر عليها التعصب العرقي، وازدراء الآخرين المصنفين في مستويات دنيا، وإنكار الحقائق التاريخية. والأخطر من ذلك هو فرض النظريات التي يدافعون عنها، والتي يريدون ترسيخها في عقول الأجيال الجديدة، وذلك ما تمَّ فعلاً عبر التعليم والنشر، مما يمكن تسميته بدكتاتورية فكرية، هي أبعد ما تكون عن العقلية العلمية المجردة. وليس من المغالاة بمكان استعمالنا تعبير دكتاتورية، على اعتبار أن مخالفي النظريات المروَّج

لها تتم مهاجمتهم بضراوة، وتُقلص أمامهم فرص نشر آرائهم، ولا تمنح لهم منابر جامعية لعرض آرائهم، وتعليم محتواها.

ومن حسن الحظ أن مؤرخين وباحثين قلائل حاولوا في مناسبات عديدة - ضمن خضم عالم التغريض ذلك - عرض حقائق موضوعية تعارض ما أريد فرضه على المعرفة التاريخية، حتى إن أحد الباحثين، وهو الذي لن نهمل الإشارة إلى ما تضمنه مؤلفه من المعلومات التي تخدم عرضنا، من دون إغفال الإشارة إلى باحثين غيره. هذا الباحث نشر كتاباً في عام (1987م)، ضمّن عنوانه جملة تلخص وحدها ما أراده المؤلف، وهي:

"اختراع تاريخ اليونان القديم"

وهو العنوان الذي تبنيناه لعرض فصل خاص عن هذا الموضوع.

مقدمة عامة

1- الغاية من هذا الكتاب: محاولة التعرف إلى أي مدى عرف الكنعانيون (وهم فينيقيو المستقبل) المباريات الرياضية.

الغاية من هذا التساؤل هي: الإجابة عن سؤال له أهمية كبيرة، وهو: هل الفينيقيون الذين نقلوا الأبجدية إلى بلاد اليونان هم الذين في الوقت نفسه نقلوا إليها تقاليد الألعاب الأولمبية التي اشتهرت بها البلاد الإغريقية منذ نهاية القرن الثامن قبل الميلاد (776ق.م)، وتبنت تلك "التقاليد"، التي لا يزال عالم اليوم يحتفل بها دورياً كل أربع سنوات؟ وسوف نعود في مكان آخر إلى مناقشة التاريخ أعلاه.

ليس من السهل الإجابة عن مثل هذا السؤال، والذي يتطلب منا مراجعة ما ورد في حضارتنا القديمة للدفاع عن هذه الفكرة، مع الإشارة إلى أن الساحل الكنعاني لم يقدم لنا عبر ملاحمه البطولية وحفرياته الأثرية إلا معلومات قليلة ترأستها مملكة (أوغاريت)، مقدمة لنا حياة موثقة ضمن نصوص مكتوبة، تعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، حيث مارس سكانها عبادة الإله (إيل) رئيس مجمع الآلهة، وهو "أبو الآلهة والبشر" و "باني البنوت"؛ والإله الشاب (بعل) مُطلق الصاعقة والأمطار التي "تُخصب الأرض"، وهو الإله القريب من البشر؛ بينما (إيل) سيد الآلهة هو الإله البعيد مثل إله السماء (آنو) السومري/الأكادي.

أمَّا الإله القريب من البشر في بلاد الرافدين فهو (دوموزي) السومري، و (تموز) الأكادي.

2- قدمت لنا ملاحم أوغاريت أيضاً معركتي صراع: الأولى بين (بعل) و (يم) إله البحر، وبين (بعل) و (موت). وعلينا إذاً محاولة فهم أسباب هذا الصراع ومعناه.

ولما كانت حضارة الساحل الكنعاني على علم كامل بما قدمته حضارة ما بين النهرين من قصص الآلهة وصراعهم من أجل تنظيم الكون وإدارته، ومن ثمَّ الاهتمام ببلاد الرافدين، حيث نشأت تلك الحضارة التي لم تستورد من الخارج. تلك الحضارة التي قدمت لنا مجموعة كبيرة من الأساطير والملاحم التي سنتناولها

لمحاولة فهم واقتناص ما يخدم موضوعنا الأساسي الذي طرحناه في بداية هذه المقدمة.

3- أساطير وملاحم ما بين النهرين روت لنا مراحل عديدة من الصراعات، يمكن عرض عناوينها كما يلي:

- ✓ صراع الآلهة قبل التكوين والخليقة كما ورد في (الإينوما إيليش).
- ✓ مصارعة (جلجامش) و (إنكيدو)، والتي لم تنته بقتل أحد البطلين، بل بصداقتهما.
- ✓ صراع البطل (نينورتا) مع شعب الحجارة، وإخضاعه له، وصراعه كذلك مع الطائر الأسطوري (إنزو).
- ✓ صراع الإلهة (إنانا) مع الإيبيخ (زعيم الجبل) الذي رفض الخضوع، ومرغت في العفر لحيته.
- ✓ تحاشي الصراع بين الإلهة (عشتار) والند (صلتو) التي خلقها الإله (إيا) (وهو أنكي السومري)، لكي يؤثر فيها نفسياً كي تتخلى عن عدوانيتها. وقد نجح في ذلك.
- ✓ المصارعة الرياضية التي أقيمت في عيد المدينة، وساهم فيها البدوي (مارتو) بحضور إله المدينة.
- ✓ الخلاف بين الأخوين (إيميش) و (إينتين) بسبب تقدمتهما إلى الإله، وتحكيم الإله بينهما، وحكمته.
- ✓ وفي نوع من المنافسة بين طرفين يدافع كل طرف عن محاسن ما يعمله، أو ينتجه، أسميناه (أدب المنافسات)، وهي مدرسة شعبية تعليمية عرفتها بلاد الرافدين، أكثرها أهمية فيما يتعلق بموضوعنا: المنافسة بين الراعي والفلاح بغية كسب قلب الإلهة (إنانا) والزواج منها.

الصراعات المعددّة أنفاً، هي التي يجب علينا عرض بعضها باختصار ضمن الفصل الأول من هذا الكتاب، محاولين أن نستخلص منها ما يفيد موضوع بحثنا، مع الإشارة إلى أن حضارة ما بين النهرين، وانتشار ثقافتها على الساحل الكنعاني، أثبتته مكتشفات مملكة (أوغاريت)، حيث قدمت لنا:

- قصيدة العادل المعذب البابلية (أيوب المرويات التوراتية).
- قصيدة الأم المثالية.
- مجموعة أمثال وحكم باللغتين السومرية والأكادية.
- تعويذات لدرء خطر الشيطانة (لاماشو) البابلية.
- وصفات طبية.
- تدخل الإله (مردوك) البابلي لتسهيل الولادة.

4- إن استعراض النقاط السابقة، ولا سيما فيما يتعلق بمدلول الأسطورة، سوف يؤدي بنا إلى اعتبار الدور الأموري الصلة بين حضارة بلاد

الرافدين وما قدمته الحضارة الكنعانية. وحين نتوجه نحو الساحل الشرقي لحوض المتوسط يمكننا ذكر كتلتين حضاريتين شملتا بدءاً (بأوغاريت) وحتى (عسقلان)، هما (أمورو) و (كنعان)، وهي تسمية يمكن مقارنتها مع تسميات الكتل الحضارية الشرقية في بلاد الرافدين، وهي: (سومر)، و (أكاد)، و (آشور). وبالطبع لا يعني ذلك أن تلك الكتل الحضارية تُشكل حدوداً فيما بينها، وهي تمثل تسميات تعني المنطقة، وليس السكان الذين تفاعلوا فيما بينهم عبر آلاف السنين، وعرفوا تفاعلاً مع من أتاهم من الخارج كشعوب عديدة مهاجرة، أو غازية. ولا يجوز إذاً ارتكاب الخطأ الفادح الذي يَعتبر أن تلك المناطق تمثل وحدات إثنية (أمورية) في سوريا الساحلية، أو (فينيقية) في لبنان على سبيل المثال. وعلى هذا الأساس علينا إطلاع القارئ على ما تركته لنا مواقع عمريت، و أرواد، و سيميرا، و جبيل، و صيدا، و صور.

5- تأثر الساحل الكنعاني في الحقب التي سبقت غزو (الهيكسوس) (1750ق.م) وما تلاها، بالحضارة الفرعونية، حتى إن قسماً كبيراً من الساحل كان تحت النفوذ الفرعوني، كما أشارت إلى ذلك رسائل تل العمارنة أثناء حكمي (أمينوفيس) الثالث، و (أمينوفيس) الرابع (أخناتون)، أي بين عامي (1402-1347ق.م). واقتسمت مصر النفوذ مع المملكة الحثية بعد معركة قادش، وعقد الصلح بين المملكتين.

6- حمل الهيكسوس (معظمهم أموريين كما هو مرجح) آلهتهم إلى مصر. وحكموا فيها بين عامي (1730-1580ق.م). ومن المفيد التذكير بالنص الذي تركه رعمسيس الثاني على أحد مداخل معبد الأقصر حين يشبّه نفسه بالإله (بعل)، وينتصر على أعدائه في معركة قادش. كما إن الإلهة (عناة) دخلت كذلك مصر، كما كرمت فيها بعلة جبيل.

7- وإذا ما نقل الهيكسوس آلهتهم إلى مصر الفرعونية، فمن البديهي أن يحمل فينيقيو الساحل (الكنعانيون) آلهتهم إلى بلاد اليونان أثناء أسفارهم وعملياتهم التجارية في المراكز التي أقاموها على مختلف سواحل المتوسط، وهذا ما سيعود إليه البحث بالتفصيل.

8- إن مهمة التعرف على الأسطورة اليونانية التي تسرد قصص الآلهة، والأبطال الذين تغلبوا على الصعوبات، وأنقذوا البشر من الأخطار التي تتهددهم، أو بنوا مدناً باركتها الآلهة، وكانت لهم علاقات مع بلاد مجاورة مثل: (فينيقيا، وَ مصر، وَ ليبيا)؛ كل ذلك يجعلنا نحاول تفهم الأسس التاريخية التي في خلفية رواية الأسطورة، والأصعب من ذلك، محاولة التعرف على زمن تدبيجها ونشرها.

9- الأساطير اليونانية لم تصلنا، كما وصلتنا أساطير بلاد الرافدين، وأساطير أوغاريت على لوحات فخارية لم تعرف التحوير أو التطوير. ومعروفة هي التواريخ التي تم تأليفها أثناءها، أو إعادة نسخها عن لوحات أقدم منها. كل ذلك لم يتوافر للأسطورة اليونانية، التي وردت بشكل غير مباشر في روايات كتّاب ومؤرخين نشروا عنها بعد انتشار الكتابة في بلاد اليونان، أي بعد أن نُقِلت إليها الأبجدية الفينيقية.

تقول الأسطورة اليونانية: إن قدموس هو الذي نقل الأبجدية إلى بلاد اليونان، وذلك حين قدم إليها للتفتيش عن أخته (أوروبا) التي اختطفها الإله (زيوس) من على شواطئ كنعان.

كما تضيف الأسطورة بأن قدموس أسس مدينة طيبا (Thèbes) في منطقة بيوسيا (Béotie)، الواقعة مباشرة إلى الشمال الغربي من منطقة (الآتيك) (Attique)، حيث تقع (أتينا) العاصمة الحالية.

لم ينجح قدموس في إيجاد (أوروبا) شقيقته المخطوفة. وعلينا أن نتساءل عن الدور الذي قام به قدموس في بلاد اليونان، وفي مدينته (طيبا)، بالإضافة إلى موضوع الأبجدية.

الأسطورة اليونانية حددت (لقدموس)، بعد زواجه من (هرمونيا)، ذرّية تكاثرت لثلاثة أجيال. وكان (ديونيزوس) ابن الإله (زيوس) من ذرية قدموس، لأن سيد الآلهة (زيوس)، كما ذكر آنفاً، كان مفتوناً بجمال (أوروبا) شقيقة قدموس، حتى إنه عمد إلى حيلة، ونجح في اختطافها؛ كذلك فإن (زيوس) أعجب بجمال سيميلي (Sémelée) ابنة قدموس وأحبها، ولكن غيرة (هيرا) قرينة (زيوس) الرسمية تآمرت عليها، ونتج عن ذلك موتها، وأمَّا (زيوس) فقد أنقذ الجنين الذي كانت تحمله منه، وكانت فيما بعد ولادة (ديونيزوس). وعن قدموس ومدينة طيبا، يحق لنا محاولة معرفة أي دور أدته في نشر الحضارة في بلاد اليونان بعد قدموس، وعلاقاتها بالمدن الأخرى.

10- الفينيقيون وحوض المتوسط يوازيه موضوع الإغريق وخروجهم من جزرهم الضيقة، ومحاولتهم قبل التفكير بالتجارة التي برع فيها الفينيقيون إيجاد أراض زراعية خارج حدودهم، تعوّض لهم عن النقص في احتياجاتهم المعيشية.

وقبل الاهتمام بالرياضة، وبجمال أجساد شبانهم، كان على اليونانيين تأمين كفايتهم والتخلي عن حروبهم الداخلية الكثيرة بين مدنهم. ويمكن القول: إن

الرياضة والمباريات الأولمبية المفتوحة على مدن البلاد كافة، كانت العامل الوحيد الذي نمّ لديهم شخصية الانتماء إلى عالم يخصهم، والإيمان بوحدتهم. وقد ساعدت على ذلك أيضاً الحروب (الميدية) التي أطلقتها الإمبراطورية الأخمينية ضدهم، والتي وحدتهم في دفاعهم عن بلادهم.

لذلك فإن التعرف على المراحل التاريخية التي عاشتها بلاد اليونان، وتطورها، وعلاقاتها مع البلاد التي جاورتها، ولا سيما الفينيقية، هو من الموضوعات التي تهم هذا البحث.

مدخل
الفينيقيـــــــــون و بـــلاد اليونـــــــان و الألعـــــاب الأولمبيـــــــــة

- يثبـت هـذا الكتـاب أن رياضـية المصـارعة وسـباق المركبـات عرفتهـا حضارتنا القديمة، وأكدتها نصوص وصلت إلينا.
- كانت المباريات الرياضية متأصلة في عقلية الفينيقيين الذين تمركزوا فـي بلاد اليونان، ناقلين إليها معرفة وحضارة.
- تعترف الأسطورة اليونانيـة بالعطـاء الفينيقـي لهـا، وكذلك المؤرخـون القدماء.
- المؤرخون الغربيون المعاصرون أنكروا تلك الحقائق، وابتدعوا لبلاد اليونـان تاريخـاً بنـوه علـى العنصـرية والتعصـب العرقـي، وكـره الفينيقيين.
- يهدف هذا الكتاب إلى إنصاف حضارة الفينيقيين وإبراز دورها الحقيقي، كما يحاول الإجابة عن سؤال لا تنقصه الأهمية، وهو: هل أدّت ممارسة الفينيقيين المباراة الرياضية في منطقة (أولمبي) اليونانية إلى الألعاب الأولمبية ثم العالمية؟
- الملعب المنسي في (عمريت) - المدينة القديمة على الساحل السوري مقابل جزيرة أرواد - وتطابق أبعاده مع أبعاد الملعب الأولمبي في اليونان، هو الموضوع الذي يتعرض له هذا الكتاب في محاولته الإجابة عن السؤال المطروح.

- يقدم هذا الكتاب رحلة تاريخية موثقة عبر حضارتنا القديمة، فيما يتعلق بالتأثير الحضاري الفينيقي في بلاد اليونان. كما يناقش عدداً من الآراء، التي فرضها المؤرخون الغربيون في مجال اختراعهم لبلاد اليونان، والذين عدّوها تاريخاً قديماً مبنياً على إنكار الحقائق التاريخية.

المباريات الرياضية المتنوعة
التي عرفتها حضارتنا القديمة

1-1- العصر البطولي:

1-1 (أ) *الآلهة تشارك البشر حياتهم*:

عرفت الحضارات القديمة، ومنها حضارتنا في بلاد الرافدين، وعلى الساحل الكنعاني/ الفينيقي عصراً بطولياً، كانت الآلهة فيه تعيش مع البشر وتتدخل في شؤون الممالك وشؤون أبطالها، الذين تمَّ تأليههم، مثال (دوموزي) الملك، و (جلجامش) ملك أوروك، ومعروفة هي ملحمته.

وعلى الساحل الكنعاني كان (دانل) الحكيم، الذي ضُرب المثل بحكمته، وابنه (أقهت) كان صاحب القوس السحرية، التي كانت هدية الصانع الماهر لدى الآلهة (كاثر و حسيس) أهدياها له عند ولادته؛ إذ إن الإله بعل اقترب من دانل، الذي كان يبتهل (لإيل) لكي يرزقه ذرّية، وتشفع به لدى الإله (إيل)، فكانت ولادة أقهت. أمَّا (كيريت) ملك العصر البطولي، هو أيضاً بعد أن فقد عائلته، ابتهل أمام الإله (إيل)، وانهمرت دموعه وهو يبتهل، فاقترب منه إيل سائلاً:

"ما بـ (كيريت) كي يبكي؟
ما بغلام (إيل) اللطيف يدمع؟"

ولكن كيريت يجيب (إيل) إن ما يرغب به هو أن يُرزق ذُرّية، عند ذلك تمّ توجيهه إلى طلب يد الفتاة الجميلة حورية ابنة ملك (أودوم)، وهو على رأس جيشه محاصراً المدينة.

يحاصر كيريت مملكة (أودوم) بعد أن يتوقف في (صور). وأمام سيدة صور الإلهة (أثيرة) وأيلة صيدون ينذر لها وزن (حورية) ذهباً وفضةً إذا ما تزوج من حورية [.....]. يتم ذلك وتمنحه حورية ذرّية مؤلفة من سبعة بنين وثمان وثمانين من البنات، وذلك بعد إقامة الأفراح بحضور الآلهة. ويتابع كيريت ممارسة ملكه ناسياً نذره. وبعد سبع سنوات تحضر الإلهة (أثيرة صور) إلى قصر (كيريت) وترفع صوتها قائلة:

"أترى نسي كيريت نذره؟
أم بدل نذره [.....]؟"
يمرض كيريت بسبب ذلك.....، ولكن إيل يتدخل لشفائه.

هكذا نرى كيف كان العصر البطولي في ساحل كنعان، مع الإشارة إلى أن النصَّين عثر عليهما من بين ملاحم (أوغاريت)، ومملكة دانل الواقعة في الهرمل (البقاع)، ومملكة (أودوم) في شرقي الأردن الحالي. وهكذا نرى كيف كانت الآلهة تشارك البشر همومهم، وتتدخل إذا ما لزم الأمر.

1-1 (ب) *العصر البطولي ولقاء بطلين*:

بالإضافة إلى تدخل الآلهة ومشاركتها للبشر، فإن ما كان يميز العصر البطولي، وكانت له أهمية كبرى، كان يرتبط بأصول الحرب.

عندما كان يقع خلاف بين مملكتين متجاورتين، سواء أكان ذلك بسبب استثمار أرض زراعية حدودية، أو للتمون من مأخذ صلصال مشترك بين المملكتين. وحين كانت تُعلَن الحرب، ويتم تبادل التهديدات فيما بينهما، وذلك ضمن حرب الأعصاب، ولم تكن الحرب آنذاك تؤدي إلى لقاء جيشين، بل كانت الحرب تُقرَّر نتائجها بلقاء بطلين، بطل من كل جهة يتقابلان ويتجابهان. والجدير بالذكر أن الحرب آنذاك لم تكن تدميرية. إلا أن ذلك حدث حين دخل العالم القديم في حروب التوسع وبناء الإمبراطوريات، وهذا ما تلجأ إليه حروب عالم اليوم.

وفي العصر البطولي، كانت مملكة تحاصر مدينة مملكة أخرى بقصد اعترافها بالخضوع لها، وهذا ما حدث حين حُوصرت (أوروك) مملكة (جلجامش)، وفُكَّ عنها الحصار بمجرد ظهور (جلجامش) على سور مدينته، كما إنه حين تمّ أسر عدو مملكة (أوروك)، واعترافه بخضوعه، أطلق (جلجامش) أسره، وعاد إلى مملكته... تلك كانت أخلاقيات العصر البطولي. كما كانت كذلك تحدث خلافات من أجل شرف الحصول على تمثال الإلهة (إنانا) للاحتفال بعيد رأس السنة، والزواج المقدس. وقد حدث ذلك فعلاً بين مملكة (آراتا) على الهضبة الإيرانية، ومملكة (أوروك)، والمملكتان كانتا تتعبدان للإلهة (إنانا).

1-2- الملاحم والأساطير التأسيسية:

وهي الملاحم والأساطير التي روت لنا صراع الآلهة من أجل الانتصار على الفوضى. تلي ذلك عملية تكوين وتنظيم الكون، وهذا ما تمّ في قصيدة

التكوين والخلق البابلية، وبطلها الإله (مردوك) الذي توِّج عمله التكويني، بخلق البشر، وقد أُقيمت (بابل) من قبل الآلهة تكريماً له، واعترافاً بفضله، وتمّ تنصيبه على رأس جميع الآلهة.

وقصيدة ملحمية أخرى عرفتها بلاد الرافدين، تروي لنا صراع البطل (نينورتا) ابن الإله (إنليل) مع "شعب الحجارة"، وإخماد ثورة الجبل، وكأنّ انتصار (نينورتا) كان يعني إطلاعنا على حق استخراج مختلف أنواع الصخور من مقالعها في الجبل. ويقدم لنا تصنيفاً لمختلف أنواعها في قساوتها أو طراوتها، ونبل استعمال بعضها (الأحجار الكريمة). ومعركة الصراع تلك كانت رمزية، وكان البشري الوحيد من بين أشخاصها هو (نينورتا)، وهكذا أيضاً كان صراعه مع الطائر الأسطوري (أنزو)، الذي تمكّن من الاستيلاء على "لوحة الأقدار"، التي كان يملكها الإله (إنليل) سيّد مجمع الآلهة، والهروب بها إلى الجبل. و "لوحة الأقدار" هي التي كانت تمنح (إنليل) القدرة على إدارة الكون، ولذا أصبح الكون في خطر، حين انتقلت تلك القدرة إلى الطائر الأسطوري (أنزو). من أجل ذلك كان على البطل (نينورتا) إنقاذ الموقف، واستعادة "لوحة الأقدار" بعد قضائه على الطائر (أنزو). وهنا أيضاً، من المحتمل أن يرمز ذلك الصراع إلى إزالة التهديد الذي كانت تمثله الجبال الشرقية المحيطة ببلاد الرافدين. وقد شهد تاريخ المنطقة نزول قبائل جبلية احتلت بابل وكانت (كاشية)، كما سقطت بابل عام (539ق.م) على يد (كورش) الفارسي.

أمَّا ملاحم مملكة (أوغاريت) الكنعانية، فقد قدمت لنا أخبار صراعين كان الإله بعل بطلهما. وقد تم الصراع الأول بين (بعل) إله العواصف والأمطار والإله (يم) إله البحر. وكان الصراع الثاني بين (بعل) إله الخصب وبين (موت) إله الجفاف.

2-1 (أ) *الصراع بين بعل وَ يم*:

يصف النص الأوغاريتي معركة الصراع بين (بعل) و (يم)، وكأنها مصارعة بين بطلين بشريين، وتُعدّنا لضراوة اللقاء، حين تصف البطلين بتعبير:

"قوي هو (بعل) وقوي هو (يم)"

وأنهما يتصادمان كثورين هائجين. يزوّد بعد ذلك حدّاد الإله (كاثر) وهو (حسيس) الإله بعل بكتلة سلاح من صنعه، كانت "تتراقص بيده كالنسر بين أصابعه"، بها ينتصر (بعل) على إله البحر (يم). وبذلك فإن بعل ذاته إله العواصف والأمطار يقوم بنفسه بإهماد البحر، لكي تعود سفن الصيد إلى نشاطاتها، ولكي تبتعد السفن التجارية الكنعانية دون خطر عن موانئها. وفي

الأوقات الحرجة بالنسبة للملاحة في مواسم هيجان (يم)، كانت السفينة التي تدخل مرفأ أوغاريت (مينة البيضا) بسلام تقدّم الشكر للإله بعل بتقديم مرساتها إلى معبد الإله. وقد عُثر في المعبد على عدد من الأحجار المثقوبة التي كانت تستعمل كمراسٍ آنذاك.

في الوقت نفسه الذي ينتصر فيه الإله (بعل) على (يم)، فإنه ينتصر كذلك على القاضي (نهر)، إذ يضع حدّاً لفيضانه واكتساحه الأراضي الزراعية.
وليس أبلغ من نص الصراع الذي تضمنته الملحمة الأوغاريتية التي تقدم تفاصيل اللقاء، كذلك نقدم منها بعض المقتطفات.

حين قدِم رُسل (يم) يطالبون الإله (إيل) بتسليم (بعل)، الذي يحميه، وكأن (إيل) يوافق على ذلك واعداً:

"(بعل) سيصبح عبدك يا (يم)
(بعل) سيصبح عبدك يا (نهر)
ابن (دجن) هو سجينك
فليحمل إليك بنفسه الجزية
مثل الآلهة [...]

لكن الأمير (بعل) يرتجف غضباً، ويحاول الاعتداء على رُسل (يم)، مخالفاً بذلك التقاليد. وكأنّ بعل أصبح سجيناً، ويريد الانتقام، يشجعه (كاثر - حسيس) حدّاد الآلهة، ويصنع له سلاحين هراوتين:

الأولى (يجرش): تطرد (يم) عن عرشه و (نهر) عن سيطرته.

الثانية: (أيمر): تجعل (يم) يبتعد عن عرشه و (نهر) عن سيطرته.

ثمّ يحرض حداد الآلهة الأمير (بعل) للقاء خصمه، كما يصف النص المعركة بشكل حيّ وديناميكي كما يلي:

الهراوة (يجرش) تنطلق من يد (بعل)
كالنسر بين أصابعه
تضرب الأمير (يم) على الكتف

القاضي[1] على الصدر
لكن (يم) يبقى قوياً لا ينهار
لا توهن مفاصله، لا يكفهر وجهه
بعل يستعمل سلاحه الثاني: الهراوة (أيمر):
(أيمر) تنطلق من يد بعل
كالنسر بين أصابعه [...]
القاضي (نهر) على الجبين
(يم) ينهار، توهن مفاصله.
يكفهر وجهه، (بعل) يجرّ (يم)
ويقطّع أوصاله - ينهي على القاضي (نهر)

1-2 (ب) *الصراع بين بعل وَ موتَ*:

في هذه المعركة، ليس (بعل) هو المنتصر، بلْ بطوع إرادته يقدِّم نفسه لإله الموت معلناً: "أنا عبدك يا موت"، وينزل إلى باطن الأرض.

وعلى هذا الأساس يمثل موت (بعل) موت الطبيعة، وحين يبعث (بعل) من جديد مع خضرة الربيع، تعود الطبيعة إلى خصبها وعطائها، الذي رمزت إليه تضحية بعل، وقبول الموت من أجل ضمان حياة البشر في بعثه السنوي، واستمرار الخصب. وسوف نقدم مقتطفاً عن هذا النص في الفصل السادس.

1-3- مصارعات في بلاد الرافدين:

١- يلقب النهر (بالقاضي)، على اعتبار أن العادة القديمة كما في بلاد الرافدين أيضاً، كان يتم الاحتكام إليه برمي المتهم فيه لإثبات براءته حين ينجو، أو جريمته.

نعود إلى موضوع الرياضة في حضارتنا القديمة، ونذكّر بمطلع ملحمة (جلجامش) الذي يصف البطل جلجامش بالشاب ذي العنفوان والقوة، والذي يتصارع مع شبان مملكته، ويتغلب عليهم في كل مرة. وكان بالإضافة إلى ذلك: "لا يترك فتاة لأبيها"، أي إنه كان يفرض عند كل زواج أن يكون هو الذي يفض بكارة العروس الجديدة قبل دخولها بيت الزوجية. وتلك العادة عرفتها أيضاً القرون الوسطى الأوروبية مع النبلاء الذين كانوا يزاولون ذلك الحق.

لكن أهالي (أوروك) احتجوا أمام الآلهة على تسلّط جلجامش. وهذه هي الإلهة - الأم السومرية (أرورو) تستجيب لابتهالاتهم، فتأخذ "قرصة" صلصال وترميها في السهوب، وتخلق بذلك (إنكيدو) الرجل المتوحش الذي كان يعيش في السهوب بعيداً عن الحضارة، و "يرتاد مع قطيع الغزلان موارد الماء"، "ويعطل الأفخاخ" التي كان يعدُّها الصيادون الذين بدورهم قرروا وضع حد لذلك، فأُرْسِلت غانية من المعبد تمكنت من تدريب (إنكيدو) على ممارسة "فن المرأة"، وتفتَّح ذهنه واقترب من طبيعة البشر، وأكملت الغانية إعداده للبطولة، فمسحت بالزيت جسده، وكست جسمه، كما جعلته كسائر البشر يأكل الخبز، ويشرب الجعة، ثمّ أمسكت بيده وأخذته إلى المدينة للقاء جلجامش.

وحينما ثنى جلجامش ركبته وقدمه ثابتة في الأرض ليرفع إنكيدو، هدأت ثورة غضبه واستدار ليمضي..... وبعد أن هدأ غضبه كلَّمه إنكيدو قائلاً: أنت الرجل الأوحد، أنت الذي حملتك أمك. ولدتك أمك ننسون، البقرة الوحشية. ورفع إنليل رأسك عالياً على الناس، وقدر إليك الملوكية على البشر.

تمثال نحاسي (سومر). النصف

3-1 (أ) *المصارعة بين إنكيدو وَ جلجامش*:

وصل (إنكيدو) إلى المدينة، وكانت مناسبة وصوله توافق عرساً في مدينة (أوروك)، وحين أراد الملك جلجامش التدخل سدَّ (إنكيدو) عليه طريقه، واصطدما في مصارعة جمعت بطلين فائقي القدرة، وأعجب كل منهما ببطولة الآخر، وانتهت المصارعة بصداقتهما. تلك كانت أقدم مصارعة عرفتها حضارة ما بين النهرين، لكنها لم تكن الوحيدة. ولا بدَّ من الإشارة إلى أن (إنكيدو) خُلق ليكون نداً

لجلجامش، كي يثبت أمامه أنه لم يكن الوحيد ليستبد بشباب مملكته، وأن بطولته أو بطولتهما يجب أن تخدم البشر بتحقيق أعمال مجيدة تجعل لهما اسماً. وهكذا تابع البطلان مغامرتهما حتى موت إنكيدو، وبعد تغلبهما على حارس غابة الأرز.

بالإضافة لما أشارت بداية الفقرة أعلاه إلى أن (جلجامش) كان يتحدى شبان مملكته ليتصارع معهم، وليكون هو المنتصر دوماً، لذلك وصل (إنكيدو) إلى مدينة جلجامش. ونحن نعلم أن (إنكيدو) قد أعدته غانية المعبد لهذا اللقاء، وأتت به إلى المدينة لهذه الغاية.

هكذا تصف الملحمة لقاء البطلين:

"وقوفاً في الساحة الكبرى
من (أوروك) ذات الخطائر
كان (إنكيدو) يُظهر التحدي
سد الطريق أمام (جلجامش)
(.....)
وكما (كان ذلك يتم) من أجل إله
زوّد (جلجامش) بوشاح الاحتفالات[1]
لكن (إنكيدو) سدَّ برجله مدخل بيت العرس
حائلاً دون ولوج (جلجامش) إليه
لذلك وأمام هذا الباب تماسكا
وتصارعا في عرض الساحة
في ساحة البلد الكبرى.
تصارعا بعنف وبشكل
جعل القوائم تتزعزع
والجدران تتقلقل. (.....)

- جلجامش هو البطل السومري، الذي تابعت سيرته النصوص البابلية القديمة قرابة (1700ق.م)، وتبنته المرحلة الآشورية في نينوى، حيث أقام (أشوربانيبال) (668-627ق.م) مكتبته الشهيرة، التي احتوت على ما عرف بنسخة نينوى.

وجلجامش في نص نينوى هو البطل الذي كان وراء شخصية (هيراكلس) اليونان في أعماله البطولية، إلا أن (جلجامش) تميزت ملحمته بما هو أبعد من

١- يعني ذلك أن (جلجامش) أعد نفسه للتقدم من فراش العرس، على اعتبار أنه أعطى لنفسه الحق "بالدخلة الأولى"، يتضح ذلك من نص نسخة (فيلادلفيا) البابلية القديمة، التي تعود إلى قرابة (1700ق.م).

أعمال هيراكلس، أو ما حققه (ملكارت) الفينيقي الذي كان إله الشفاء، بالإضافة لكونه إله البطولة. كما تميزت ملحمة جلجامش ببعدها الفلسفي، الذي تلا موت (إنكيدو) صديق جلجامش، ورفيق مغامراته في رد فعله أمام الموت (مصير البشر)، وسعيه وراء معرفة سر الحياة الأبدية، وقيامه بأسفار بعيدة تفوق قدرة البشر، وذلك للقاء من منحته الآلهة الحياة الأبدية، بعد أن أنقذ البشرية من الطوفان.

- عثر على نسخ من ملحمة جلجامش، أو على أجزاء منها، في مواقع عديدة غطت جناحي الهلال الخصيب. وقد قدّم الكتاب الرابع من مجموعة ديوان الأساطير[1] النص الكامل لملحمة جلجامش، التي عرفت أيضاً نسخة حثية، ونسخة حورية. وبالطبع فإن شاطئ آسيا الصغرى حيث طروادة، كان العالم الإيجي يشكل حدوده الشرقية.

وإذا كانت قصة (أحيقار) حكيم بلاط نينوى قد انتشرت في جميع أنحاء العالم القديم، وتُرجمت إلى العديد من اللغات الأوربية، ولا سيما الشرقية منها، فجدير بملحمة جلجامش أن تشق طريقها هي أيضاً إلى ذلك العالم. أمَّا الدراسة التي أشارت إليها الحاشية الأولى، فقد أورد المصدر المشار إليه ما يُثبت المرويات التوراتية على الملحمة، وتعرف عليها كذلك هوميروس، فقلدت الأولى رثاء (جلجامش) لصديقه (إنكيدو) عند موت (جوناتان) بن صموئيل في معركة مع الفلسطينيين.

وقلدت (الإلياذة) الحزن نفسه في البكاء على البطل (باتروكل)، صديق البطل (أخيليوس) في حرب طروادة. ومن السهل مقارنة نصوص الرثاء الثلاثة للتأكد من ذلك.

1-3 (ب) *مصارعات جماعية عرفتها بلاد الرافدين*:

في عيد المدينة بحضور إله المدينة:

إن أسطورة سومرية شيقة تروي زواج (مارتو)، وهو الإله البدوي، الذي كان يعيش ورفاقه على أطراف المدينة، ويكسب معيشته كعامل موسمي. و (مارتو) هي التسمية السومرية التي ترمز إلى بدو الشمال الغربي، وتسميتهم الأكادية هي (أمورو) بمعنى (الغرب)، وهم الذين كان حمورابي الشهير أحدهم، وهم الذين انتشروا على الساحل المتوسطي منذ نهاية الألف الثالث ق.م. واحتفظت منطقة (أمورو) التي كانت عاصمتها (سيميرا) أي صومور القديمة

١- تحت عنوان "الموت والبعث والحياة الأبدية"، قاسم الشواف، من منشورات دار الساقي، بيروت (2001م).

باسمهم. وقد تكون تسمية (عمريت) أو (أمريت) كذلك تعود إليهم. وليس من المستبعد أن يكونوا هم الذين نقلوا تقليد ممارسة الرياضة إلى عمريت.

- الأسطورة التي تروي قصة زواج (مارتو) هي نص سومري اللغة. روت قصته عن نص أقدم عبر الثلث الأول من الألف الثاني ق.م. والمدينة التي كان (مارتو) يعيش على هامشها اسمها (نيناب)، وإلهها كان (نوموشدا)، قرينته (نامرات)، وابنته المفضلة هي (إدنيكيدو). أمَّا (مارتو) فقد كان يعيش أعزب مع أمه، يحمل إليها يومياً الخبز، الذي كان يتلقاه نتيجة عمله. وحين كان يُوَزَّع الخبز على العمال بنهاية كدّهم، كان المتزوج يأخذ حصتين، والأعزب حصة واحدة، ولكن مارتو كان يتلقى حصتين، فروى الأمر لأمه مندهشاً، وخطر له أن يتزوج، فطلب من أمه أن تختار له عروساً، ولكن أمه رفضت الاهتمام بذلك، ووجهته ليختار بنفسه الزوجة التي يريدها بكامل حريته.
- في يوم من الأيام أقامت المدينة عيداً بحضور إله المدينة وزوجته وابنته. وبعد القيام بالطقس الديني في معبد المدينة، عقد الاجتماع في ساحة المعبد، وكان (مارتو) ورفاقه من الحاضرين. كان (مارتو) مندهشاً بكل ما رآه. وحين أُطلقت بمناسبة العيد المصارعات الجماعية، فإن (مارتو) رمى بنفسه بحماس في حلبة المصارعة، وتمكن من التغلب على عدد كبير من المشتركين الواحد بعد الآخر، فلفت نظر الجميع، وعند ذلك استدعاه إله المدينة، ولدى مثوله أمامه عرض عليه مكافأته بالذهب والفضة، ولكنه رفض ذلك، وأجاب الإله أنه يرغب بأن تكون مكافأته يد الجميلة (إدنيكيدو) التي هي بدورها أُعجبت ببطولة (مارتو)، وبارك إله المدينة ذلك الزواج، إلا أن صديقات العروس حين كانت في حجرها، كن يعيَّرنها لأنها وافقت على الزواج من رجل:

"يرتدي جلود الخرفان (.....)
يعيش تحت خيمة تلفها الأمطار والرياح
لا يقدم الأضاحي والقرابين
ينتقل في السهوب حاملاً سلاحه
حيث يستخرج الكمأة
إنه لا يعرف "إحناء ركبته"
ويأكل اللحم النيئ،
يقضي عمره دون منزل،
ولا يدفن وفق الطقوس عند موته!
كيف إذاً يمكنك يا صديقتي

الزواج من (مارتو)؟
ولكن (إدنيكيدو) تجيب صديقتها:
على الرغم من كل هذا سأتزوج من مارتو
ومرحى، مرحى لنيناب!"

يتضح من النص احتواءه على ما يشير إلى إمكان إعادة النص الأصلي بالنسبة لبعض التفاصيل إلى ما قبل نهاية الألف الثالث ق.م، كما إن هجرة الأموريين إلى الساحل الكنعاني، اعتبر حدوثها قرابة عام (2100ق.م).

3-1 (ج) *سباق المركبات وملحمة جلجامش*:

بعد أن قتل جلجامش حارس غابة الأرز، الذي كان يهابه الجميع. تروي الملحمة أن (جلجامش) غسل لبدة شعره، ووضع على جبينه عصابة جديدة، ورمى بخصال شعره على ظهره، وتخلّص من ثيابه المتسخة، وارتدى ألبسة نظيفة، ثمّ لفّ جسمه بعباءةٍ واسعةٍ، وثبتها على خصره بواسطة حزام.

ثم يتابع نص الأسطورة عرض المشهد التالي:

"عندما وضع (جلجامش) التاج على رأسه:
شُدِهت (عشتار) الأميرة بجماله[1]
"هيا (جلجامش) قالت له:
كن زوجي، امنحني ثمرتك
كن قريني وأنا أصبح زوجتك.
وعد (عشتار) لإغراء (جلجامش):
"سوف أعِدُّ لكَ عَرَبة من اللازورد والذهب
ذات دواليب من الذهب الخالص
ومماسك أعنتها من العنبر
تجرّها خيول أخدرية عالية ومتوثّبة. (...)
ما أنت! سوف يسجد أمامك
الملوك والأمراء والأسياد.
خيول مركباتك سوف تتفوق في المسابقات

١- حرفياً: رفعت (عشتار) عينيها إلى جماله، وهو تعبير جميل يدل على انجذاب (عشتار) نحو جمال (جلجامش).

آشوربانيبال على مركبة الاحتفالات

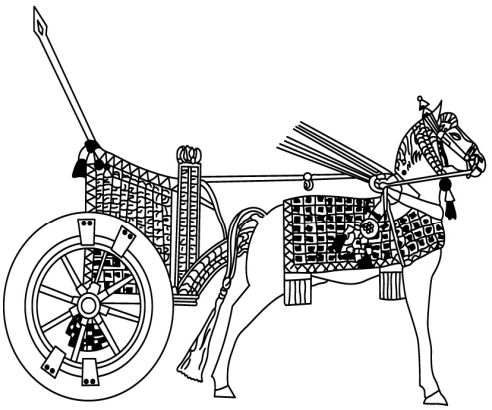

مركبة حربية آشورية

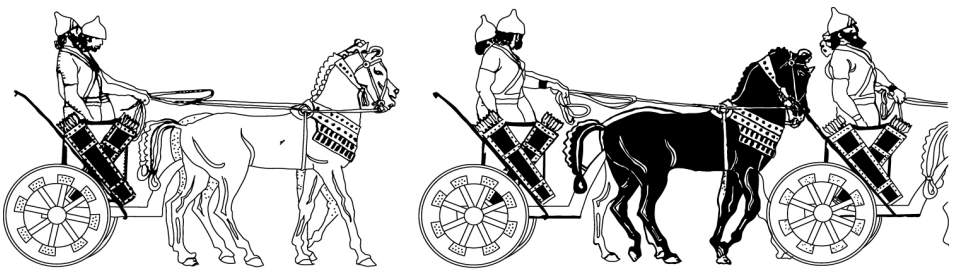

المركبات الحربية الآشورية

هكذا يمكن إضافة سباق المركبات إلى المصارعة، التي عرفتها بلاد الرافدين.

وليس من المستبعد أن تشتهر مركبات الآشوريين الحربية، وهم الذين بنوا إمبراطورية شاسعة اعتمدت على نظام عسكري متقدم ومتعدد التجهيزات، وعلى تجارة متفوقة أدت إلى ازدهار البلاد الخاضعة لهم؛ وأن يُعجب أعداؤهم بفرسانهم، ويرهبوا أدواتهم الحربية في الهجوم والحصار ودكّ الحصون. كما مارسوا رياضة صيد الحيوانات الوحشية، كالنمور والأسود، إثباتاً لشجاعتهم ورجولتهم.

3-1 (ر) *مصارعة وألعاب طقسية جنائزية في ملحمة نينورتا وشعب الحجارة*:

ورد انتصار الإله (نينورتا) بن (إنليل) على شعب الحجارة، وإخماده ثورة الجبل في نصٍ ملحميّ سومريّ تعود نسخه المتعددة إلى الثلث الأول من الألف الثاني قبل الميلاد (قرابة 1700ق.م).

يتألف النص من (729) سطراً، وهو موزَّع على ست عشرة لوحة تمَّ جمع محتواها من (200) جزء تمّ اكتشافه. ورد ثلثاه باللغة السومرية، والثلث الآخر باللغة الأكادية مترجماً عن السومرية.

وينتهي النص بانتصار (نينورتا) على شعب الحجارة، وإخضاعه "لمقالع" الجبل، وتقرير مصير مختلف الأحجار، لاعناً ومعاقباً من حاربه، ومباركاً من وقف إلى جانبه. ولا بدَّ إلى الإشارة بأنه تداول الملحمة استمر حتى الحقبة السلوقيَّة.

3-1 (د-1) لباس خاص بالمصارعة وقواعد الانتصار:

يقرّر نينورتا مصير اثني عشر حجراً يعدّدها معلناً:

"أيتها الأحجار [...]
بما أنك [...]
مشدودة الخواصر تتلوَّى قدودك
والقلوب مرتاحة،
كنت تتمايلين مثل الدببة
630 وب[...] اتخذت طريقك للانضمام إليّ
وانحنيت أمامي حتى الأرض
على خلاف الآخرين،
وكنتِ مهدّات تحت تصرفي كما دعمت بابي
لذلك عندما يرتدي الرياضيون لباس المصارعة
ويتبارون قابضين على السيقان
وجاعلين الرأس يلامس الأرض،
ثمَّ يرفعون الصلب على التوالي،
فأنت وحدك في كامل البلاد، ستكونين

المفضَّلة من قبل هؤلاء **الأبطال**.

1-3 (د-2) عيد الأرواح وألعاب جنائزيّة:

نقرأ في الأسطر (638-649) كيف قرَّر (نينورتا) مصير أحجار (الكورجارا) و (البال)، وَمسحوق التجميل الأصفر، وجميعها لم تحاربه، وهي التي أعلنت أنها سوف تُفرح قلوب الرجال، لذلك يباركها (نينورتا) معلناً:

"كوني التقدمات في يوم (عيد الأرواح)
ومن أجل الهلال الجديد وحتَّى اليوم
التاسع من الشهر سوف ينذر
لك الشبَّان ألعابهم الطقسيَّة"

نحن هنا أمام ألعاب طقسيَّة "جنائزيَّة"، عرفها اليونانيون فيما بعد في الإلياذة، كما ورد في الألعاب التي رافقت موت البطل (باتروكل). ونعرف بواسطة ملحمة (نينورتا) أن "عيد الأرواح"، وألعاب الشبَّان الطقسيَّة كانا يدومان تسعة أيَّام بعد الهلال الجديد من الشهر القمري، ونجهل في أي شهر من السنة كان يتم ذلك.

1-4- كيف ومتى اطلع اليونان على حضارتنا القديمة:

في الحقبة التي سبقت الحكم الأخميني بعد سقوط بابل، لم تكن الاتصالات بين بلاد الرافدين والساحل الكنعاني مع العالم الإيجي معدومة، ولذا يجب عدم إهمالها، على اعتبار أن تلك الاتصالات بين شعوب بحر إيجة والساحل الكنعاني (الفينيقي فيما بعد) تعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد على أقل تقدير. ونحن نعلم أن (زمريليم) ملك (ماري) الذي تقع مملكته على الفرات الأوسط قرب مدينة البوكمال السوري (تل الحريري)، حين زار مملكة (أوغاريت) عام (1765ق.م)، التقى بتجّار من جزيرة كريت.

كما إن الأواني الخزفية المينوية[1]، ثم الميسينية[2]، التي عثر عليها في عدة مواقع على ساحل الشمال السوري، تشهد على وجود علاقات مستمرة حتى القرن الثالث عشر ق.م. ومن المحتمل أن تكون هناك مجموعات بشرية إيجية الانتماء، كانت من بين الغازية براً وبحراً للساحل الكنعاني، والذين أدت هجماتهم في عام (1200ق.م) إلى الفوضى والدمار،

١- نسبة إلى مينوس ملك كريت.

٢- نسبة إلى Mycene في منطقة كورانت اليونانية.

الذي حصل من جراء ذلك. ففي نقش فرعوني تركه (مرنفتاح) هناك إشارة إلى أن من الذين أتوا مع من عُرفوا (بشعوب البحر)، كانت هناك قبائل (الإكاياواس)، التي عرفتها المصادر الحثية تحت تسمية (الإهيباوا)، وهم الآكيون (Acheens).

وكان لتلك الهجمات المدمِّرة أثر في كامل الساحل الشرقي لحوض المتوسط.

واعتباراً من القرن الثامن قبل الميلاد فقط، أي في الوقت الذي تأسست فيه الإمبراطورية الآشورية الجديدة (النيو - آشورية) (1075-721ق.م) في نينوى، و (النيو بابلية) (626-539ق.م) في بابل، كانت الأواني الخزفية اليونانية كثيرة الانتشار في كيليكيا، وفي الشمال السوري: في طرسوس (Tarse)، وَ مرسين، و رأس البسيط، و (المينا)، و تل (سوكاس)؛ وتشهد بعض الكتابات الآشورية على استقرار تجار يونانيين في تلك المواقع.

جلجامش يقضي على الثور السماوي

نحن نعلم أنه منذ العهد البابلي القديم (قرابة 1800ق.م) اشتهر الآشوريون في مجال التجارة، وهم الذين أسسوا آنذاك مركز (كانيش) المعروف في الأناضول. كما إنه في زمن الحكم الآشوري كان كل توسع للإمبراطورية الآشورية يرافقه توسع تجاري، كما حدث ذلك في فلسطين، وفي قبرص، وعلى ساحل آسيا الصغرى المطلّ على العالم الإيجي. كما كان التبادل التجاري يرافقه دوماً تبادل ثقافي، أو كحدٍّ أدنى اطلاعاً على بعض عناصر الحضارة الأكثر تقدماً، وكان (جلجامش) من أشهر شخصياتها.

اليونانيون الذين شغلوا هوامش الإمبراطورية (النيو - آشورية)، لم يُشر إليهم إلا نادراً، حيث كانوا يعرفون بأنهم (أيونيون)، كما إن بعض حوادث قرصنة جاء ذكرها أثناء حكم (تغلات فلاصر الثالث) (745-727ق.م)، وكذلك إبان حكم (سرجون الثاني) (721-705ق.م)، كما إن الحوليات الآشورية تشير إلى توقيف (أيونيين) في كيليكيا أثناء حكم (سنحريب) (704-861ق.م).

جلجامش يروض أسداً

آشور بانيبال يقضي على أسد بعد إصابته بسهامه

إن مستوطنين يونانيين من المحتمل أن يكونوا قد اشتركوا في ثورة (طرسوس) ومقاطعة (هيلاكو)، مع العلم أن مقطعاً من مؤلَّف (بابيلونياكا) الذي تركه لنا بيروز (Berose): وهو كاهن في معبد (بِل - مردوك) في بابل. يشير هذا المقطع الذي نقله عنه (أوزيب) أن معركة بحرية حقيقية حققت انتصار أسطول (سنحريب) على أسطول يوناني. عاش (بيروز) في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث ق.م، وعاصر أول الملوك السلوقيين. ويُعتقَد أن (بيروز) ألَّف كتابه في عام (281ق.م)، وضمنه معلومات عن الحضارة البابلية، وهو الذي عرض قصة (أوانس)، الذي هو (أنكي) السومري، والحكماء السبعة (الأبكالو)، الذين نقلوا العلوم إلى البشر، وروى قصة الطوفان والفائق الحكمة.

كما إن (أيونيين) استوطنوا في جزيرة قبرص، التي كانت خاضعة للنفوذ الآشوري - الفينيقي إبان حكم سرجون الثاني (721-705ق.م)، مع الإشارة إلى أن هناك نقشين يعودان إلى نهاية حكم (أسرحدون) (668ق.م)، وبداية حكم (آشوربانيبال) (668-627ق.م) يعدّان من بين عشرة ملوك ممن يقدمون الجزية من قبرص، ومعظمهم يحمل أسماء يونانية: (أكيستور) ملك (إيداليون): وَ فيلاغوراس من شيتروي، وَ أماسرس من كوريون، وَ بوتوت من ماريون... إلخ.

كما نعلم بالإضافة إلى ذلك أن الفرعون بسامِّيتيك (Psametique) حرر مصر من الاحتلال الآشوري قرابة عام (653ق.م)، وقد اعتمد في ذلك على مرتزقة يونان حاربوا مع جيشه. كما إن الملوك (النيو - بابليين) (626-539ق.م)، لجؤوا هم أيضاً إلى المرتزقة اليونان، وكان من بينهم آنتيمينيدس (Antimenides) شقيق الشاعر آلسي (Alcee) من جزيرة (ليسبوس)، وهي الجزيرة التي عاشت فيها الشاعرة (سافو).

وهناك مهنيون (إيونيون) في بلاد الرافدين، وحتى في بلاد فارس عملوا كنحاتين لإعداد أحجار البناء أو كمثّالين، ضمتهم ورش عمل في كل من (سوز) وَ بازاجارد (Pasagardes). كما كان في خدمة داريوس طبيب يوناني هو (ديموليديس).

أمَّا الشخصيّات التي تعرّف عليها اليونانيون، فبالإضافة إلى (جلجامش)، يمكن إضافة شهرة الملكة (سميراميس) التي ابتدع حولها اليونانيون أسطورة، سنوردها في الفصل السابع فقرة "7-6(ج)". كما إن شهرة (أحيقار)، حكيم بلاط نينوى في حكم (أسرحدون)، عمّت جميع أنحاء العالم القديم الشرقية والغربية، ونُقلت قصّته إلى سبع لغات من بينها اللغة اليونانية. وكان ذلك في القرن الخامس ق.م.

أمَّا فيما يتعلق بالمرتزقة اليونان، فإن الحدث الأكثر شهرةً ذكره (كزينوفون) (426-354ق.م). وقد ساهم كفارس في الدفاع عن (أتينا) في حربها ضد إسبارطة. ففي عام (401ق.م) انضم إلى الإسبارطين الذين كانوا يحاربون في آسيا الصغرى إلى جانب (كورش) الثاني، الذي كان يحاول قلب أخيه عن العرش، إلا أن (كورش) خسر تلك المعركة في عام (339ق.م) بعد أن كان قد جنّد لها عشرة آلاف مقاتل مرتزق. وبعد مقتل (كورش) بنتيجة محاولته الانقلابية تم انتخاب (كزينوفون) جنرالاً على جيش المتطوعين المرتزقة، وقادهم مجتازاً آسيا الصغرى حتى مدينة تريبيزونت (Trebizonte). وهذا ما رواه في مؤلفه الـ آناباز (Anaebase).

أدت بعد ذلك فتوحات الإسكندر الكبير إلى استقرار عدد كبير من المكدونيين واليونان في بلاد الرافدين، حتى إن حضورهم أشارت إليه العملات المعمول بها آنذاك. ولا بدَّ من إضافة أن بعض البابليين أدخلوا اسماً يونانياً على اسمهم الأصلي، ويعني ذلك بداية الهلنسة، وانتشار استعمال اللغة اليونانية إلى جانب الآرامية، وكتب بها مفكرونا وشعراؤنا في الحقبة الهلنستيَّة.

تاريخ بلاد اليونان
والصعوبات التي تعترض المؤرخ لكتابته

نقدم في هذا الفصل لمحة سريعة عن تاريخ بلاد اليونان، وأهم المراحل التي اجتازها، والهجرات التي عرفها، وكذلك تأثره بالجوار المباشر.

نتطرق بعد ذلك إلى تأثر البلاد في كل من الحضارتين الأكثر تقدماً، والأقدم المحيطتين بها، وهما: مصر في جنوبه الشرقي، والساحل الكنعاني - الفينيقي في شرقه، ومن دون أن ننسى الصعوبات والغموض الذي يكتنف التأكد من صحة تواريخ الأحداث المتعلقة ببلاد اليونان فيما يتعلق بتاريخها القديم.

2-1- معلومات مكثفة عن تاريخ بلاد اليونان القديم ودور كل من كريت وَ ميسين:

2-1 (أ) *المراحل التاريخية*:

* تعود الفترات الأركيولوجية التي عاشتها بلاد اليونان إلى العصر البرونزي، ولا سيما فيما يتعلق بالمدن والمواقع التي أُشير إليها في النصوص الهوميرية مثال ميسين (Mycenes)، وَ تيرانت (Tirynthes)، وَ بيلوس (Pylos)، وهي التي ألهمت المنقب شليمان (Schliemann) للتفتيش عن طروادة، وهو الذي قام بحفريات في (ميسين)، وأدى ذلك إلى معلومات أكمل عن تاريخ اليونان، حين تبنّى الباحثون المراحل التي أطلقوا عليها تسمية الهيللاديك (Helladique) التواريخ التالية:
  - الهيللاديك القديم من (3000-2000ق.م).
  - الهيللاديك الأوسط من (2000-1600ق.م).
  - الهيللاديك الحديث من (1600-1100ق.م).

أمَّا العصر النيوليتي في اليونان، فقد عرفته البلاد بصوره خاصة في منطقة تيساليا (Thessalie) الشمالية، نظراً لقربها من بلاد الأناضول، وكذلك في وسط البلاد بتأثير من بلاد الأناضول أيضاً.

2-1 (ب) *هجرة أناضولية*:

يرجح أنه منذ الألف الثالث قبل الميلاد دخل مهاجرون أناضوليون البلاد، وكانوا ذوي حضارة أكثر تقدماً، ونقلوا إلى اليونان بشكل خاص فن التعدين. كما دخلت من طروادة إلى اليونان المساكن التي أطلقت عليها تسمية ميغارون (Megaron): وهي عبارة عن مسكن مؤلف من غرفة واحدة يتقدمها بهو قد يحتوي على أعمدة في جبهته الأمامية؛ وفي الغرفة الرئيسة للمسكن كانت أربعة أعمدة تقع في الوسط، وتحمل منوراً في سقف الغرفة.

ومثل هذا المسكن الطروادي بقي منتشراً في بلاد اليونان في العصر البرونزي (3000-1200ق.م).

- إن المناطق السكنية في الحقبة (الهيلاديكية) القديمة، كانت تقع معظمها في اليونان الأوسط؛ أي في مناطق أرغوليد (Argolide)، وَ بيوسيا (Beotie)، وَ آتيك (Attique)، ومنها انتشرت حضارة الهيللاديك القديم، ودخلت المناطق الأخرى التي كانت لا تزال تعيش عصرها النيوليتي. أمَّا (تيسّاليا) الشمالية، التي كانت متقدمة بتأثير أناضولي، فإنها فقدت تقدمها السابق.

تطوّر التعدين في الحقبة الهيلاديكية القديمة، ولكنه بقي بدائياً يقتصر على بعض الأسلحة والأدوات. كما إن الآنية الخزفية، التي كانت تحمل تحريزات تزيينية تطورت إلى آنية مطلية، وذات تزيين ذي أشكال هندسية.

2-1 (ج) *مهاجرون جدد*:

- قرابة عام (2000ق.م) عمت المنطقة الهيلاديكية أزمة بسبب المهاجرين (الآكيين) الذين وصلوا وفق موجات متتالية، وفرضوا لغتهم (الهندو - أوروبية - اليونانية).

أمَّا بالنسبة لمعالم الحضارة الأخرى، فإنهم تفاعلوا مع الحضارة المحلية. ومع ذلك فإن تلك المرحلة القديمة تعتبر مرحلة ركود. وعلى الرغم من إقامة بعض المنشآت المحصنة على المرتفعات، فإنها كانت منعزلة، ولم تنشأ حولها

مدن سكنية، كما كان الأمر في جزيرة (كريت) آنذاك. أمَّا فيما يتعلق بالمعادن، فكانت الأسلحة البرونزية في تقدم.

وما يميز تلك المرحلة عن حقبة (الهيلاديك) الأوسط، هو: الآنية الخزفية التي اصطلح المنقبون على تعريفها بالآنية (المينية)، نسبة إلى الملك (مينوس)، وكانت ذات مساحة مصقولة وملمعة، وذات لون أحمر أو أصفر، لأنها كانت معدة لتقليد الآنية المعدنية، ولم تكن تحمل أي تزيين، وقد انتشرت في اليونان اعتباراً من أوركومين (Orchomene)[1]. ثم إلى جانب الآنية (المينية)، انتشرت آنية خزفية تستعمل طلاءً كامداً، أطلقت صنعها مدن منطقة اليونان الوسطى، وكذلك مدينة إيجين (Egine). وبسبب تلك الآنية عرفت البلاد تقدماً مادياً، بسبب تصديرها إلى مختلف المناطق اليونانية، وإلى آسيا الصغرى.

2-1 (ر) في الحقبة الهيلادية الحديثة (1600-1100ق.م):

بدأت حضارة مدينة ميسين (Mycenes) بفضل التفوق (الآكي). وكانت بلاد اليونان آنذاك قد بدأت تتأثر أكثر فأكثر في حضارة (كريت)، محققة تقدماً بطيئاً، من دون التمكن طبعاً من بلوغ مستواها[2].

ويمكن القول: إن مركز الحضارة آنذاك كان في (الأرجوليد)، وفي (كورانت). وبالإضافة إلى مركز ميسين، يجب ذكر أرجوس، وَ تيرانت (Tirynthe)[3].

إن القرون الأولى من تاريخ (ميسين) لا تزال مجهولة بين عامي (1600 و 1400ق.م)، وقد حمل هذان القرنان التأثير الكريتي في الفنون التشكيلية، الذي بدأ ينتشر سلمياً في بلاد اليونان. كما يمكن الإشارة بشكل خاص إلى الأقنعة الذهبية، التي عثر عليها في بعض قبور المدينة، وكانت تُشكَّل على وجه المتوفى[4].

قرابة (1400ق.م) هاجم الآكيون جزيرة كريت، ودمروا المدن والقصور، وبسطوا نفوذهم على كامل الجزيرة، مما زاد من سلطتهم التي تجسدت في بناء القصور المحصنة في (ميسين). وكما كان الأمر في بداية المرحلة الميسينية، فإن الفنون التزيينية بقيت مينوية التأثر، حتى في الرسوم الجدارية، مع أنه ظهرت في

١- Orchomene: تقع إلى الشمال الغربي من Argos على بعد نحو 30 كم.
٢- من المفيد الإيضاح بأن الحروب الداخلية المتواصلة، وانعدام الكتابة من الأسباب المعيقة للتقدم.
٣- Tirynthe: تقع إلى الشرق من (أرجوس) على بعد نحو 25 كم.
٤- ونتساءل هنا إذا ما كانت هذه الأقنعة نتجت عن تأثير مصري.

بعض الأحيان اتجاهات جديدة من بينها الاعتناء الأكثر في تصميم الأبنية، وتوزيع عناصرها مقارنة بعفوية البناء في (كريت).

كما بقيت الحلي والآنية الخزفية تتبع التقاليد الكريتية، واتجهت نوعاً ما نحو بدايات ما سمي بالحقبة الهندسية.

وإذا ما كانت الحضارة الميسينية قد انطلقت من (الأرجوليد) و (كورانت)، إلا أنها انتشرت في كامل البلاد، ولا سيما في (طيبا)، و (أوركومين)، وفي (بيلوس)، وفي (البيليبونير)، وأخيراً في (الآتيك). وقد أثبتت ذلك الحفريات تحت (الأكروبول) في (أتينا)، حيث عثر على قصر (ميسيني) يعود إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد، مما يؤكد تاريخية حكم سيكروبس (Cercops) أول ملك أثيني.

2-1 (هـ) بعد 1400ق.م - وكريت مهد جديد:

عمَّ انتشار الحضارة الميسينية بعد (1400ق.م) في شمال البلاد في (تيساليا)، وكذلك في الجزر الإيونية، وفي (الإيتاك) منطقة (أوليس) بطل الأوديسة.

وبعد (1400ق.م) أيضاً أعادت جزيرة (كريت) بناء حضارتها، وأنجبت كريت الملك (مينوس)، وعُرف (بكريت) الملك إيدوميني (Idomenée)، الذي ظهر دوره في الإلياذة إلى جانب الملك آجاميمنون (Agamemnon)، واشترك في حصار (طروادة)، حتى إنه كان من بين القادة الذين اختبؤوا داخل الحصان الشهير، مع الذين دخلوا المدينة. ويروى أيضاً أن عودته إلى (كريت) كانت موفقة، ومن دون صعوبات، إلا أن هذه الرواية تتناقض مع أسطورة أخرى جعلت عاصفة رهيبة تجتاح سفينته العائدة، مما حدا بالملك (إيدوميني) أن يبتهل لإله البحر بوزييدون (Poseidon)، وينذر أمامه بأنه إذا ما عاد سالماً إلى وطنه فإنه سيضحي بأول إنسان يلتقي به، فاستجاب إله البحر لطلبه، ولكنه لدى وصوله، كان ابنه أول مستقبليه، وتقول الأسطورة إنه نفذ نذره، وأعدم ابنه، مما أثار غضب شعب (كريت)، الذي عمد إلى طرده من الجزيرة، فلجأ إلى منطقة (كالابر) الإيطالية، حيث أسس مملكة، وطبق قوانين جده (مينوس).

2-1 (و) زوال حضارة ميسين ومصير كريت:

حمل (الميسينيون) لغتهم إلى بلاد اليونان، وكذلك حضارتهم تأثرت بالحضارة (المينوية) في (كريت)، كما إنهم نشروا عمران السهول، بعد أن كان السكن محصوراً في الأماكن المرتفعة. إلا أنه في منتصف القرن الثاني عشر

ق.م. دمرت غزوة المهاجرين (الدوريين) حاملي الأسلحة الحديدية الحضارة (الميسينية)، ولم تكن جزيرة (كريت) أكثر حظاً، إذ إن (كريت) كانت منذ بداية التاريخ ملتقى شعوب عديدة ومختلفة انصهرت في بوتقتها. وكان (الآكيون) أول الهندو أوروبيين الذين شغلوها قبل اجتياحها من قبل الدوريين. وبنتيجة ذلك، عبر الحقب التاريخية، فإن (كريت) الدورية لم يكن لها أي دور يذكر بعد ذلك، أو أي تأثير في الأحداث، وهي التي أعطت مثَّالين نعرف اسميهما، وهما اللذان عبر القرن السادس ق.م انتقلا في كامل منطقة (البيليبونيز)، وكانا المعلمان اللذان نقلا فنّهما إلى المدارس القديمة اليونانية، والى جزر بحر إيجة. ومن (كريت) استقدم اليونانيون مطهَّري المعابد، وبشكل خاص في إسبارطة (Sparte). وأخيراً فإن (كريت) قدمت لبلاد اليونان المرتزقة والنشابة الذين أتقنوا صناعة الأقواس، وإطلاق سهامها. وبالإضافة إلى ذلك فلم تفقد (كريت) تفوق بحارتها، حتى إن الإسكندر الكبير عهد إليهم الأسطول الذي كان عليه استكشاف الشواطئ الفارسية. ثم عبر ما عُرف بحقبة الاستعمار اليونانية، فإن كريت أعدت مع (رودوس) لتأسيس بعض المستعمرات، وقد عدد (سترابون) (63ق.م-25م) بعضاً منها.

2-2- اليونانيون والمتوسط الشرقي:

هو عنوان كتاب نشره مؤخراً في عام (1997م) الباحث كلود بوران (Claude BAURAIN)[1]. ويتألف الكتاب من أكثر من 700 صفحة، متضمناً لائحة ضخمة من المصادر القديمة والحديثة المعتمدة، منذ تقديم (بوران) لعمله، فإنه يلفت نظر قارئه إلى الصعوبة التي تعترض كل مؤرخ لبلاد اليونان القديم، في سعيه للتوصل إلى إثبات تاريخ وقوع الأحداث، والمراحل التاريخية: كالهجرات والغزوات والحروب... إلخ.

كما ينبّه أن تاريخ اليونان يجب ألا ينظر إليه - كما نظر إليه عبر زمن طويل - عبر منظار "الحقبة الكلاسيكية"، التي اعتبرت مقياساً لكل شيء. ويضيف قائلاً:

١- Claude BAURAIN: Les Grecs el la Mediterranee Orientale، من منشورات P. U. F. عام 1997م

"بدا مؤخراً أنه من الضروري أن ندخل دون تردد وبخطاً ثابتة، دون أن نقع فيما لا يرتبط بموضوعنا، لكي نقدم عرضاً يغذيه أولاً إطار جغرافي لا تقف حدوده على ما هو يونان اليوم، ولكنه يمثل حدوداً أوسع تشمل جميع المجالات، حيث إن في تلك الحقبة المراد بحثها، كانت هناك شعوب لم تكن أساساً يونانية اللغة، من المفضل بالنسبة لنا، أن نأخذ بالحسبان تجربتها الحياتية".

2-2 (أ) *صعوبات وعقبات يصطدم بها الباحث*:

يعلمنا (كلود بوران) أن البحث في تاريخ اليونان القديم يفرض على المحقق غموضاً لم يكن متوقعاً. وقد يكون مأساوياً حين يحاول تفحص الأضابير بنظرة أكثر تعمقاً، مما يؤدي إلى توسيع مجال عدم الدقة والشك، وأكثر من حالة تفتح أمام الباحث هوَّات من التعقيد، يؤدي إلى شك يمتد حتى إلى الحقب الأقل قدماً من الحقبة التي يتفحصها المحقق.

وهيرودوت (480-420ق.م) نفسه يشكك في الرقم (300)، الذي يعتبر أن الإسبارطيين قاوموا حتى آخر رجل منهم، مع أنه في أمثلة أخرى يحافظ (هيرودوت) على الرقم (300)، الذي كان من المحتمل أنه يتعلق بطقوس الحرب في اليونان قبل الحقبة الكلاسيكية، وهو رقم رمزي. وهذا المثل لم يكن الأخطر، على اعتبار أن هناك شهادات أعطيت لها أهمية كبيرة، أعيدت إلى (هوميروس) على حساب الحدث التاريخي.

كل ذلك يشكل عقبة كبيرة أمام المؤرخ، الذي يجد نفسه ملزماً لمحاولة التأكد من الشهادة التي هي أمامه، لأنها مع الأسف، هي وحدها تمكنه من التوصل إلى الحدث.

وبالإضافة إلى ذلك، يشير الباحث إلى النقص في المعلومات، سواء أكان ذلك في مجال أخبار الشرقيين عن اليونان، أو بالعكس الأخبار اليونانية عن الشرقيين (الفينيقيين والمصريين). وهنا يتساءل الباحث إذا ما كان اليونانيون قد عرفوا من شعوب الشرق الأدنى شعباً غير الفينيقيين، أو إذا ما كانوا يملكون معلومات مباشرة عن المناطق التي تقع خلف سواحل آسيا الصغرى المقابلة لهم، أو بعض نقاط الساحل السوري الفلسطيني، ولا سيما مصر عبر حقبة سايس (Saïs)[1]. ثم نظراً للصعوبات المشار إليها أعلاه، فإن الباحث (بوران) أراد أن يحصر بحثه اعتباراً من الحقبة التي تلت زوال الحضارة الميسينية عبر القرن الحادي عشر ق.م.

١- Saïs: هي المدّة التي عرفت الهبنكسوس في الشمال، ونفوذ (النوبة) في الجنوب.

2-2 (ب) بين القرنين الحادي عشر والخامس ق.م:

هي إذاً الحقبة التي تتراوح بين زوال حضارة (ميسين)، والمقاومة التي بذلتها البلاد ضد التوسع الفارسي في القرن الخامس ق.م.

عُرِّفت في تلك الحقبة القرون الثلاثة الأولى بالقرون الوسطى اليونانية، تلتها مدّة ثلاثة قرون عرفت "بالشرقية"، وهي المرحلة التي تأثرت في بدايتها بتزايد الصلات بين بلاد اليونان والشاطئ الفينيقي، وكانت علاقات تبادل، تماماً كما عرفها هذا الشاطئ مع حضارة جزيرة كريت قبل زوالها في القرن الثاني عشر ق.م. ومن الصعب طبعاً القول إن اليونانيين كانوا هم الذين أطلقوا هذا التبادل، ولا بدَّ من إرجاعه إلى النشاط الفينيقي في هذا المجال.

2-2 (ج) من القرية إلى المدينة:

هكذا يكتفي الباحث (بوران) بعرض العلاقات الشرقية اعتباراً من القرن الثامن ق.م، بحيث رُبطت مناطق عديدة يونانية، ومن بينها المنطقة القبرصية الفينيقية بالمراكز الثقافية على الشاطئ الشرقي للمتوسط.

كان اليونانيون قبل ذلك يعيشون ضمن تجمعات سكنية صغيرة في قرى شبه مستقلة. وكانت كل مجموعة بشرية وفقاً لمفهومها وضمن إطار ثقافي مشترك، تتمَركَزَ حول اللغة المشتركة، والمعتقدات، والتقاليد. وضمن تقدم الثروة المادية ورسوخها كان لا بد من تأسيس حياة اجتماعية وسياسية جديدة هي المدينة بوليس (Polis)[1]. وهكذا جمعت المدينة بين عدد من القرى؛ ونشأت المدن في العديد من المناطق، ولكنها بقيت غيورة على استقلاليتها، ومعتقداتها الدينية، وأعيادها، وتقويمها. ولم تبلغ الحسّ الوطني بالانتماء إلى بلادها إلا في مراحل متأخرة، لا سيما يوم هددها في القرن الخامس خطر التوسع الفارسي (الميدي). وكثيرة كانت الحروب فيما بينها وكأنها لم تكن حروباً داخلية.

كما عرفت المدن أحلافاً فيما بينها، وقامت أحلاف ضد أحلاف، وأمكن القول إن السلم في اليونان كان هو المرحلة الشاذة، حيث من النادر أن يتوقف اليونانيون عن الحروب فيما بينهم.

2-2 (د) صعوبات تعترض المؤرخين:

بالإضافة إلى الفروق الكبيرة والتناقضات التي عرفتها المدن فيما بينها عبر القرون الستة الأولى اعتباراً من (1100ق.م)، فقد واجه المؤرخون صعوبة في

١- Polis: وراج استعمالها في الحقبة الهلنستية في الشرق الأدنى في تسميات المدن مثل (هيليوبوليس).

بناء تسلسل زمني (كرونولوجي) للأحداث، والذي هو أساسي بغية تقديم تحليلات نقدية بصددها. كما إن الاعتماد على ما تركه الكتّاب والمؤرخون القدماء، وما تمكنت من دعمه الحفريات الأثرية، كل ذلك لم يمكن من حل مشكلة تحديد التواريخ بشكل دقيق، بل أثبت عجز التحقيق التاريخي، أو بالأحرى أثبت حدود هذا التحقيق.

وقد تناقل اليونانيون أخباراً كيفية وغير دقيقة، حتى إن هيلانيكوس (Hellanicos) الذي تحدث عن (آشوربانيبال) الذي عرفه اليونانيون تحت اسم (ساردنابال)، اعتقد وجود ملكين يحملان هذا الاسم، لأن الأخبار التي نقلت إليه كانت مبهمة وغير موثوقة. أمَّا (هيرودوت)، فإن أخباره عن (نابونيد) آخر ملوك (بابل) كانت سيئةً جداً؛ وكذلك ستيزياس (Ctesias) قدّم في بداية القرن الرابع ق.م معلومات هي عبارة عن مجموعة من الأخبار الملفقة، مع ادعائه بأنها تعتمد على استثمار شخصي للوثائق والمحفوظات الشرقية.

2-2 (هـ) *منشورات وكتب مذهلة الأعداد تضاف إلى الصعوبات*:

إن موضوع الاطلاع على جميع المنشورات المتوافرة عن تاريخ اليونان القديم يستحق إعارته نظرة خاصة. ويمكن القول إن ما كُتب حول الموضوع المشار إليه كثير جداً. وقد تطرق إلى ذلك إدوارد ويل (Edward Will) في عام (1972م) ضمن مقدمته حين كتب:

"في كل الأحوال، فإنه يُكتب كثيراً في أيامنا هذه، بحيث لم يعد بالإمكان قراءة كل ما يكتب، لذا يجب على الباحث تقرير موقفه من ضخامة عدد المنشورات".

ومن المفيد الإشارة إلى أن المصادر التي عددت في عام (1992م)، وقدمت ضمن مجموعة مؤلفة من (1200) صفحة، تضمنت 16200 مدخلاً.

كما إن المؤلف (بوران) الذي أشرنا إلى كتابه في بداية الفقرة (2-2)، قدم بعد مقدمته مجموعة مصادر عامة اشتملت على 1568 مصدراً، أضاف إليها مصادر مكملة اطّلع عليها أثناء نشر كتابه، وعرضها في أربع صفحات محتوية على مئة مصدر.

2-2 (و) *قلة المصادر المتوافرة عن الحقبة ما بين* (1100 و 500ق.م):

وهي المدة الزمنية التي قرر (بوران) حصر دراسته فيها، وهو يشكو من قلة المعلومات المكتوبة عنها. كما يشير إلى صعوبة تأويل محتوى المكتشفات الأثرية، أو عدم مساعدتها في تقدم البحث. ولكي لا يبقى المؤلف (بوران) وحده

من بين المشتكين بسبب الصعوبات التي تعترض الباحث، فإنه يصدّر الفصل الأول من كتابه برأي باحث آخر سبقه هو آ. موميجليانو (A. Momigliano). وقد صرح فيه:

"يمكنني تقديم مسوغات أخرى تفسر صمتي عن تلك المواد، وأحدها هو: اعتقادي أن من بين مئات الأشخاص الذين بمقدورهم تفسير حدث ما، لا يوجد إلا شخص واحد، أو شخصان يمتلكان القدرة التقنية (أي أدوات المؤرخ) التي تمكن من إصدار القرار، عما إذا كان الحدث قد حدث فعلاً، أو وقع فعلاً".

مضيفاً: "كل ذلك يجعلنا نتقدم بحذر في مجال أي بحث عن تاريخ اليونان القديم".

2-2 (ز) *الحكم على التاريخ القديم الصادر عن جامعة كامبردج*:

من أهم المصادر التي تعتبر حديثة المجموعة التاريخية المؤلفة من ثمانية أجزاء، والصادرة عن جامعة كامبردج (Cambridge Ancient History). ويمكن القول إن الجزء الرابع المخصص للسنوات (525-479)ق.م تضمن دراسة مقبولة نسبياً عن (الفرس)، بينما لم يكن الأمر كذلك بالنسبة لليونان. كما إن مثل هذه المقارنة ينطبق أيضاً على الجزء الثالث (III,3) لعام (1982م).

أمَّا بالنسبة للعالم الهيلليني بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد، وكذلك الجزء (III,1) (1982م) المتعلق بالحقب التي سميت هندسية وما قبل هندسية[1]، فإنه عدا عن بعض الإشارات المقتضبة المقدمة من قبل الباحث هاموند (Hammond) عن (توسع العالم اليوناني) في الجزء الثالث، فإن المؤلف (بوران) يعلق على ذلك بقوله:

"مهما كانت أسباب النقص في المعلومات، فإنه يجب التنبيه هنا إلى هزالة تلك المعلومات عبر المدة الطويلة التي تزيد عن خمسة قرون وتتمطّى؛ بين سقوط (ميسين) النهائي وانتصار (سلامين) على الفرس. وعلى هذا النحو أيضاً هي هزالة المعلومات في الحقبة الثانية من المرحلة القديمة (Archaïque)، وذلك بعد مرحلة أولى (ما قبل هندسية وَهندسية) خالية تماماً من أي وسيلة من شأنها تقديم أقل المعلومات".

1- (Geometrique), (Protogeometrique).

2-2 (ع) الحقبة الكلاسيكية تحتاج هي أيضاً لنقد تاريخي:

بالإضافة إلى كل ما سبق عرضه من صعوبات، فإن ما وصلنا من الحقبة الكلاسيكية من ضمن تقليد كتابي طويل الأمد يتطلب هو أيضاً حل العديد من المشكلات النقدية الأساسية. وإلى جانب الإنتاج الهزيودي (Hesiode)، الذي كان قريباً من المرحلة الشفهية، والشعر الملحمي، علينا هنا أيضاً الإشارة إلى فترة طويلة خالية من التواريخ، وإن أول تسجيل كتابي لتلك الأعمال، منذ ما قبل نهاية الحقبة التي سميت (ما قبل كلاسيكية)، وأواخر الحقبة القديمة (الأركاييك) (525-480ق.م).

كما وتجدر الإشارة هنا إلى أن ما عرف بالحقبة القديمة (700-480ق.م) لم يعتمد إلا على تبدل الصناعات الخزفية المتراوحة بين الإيونية و الليدية (630ق.م)، و الآتيكية (700-600ق.م)، التي استعملت اللونين الأسود والأبيض، والرسوم السوداء لما قبل الكورانتية القديمة (680-630ق.م) و الكورانتية (600-540ق.م)، ثم عودة إلى تطور الآنية الآتيكية. وآخرها بين (590 و 530ق.م)، حيث ظهرت الرسوم الحمراء، تأتي بعد ذلك الحقبة الكلاسيكية التي تنتهي بظهور (فيليب) المكدوني وابنه الإسكندر الكبير.

يُستنتج بسهولة من المعلومات المفصلة أعلاه عن تواريخ تطور الآنية الخزفية أنها اعتُمِدت في أكثر الأحيان كجدول زمني (كرونولوجي)، وذلك لندرة المكتشفات الأثرية وصعوبة توظيفها في تحديد الأحداث التاريخية، إذ إن نقص المعلومات عن المجتمع اليوناني شكّل، ولا يزال يشكّل، صعوبة بالنسبة لكل باحث يريد توخّي الدقة، والتأكد من صحة ما قيل، لكي يتأكد هو بدوره مما سيقول.

أمَّا بالنسبة لتواريخ النصوص التي وصلتنا، فإن الفروق قدرت بقرابة قرن كامل في بعض الأحيان، وليس في هذا أهم الصعوبات، فالباحث في معظم الحالات لا يعرف الشيء الكافي عن حياة المؤلفين القدماء وانتماءاتهم، وحتى عن نسبة العمل إليهم، على اعتبار أننا لا نعلم ما كانت عليه المصادر المتوافرة آنذاك، والمعتمدة في الحقبة الهلنستية حين عمد علماء الماضي إلى جمع بقايا سير حياة الكتّاب، ونشر بعض النصوص، ولا نعلم شيئاً عن أهداف هؤلاء وطرائق عملهم.

ثم بالإضافة إلى ذلك، فإن الكلمات والجمل المقتضبة التي لا تتعدى ثلاثة أسطر المدوّنة على الأواني الخزفية المكتشفة، لا يمكنها تشكيل أساس تاريخي

لأي باحث يريد التقدم في ذلك المجال من المعرفة. وأخطر من ذلك هو انعدام التسجيل، وعدم التفكير بتقليد الشرق الأدنى ومصر، مع أنهم تعرفوا في مناسبات عديدة على محفوظات وأخبار الأيام، وحوليات ممالك الشرق الأدنى، ولكنهم مع الأسف لم يفكروا في تقليد ذلك، والاستيحاء منه. ومثل هذا النقص كان دوماً مجال استغراب علماء اليوم الذين تصوروا لو أن اليونانيين أعدوا كحد أدنى لوائح الشخصيات المهمة، والقضاة، والكهان والمنتصرين في المباريات الرياضية، والبلاغية... إلخ، لكانت قدمت معلومات مهمة تسهل البحث، فإن مثل هذه اللوائح كان يجب أن تتوافر منذ انتشار الكتابة وترسيخها.

إن ظهور مشاهد مرسومة روتها التقاليد على الآنية الخزفية، في الحقبة التي سبقت الكلاسيكية، هي الشواهد الوحيدة عن تلك الحقبة القديمة التي استعملت بعض ما رواه (الأدب التقليدي)، ولا تشكل بالطبع مصدراً لكتابة التاريخ. أمَّا المكتشفات الأثرية يمكنها أن تدخل في التقاء الزمان والمكان الذي عاشه "حدث تاريخي"، ولكن علاقتها مع التحقيق التاريخي تبقى معقدة. ولا بدَّ من التوضيح، إن الخطاب الأثري لا ينطبق حتماً على "الخطاب التاريخي"، على اعتبار أن الأول يصدر عن اهتمامات ترتبط بطبيعة المواد الأساسية المعتمدة، والتي لا تملك تعبيراً كلامياً. ومن الطبيعي أن المصادر المادية مهما تعددت أشكالها لا يمكنها تغطية جميع أوجه النشاط الإنساني، ولذلك فإن (الأركيولوجيا) عندما تحاول تأدية دور المؤرخ، فإنها تقع في الخطأ أحياناً، ومثل هذه الأخطاء يمكن وقوعها في جميع المراحل.

ومما يؤسف عليه أن من بين الباحثين من لم يلجأ إلى استعمال طرائق تحقيق ملائمة، ومنهم من أراد أن تجيب المعلومات المتوافرة لديه - سواء أكانت نصاً قديماً أم قطعةً أثريةً - عن السؤال الذي يود التوصل إليه، مما أدى إلى ضياع الحقيقة التاريخية والبناء على أسس خاطئة. وفي كل ذلك تكمن الصعوبات التي تعترض المؤرخ.

2-2 (ط) *القدماء هم الذين حققوا:*

بنهاية الأمر يمكن القول إن العديد من الأسئلة المتعلقة بالمرحلة التي سبقت (الكلاسيكية)، فإن المؤرخين القدماء الذين عاشوا في القرن الخامس قبل الميلاد، هم الذين حققوا وطرحوا الأسئلة، ومؤرخ اليوم مدينٌ لهم بتلك الجهود التي تتطلب منه في كل مرة مناقشة موضوعية.

إلا أن الحقبة الهلنستية أكملت بعد ذلك تحقيقاتها وفق طرائق لم يكن البحث عن الحقيقة هو وحده المحرك بالنسبة لها. وهنا تكمن الصعوبة أيضاً أمام مؤرخي اليوم.

ثم في خِضَمَّ عدد الدراسات الهائل الذي خُصص للتعرف على ثقافة اليونان عبر الحقبتين الهندسية والقديمة اللتين سبقتا الحقبة الكلاسيكية، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً، هو أيضاً من بين الصعوبات التي تتطلب من المحقق التاريخي اتخاذ القرار الملائم بصددها.

2-2 (ي) *استمرار الثقافة الشفهية في اليونان حتى نهاية القرن السادس ق.م:*

وعلى هذا الأساس، فإن علماء الهيللينيات الذين اعتادوا اعتماد الوثائق المكتوبة لم يجدوا أمامهم حتى نهاية القرن السادس قبل الميلاد ما يسمح لهم بذلك. وكما إنه من الصعب جداً تقدير الإنتاج الأدبي في القرنين (السادس) و (الخامس) قبل الميلاد. ونحن نعلم أن التثبيت الكتابي لإنتاج (هوميروس) و (هيزيود) بدأ في تلك الحقبة. هذان النصان كما أرادت التقاليد تناقلتهما الروايات الشفهية عبر عدة قرون. ومن الطبيعي في مثل هذه المناسبة اعتبار أن نقلهما كتابياً لم يكن من شأنه إعادة تبويب وتنظيم النص، إذا لم نقل التطوير في الصياغة وفي مضمون الرسالة التي أراد كل نص نقلها والأهداف المبتغاة منها.

ونحن نعلم كما عودتنا ذلك نصوص بلاد الرافدين حين كانت تنسخ نصاً عن نص أقدم منه، أنه كانت هناك عملية إعادة كتابة للنص الجديد. وبالنسبة لبعض النصوص وصلتنا الصيغتان الأقدم والأحدث، كما كنا أحياناً ننعم بالنص السومري، وبعده النص الأكادي للموضوع نفسه.

لقد تعرضنا إلى انتشار الكتابة في بلاد اليونان وفق تفاصيل أوسع، وذلك في فقرات خاصة من الفصل الرابع (انظر الفقرات "4-1" إلى "4-4").

2-3- اليونان تاريخ قديم مضطرب وضيق الأراضي الزراعية:

2-3 (أ) *الهجرات التي دخلت البلاد والباحثون الغربيون:*

إن معظم الباحثين والمؤرخين الغربيين درسوا تاريخ اليونان القديم. وكان همهم الأكبر رصد الهجرات (الهندو - أوروبية) التي عرفتها بلاد اليونان، أولها هجرة الآكيين (Ache'ens) التي تبنوا لها بداية الألف الثاني قبل الميلاد، ثمَّ تلتها هجرة إيونية (Ionienne)، ثم إيولية (Eolienne)، وأخيراً دورية (Dorienne)، يحددون لها القرن الثاني عشر ق.م.

كما يعرفون أن حضارة جزيرة كريت آنذاك كان لها تأثير كبير في المجموعات الآكية، و الإيونية، و الإيولية، مما أدى إلى بناء الحضارة (الميسينية)، نسبة إلى (Mycene) (ميسين) من منطقة البيليبونيز، والتي تقع على بعد 9كم إلى الشمال الشرقي من (أرجوس) (Argos).

شُغِل موقع (ميسين) منذ العصر النيوليتي، ثم بين الألفين الثالث والثاني ق.م. وسكن المدينة شعب لم يكن (هيللينياً). (؟) وبين (2000) و (1600ق.م)، عرفت المدينة هجرة (الآكيين)، وبلغت أوج حضارتها الثقافية والاقتصادية اعتباراً من (1600)ق.م، ولا سيما بعد زوال كنوسوس (Cnossos) عاصمة (كريت) بسبب الهجرة الدورية.

ثم حين تزايد عدد المهاجرين الدوريين الذين دمروا حضارة الآكيين، وهاجر معظمهم خوفاً من العبودية التي كان يمارسها الدوريين عليهم، ومن بقي منهم تمَّ صهره، ولم تحتفظ البلاد باسم الآكيين إلا في منطقة آكايي (Achaïe)، التي تقع إلى شمال الإيليد (Elide).

3-2 (ب) ***الالتقاء بحضارة قديمة في البلاد ليست (هندو - أوربية) تتكلم بلغة لا يفهمونها:***

ذلك ما لاحظه (الآكيون) لدى هجرتهم إلى البلاد في بداية الألف الثاني قبل الميلاد، حين وجدوا في البلاد التي دخلوها سكاناً يمثلون حضارة تفوق حضارتهم، وتتكلم لغة لا يفهمونها، وهكذا فإن التدمير والحرائق رافقا دخولهما البلاد. فمن هم هؤلاء السكان الذي يكتفي الباحثون الغربيون بوصفهم بالسكان القدماء، ويكتفون بالقول محاولين إقناعنا بعدم الاهتمام بهؤلاء السكان "لأنهم لم يكونوا (هندو - أوربيين)؟ وليس من الصعب إذاً الاتجاه نحو اعتبار هؤلاء الغرباء عن الدوريين يمثلون الفينيقيين الذين كانوا يشغلون المكان ناقلين إليه حضارتهم.

وإذا ما عدنا إلى الهجرة الدورية في القرن الثاني عشر ق.م، وهي الموجة الأخيرة التي غزت بلاد اليونان، فإنه كان من شأنها تدمير الحضارة الآكية بإحراق القصور الملكية بيلوس (Pylos) من المنطقة (الميسينية) وتدمير ميسين (Mycenes) وَ تيرانت (Thyrinthe) في منطقة الأرجوليد (Argolide)، مسيطرين بذلك على البلاد عدا الآتيك، حيث لجأ إليها المهاجرون الوافدون من كل الجهات.

وحتى (كريت) لم تنج من أثر تلك الأحداث، ولا جزر بحر إيجة. وبسبب ضيق منطقة (الآتيك) حيث استقر الآكيون، فإن كثيرين منهم اضطروا للهجرة إلى شواطئ آسيا الصغرى، حيث أسسوا مدينة إيونيا (Ionie). وعلى الرغم من

ذلك فإن الدوريين لحقوا بهم لاستقرارهم أيضاً على شواطئ آسيا الصغرى، حيث أسسوا مدينة دوريد (Doride).

وهناك مدينة (Doride) أخرى تقع إلى الشمال من منطقة (بيوسيا). وقد اعتبرت مدينة فوسيد (Phocide) عاصمة الدوريين.

2-3 (ج) الدوريون والسلاح الجديد:

أمَّا التفوق الدوري الذي أتى من المناطق الشمالية لبلاد اليونان، فمرده إلى أن عصر الحديد الذي دخلت فيه بلاد الأناضول ومنطقة آسيا الصغرى، ولم تعرفه بعد البلاد اليونانية، كانت بدايته في الساحل الكنعاني. وهكذا تمكن الدوريون من تدمير المناطق اليونانية كما أشرنا آنفاً، والتي كان سلاحها من معدن البرونز الذي لا يقاوم معدن الحديد. وبالإضافة إلى الدمار الذي حملوه إلى المناطق المحتلة فإنهم استبعدوا الأهالي الذين لم يتمكنوا من مغادرة البلاد.

وعلى الرغم من تفاعل الدوريين مع الأهالي المحليين، ومع الأيونيين الذين سبقوهم، وحتى بعد مضي مدّة من الزمن، استمر وجود قطبين متنافسين (أيوني) و (دوري) عادا إلى الظهور فيما بعد، عن طريق ما عرف بحرب (البيلوبونيز) قرابة (430ق.م).

إلا أن وجود الدوريين أدخل إلى بلاد اليونان عادات جديدة، وأدوات جديدة، أولها الحديد، واللباس الذي كان عبارة عن قماش يلف به الجسم، ويثبت بواسطة شكلة. كما يعتقد أيضاً أنهم أدخلوا عادة حرق الأموات عوضاً عن الدفن. ومن المحتمل أن تكون الآنية الخزفية استعملت بواسطتهم، ما عرف بالتزيينات الهندسية.

2-3 (د) استمرار الاضطرابات والحروب الداخلية:

تابع تاريخ اليونان القديم اضطراباته حتى في عصر (بيريكلس) (القرن الخامس ق.م)، حيث لم تتوقف الحروب الداخلية، والتي طغت عليها في الحقبة نفسها الحروب الميدية، حين حاولت الإمبراطورية الفارسية غزو أتينا، والاستيلاء عليها متوسعة نحو بحر إيجة غرباً.

وباعتقادنا أن الحروب الميدية هي التي أَنْسَتْ اليونانيين الحروب الداخلية، لا سيما بين (أتينا) و (إسبارطة)، وألهبت الحس الوطني العام. ويمكن القول: إنها وحّدت بلاد اليونان التي لم تكن تعرف غير الممالك الجزئية الصغيرة، والتجارة فيما بينها، والتي يمكن تشبيهها بممالك الساحل الكنعاني، التي لم تشكل يوماً وحدة عامة، ولكنها عرفت جميعها مقاومة النفوذ المصري في عصر العمارنة قرابة

(1400ق.م). إن اهتمام بلاد اليونان بالتجارة وارتياد البحر أبعدها عن الخلافات الداخلية بصورة عامة.

2-3 (هـ) استشارة معبد ديلف:

وأخيراً حين تعب اليونانيون من حروبهم الداخلية في منطقتهم الصغيرة، التي كانت تحت سلطة حاكم استبدادي - هم يستعملون تعبير (مستبد) (Tyran) للتكلم عن حكام مناطقهم - وكان من الأرستقراطيين ينفي من يعارضه، أو يحاول عزله. وساءت الأحوال لدرجة جعلتهم يذهبون إلى معبد (Delphes) لاستشارة الـ بيتي (Pythie) (وسيطة) الإله (Apollon) أبولون، مع العلم أن تلك المدينة عرفت أهميتها الكبرى في الحقبة الكلاسيكية؛ أي (اعتباراً من القرن الخامس قبل الميلاد).

ولدى استشارة (الوسيطة) عن أفضل طريقة لمقاومة ما كانت تشكو منه البلاد كالخلافات السياسية وانتشار الوباء، كانت نصيحة (بيتي) أنه يجب إطلاق المباريات السلمية من جديد، بعد أن كانت متوقفة. وعند ذلك فإن الإيليين و الهراكليين الذين يعتبرون التربية البدنية أساسية بالنسبة لهم، فإنهم سوف يعلنون الهدنة المقدسة (trève sacrée)، وتستأنف الألعاب.

هذه النصيحة لم تفد كثيراً على الأرجح. ومن الصعب الاعتقاد أن الألعاب بدأت منذ عام (776ق.م)، واستمرت بشكل شبه منتظم، وسنعود إلى ذلك فيما بعد.

2-3 (و) هجرات غادرت البلاد ومهد بينها النفي:

بالإضافة إلى التنافس على السلطة في المدن والمناطق بين الأرستقراطيين، الذين كان يبرز من بينهم حاكم مستبد لا يرضى عنه عددٌ منهم، فكانت مثل هذه المنافسات على الحكم تؤدي في معظم الأحيان إلى نفي المتمرد، وانتقاله مع بعض مريديه إلى حيث يفتش عن حياة جديدة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن بلاد اليونان كانت دوماً تفتقر إلى الأرض الزراعية الكافية لمعيشة السكان. وبسبب سوء توزيع الممتلكات العقارية، كان لا بدَّ من محاولات الاستيطان على شواطئ آسيا الصغرى، أو على الشاطئ الليبي، و (صقليا)، أو (رودس)، وحتى على البحر الأسود.

وعلى الرغم من ذلك، ويمكن القول إن الهجرات لم تتمكن من حل الأزمة، على اعتبار أن التطور الداخلي في المدن كانت تنتج عنه في معظم الأحيان اضطرابات عنيفة، نتجت عن تصرفات الحكام الاستبداديين الذين عرفتهم معظم المدن.

إن صلات الدم، أو المعتقد الديني، أو الانتماء القبلي، كانت في القرى وخارج المدن التي كانت السلطة فيها بيد الملاكين الكبار والعائلات الأرستقراطية. ولا بدَّ من الإشارة إلى أنه مع مرور الزمن وتكاثر السكان، وُزِّعَت الملكيات بين جيل وآخر، وتضاءلت المساحات الصالحة للزراعة أمام تكاثر السكان. وهكذا أصبح من الضروري اللجوء إلى مغادرة البلاد للاستقرار في مناطق أخرى. وكما أشرنا آنفاً، فإن عدداً من الأسباب أدى إلى تأسيس ما سمي بالمستعمرات، ومن هذه الأسباب: ضيق الأراضي، والخلافات والتنافس بين الزعماء، وروح المغامرة بالنسبة للبعض الآخر، وكذلك الإبعاد بالنسبة لفئة اجتماعية معينة، مما نتج عنه تشكل عقلية استعمارية سياسية، أو تجارية.

3-2 (ز) *المستعمرات والاستيطان خارج البلاد*:

هنا أيضاً كما هي طبيعة الخيال اليوناني بالنسبة لسرد الأساطير وابتداعها، وهي التي نسجت رواية قصص بعض المهمات الاستعمارية والاستيطانية. ولا بدَّ طبعاً من التفريق بين الأسطورة والتاريخ، لا سيما فيما يتعلق بتواريخ الأحداث التي أثبتت الحفريات الأثرية بعضها، وليس جميعها.

3-2 (ز-1) استعمار جزيرة تيرا:

تروي "التقاليد" أن استعمار جزيرة تيرا (Thera) البركانية التي تقع بين جزر السيكلاد وجزيرة كريت إلى شمالها، كان في القرن التاسع ق.م. وتُعرف اليوم تحت اسم سانتوران (Santorin)، ومنها انطلقت في نهاية القرن السابع (630ق.م) حملة استعمارية نحو شواطئ ليبيا. وقد روى (هيرودوت) تفاصيل تلك المرحلة (IV:150-155). وتأكدت روايته بواسطة نقش عثر عليه في مدينة (كيرينا) يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد. وبعد فتح الإسكندر دخلت (كيرينا) في تبعية مصر، ثم أصبحت رومانية في بداية القرن الأول قبل الميلاد.

يروى عن الاستيطان على الساحل الليبي في (كيرينا) أن جزيرة تيرا (Thera) عرفت اضطرابات أساسها مواسم ضئيلة. وحين استشيرت وسيطة الإله (أبولون) في (ديلف) عمّا يجب عمله، نصحتهم بأن يستعمروا ساحل ليبيا. فقرر مجلس المواطنين أن توفد كل عائلة ابناً منها للاستقرار في المستعمرة الجديدة، وسمح لهم بالعودة إلى تيرا (Thera) في حال الفشل. وعلى هذا الأساس بدأ الاستعمار بسفينتين قادتا مئتي رجل، توقفتا في جزيرة كريت، حيث رافق السفينتين قائد بحري من كريت لإيصالهم إلى شواطئ ليبيا. وبعد مدّة ست سنوات تمَّ تأسيس مدينة (كيرينا) (Cyrena) في عام (631ق.م)، إذا ما تمَّ تبني التواريخ التقليدية. لم يصطدم الاستقرار اليوناني على الشاطئ الليبي بالسكان الأصليين، على اعتبار أنهم كانوا قبائل متنقلة لا يعنيها

الاستعمار السلمي، الذي لا يتم في كل مرة على هذا الأساس. والاستعمار الآخر الذي لم يكن سلمياً حدث في إيطاليا بالنسبة لموقع تارانت (Tarente)، كما أوضح المؤرخ بوزانياس (Pausanias) الذي كتب في نهاية القرن الثاني الميلادي، بالاعتماد على وثائق قديمة (؟) تابعت سرد الأساطير التقليدية عن تلك المحاولات الاستعمارية.

2-3 (ز-2) استعمار تارانت:

يرى الإسبارطي فالونتوس (Phalantos) الذي احتل تارانت (Tarente) الواقعة قرب الشاطئ الشرقي من جنوب إيطاليا غير بعيدة عن البحر الإدرياتيكي.

تروي الأسطورة التي نقلها (بوزانياس) أن (فالونتوس) استشار وسيط (أبولون) في (ديلف)، وتلقى النبوءة التالية التي تعلمه: "أنه حين يشعر بالمطر تحت سماء صافية، عند ذلك سوف يمتلك منطقة ومدينة". وعلى هذا الأساس وصل (فالونتوس) إلى شاطئ إيطاليا، ولكنه لم يتمكن من فتح المدينة. وأمام هذا الفشل يئس، معتبراً أن وسيط (أبولون) وعده بما هو مستحيل، على اعتبار أن السماء الصافية لا يمكنها أن تمطر.

حزن كثيراً، وأرادت زوجته التي كانت ترافقه تعزيته، فوضعت رأسه على ركبتها، وأخذت تفتش عن القمل في جذور شعره، ثمَّ بكت لحزنه ويأسه، وعجزها عن مساعدته، وانهمرت دموعها على رأسه غزيرة كأنها الأمطار، وكان اسم الزوجة أَيْثرا (Aithra)، ومعناه السماء الصافية. وهكذا تحققت نبوءة ديلف، وفهم الفاتح مغزاها، ثم قام وهاجم المدينة من جديد، وكان له النصر. وكان ذلك كما تحدد التواريخ التقليدية في نهاية القرن الثامن (708)ق.م. وكان الموقع قد شغل قبل ذلك أثناء عصر البرونز، إذ دلت على ذلك كسر فخارية (ميسينية)، ودلت الحفريات فيها على أن سور المدينة يعود إلى القرن السادس ق.م. ولا يستبعد أن يكون السور هو الذي حال دون سهولة فتح المدينة. ويمكن على هذا الأساس تصحيح تاريخ الاستعمار المشار إليه.

لن ندخل أكثر من ذلك في تفاصيل الاستعمار اليوناني، وفق "التقاليد" والروايات التي تعتبر أن الاستعمار اليوناني شمل شواطئ مكدونيا، ومنطقة (البوسفور) على الشاطئ الآسيوي في (Chalcedoine) لمراقبة الولوج إلى البحر الأسود، وعلى الشاطئ المقابل لمدينة (بيزنطيا). وقد تمّ استعمار شواطئ البحر الأسود بقصد التجارة.(؟)

2-3 (ز-3) استعمار ناكسوس وَ سيراكوزا:

كما تم استعمار ناكسوس (Naxos) في صقليا قرابة (730ق.م). وقد أشرنا آنفاً إلى استعمار موقع (سيراكوزا) في صقليا، وطرد السكان الأصليين، مع الاعتراف بأن المنطقة الغربية من الجزيرة بقيت تحت سيطرة الفينيقيين تديرها (قرطاجة).

جميع قصص الاستيطان والاستعمار هنا في زمن لم تكن فيه البلاد قد خرجت مما يعتريها من فوضى وحروب داخلية. ومهما كانت الحالة الداخلية والتفتيش عن أراضٍ زراعية، أو تأسيس مراكز تجارية، كما تتطلبه الهجرة، فمن الصعب تصديق كل ما رُوي عن الاستعمار اليوناني، وتوسعه ما بين القرنين السادس والسابع ق.م. ويمكن التساؤل: هل كان هذا الاستقرار والاستيطان، وليس الاستعمار، في مكدونيا، وعلى مضيق البوسفور، وعلى شواطئ البحر الأسود... إلخ جميعها يعبر عن يونانيين استوطنوا تلك المناطق بعد فتح الإسكندر مستفيدين من إمبراطوريته ومن انكسار الإمبراطورية الميدية (الفارسية)؟ وعبر جميع تلك المحاولات نستغرب ألا يقدم المؤلفون الذين سردوا قصص تلك الاستعمارات أي إشارة إلى وجود فينيقيين، إلا مرة واحدة في جزيرة صقليا! ويمكن القول: إننا لا نزال أمام كتابة تاريخ قد اعتمد التقاليد التي أرادت محو الدور الفينيقي، والتي لم تكن تاريخاً صحيحاً.

4-2- مظاهر صعوبات توحيد البلاد:

إضافة إلى الحروب الداخلية التي أشرنا إليها أكثر من مرة، سواء أكانت حروباً أهلية ضمن المدينة الواحدة، أو بين مدينتين، أو تحالفين، والتي عرفتها بلاد اليونان، فإن المؤلف كلود فيال (Claude Vial) في كتابه (تفسير التعابير اليونانية القديمة) - وهو أستاذ التاريخ القديم في جامعة (ليون II) - يشير في مدخل كلمة حرب (Guerre) إلى أنه في بلاد اليونان، فإن الحرب (Polèmos) هي الحالة الطبيعية، وليس السلم. وكانت المدن تتحارب لكي تدافع عن استقلاليتها، أو لإثبات تفوقها. وكانت الحروب نتيجة طبيعية للتنافس. وهي تعبير عن روح التنافس كأنه نوع من المباراة. ولم يكن السلم إلا فترة استراحة. وكان ذلك هو الوضع المسيطر حتى القرن الرابع ق.م.

4-2 (أ) *الحروب بين مدينتين*:

كانت الحروب بين مدينتين تحدث موسمياً وبصورة عامة في الصيف. ولم يكن هدفها الاحتلال الدائم، بل إتلاف مواسم الخصم، وقطع الأشجار. كما كانت تلك الحروب عبارة عن حملات سلب، أو صدامات مواجهة منظمة. كما كانت لمثل تلك الحروب قواعد، بالنسبة لسحب الأموات من ميدان القتال. وكانت تدوم عادة يوماً واحداً.

4-2 (ب) *حروب بحرية*:

ثمَّ تبدلت القواعد لدى دخول الحروب البحرية، حيث أصبحت أمور التمويل من أهم العناصر، وتمَّ تجنيد الفقراء للاشتراك فيها. وبها أصبح للمهنة الأولوية على الانتظام، كما أصبح للقدرة على قيادتها الأولوية على الشجاعة.

4-2 (ج) *الخطر الخارجي وحدّ المدن*:

الحروب الداخلية حالت بصورة عامة دون توحيد المدن وتنمية الحسّ الوطني العام، قبل حدوث الخطر الخارجي (الحروب الميدية مثلاً). ويمكن القول: إن كل مدينة كانت لها استقلاليتها وتعصبها الأتيني أو القبلي أو الديني، وأعيادها الخاصة، حتى إن كل مدينة كان لها تقويمها الخاص. وكانت السنة تختلف بدايتها بين مدينة وأخرى، ففي (طيبا) مدينة قدموس كانت السنة تبدأ قرابة (نهاية) الشتاء، وتبدأ في (أتينا) مع (بداية) الصيف، كما وتبدأ مع الخريف في مدينة (مكدونيا)، ولم تتوافر حسابات كرونولوجية عادية مشتركة لتحديد السنين المماثلة في مجمل العالم اليوناني. كما إن التاريخ المعتمد بالنسبة للألعاب الأولمبية كان من اختصاص المؤرخين وحدهم، وكان لا بدَّ من انتظار الحقبة الهلنستية لكي تظهر طريقة تأريخ الحقب، وتمَّ ذلك: فالحقبة اللاجيدية (مصر) تبدأ عام (323ق.م)، و السلوقية عام (312/311ق.م).

كانت السنة في المدن اليونانية تتألف من 12 شهراً، وكل شهر من 29 أو 30 يوماً، وأسماء الأشهر هي بصورة عامة مماثلة للأعياد الدينية.

وفق التقويم المعتمد كان عدد أيام السنة العادية يبلغ 354 يوماً، ولكي يتم التوافق بين الأشهر الرسمية والأشهر الشمسية، كانت (أتينا) تدخل في السنة من وقت لآخر شهراً إضافياً لتصحيح ذلك. وهذا تماماً ما فعله حمورابي في بابل منذ (1750ق.م)، ولجأت إليه بلاد اليونان بعد أكثر من ألف عام.

وللدلالة على تباين التقويم من مدينة إلى أخرى، نقدم مثلاً مفاده أن شهر (كانون الثاني/شباط) وفق تقويمنا، هو الشهر الثاني في (أتينا)، والثامن في (ديلف) تحت تسمية مختلفة، ويقابله الشهر الخامس في (مكدونيا). كما إن الصيف (حزيران/ تموز) تقابله بداية السنة في (أتينا)، والشهر العاشر في (مكدونيا).

كل ذلك لا يسهل كما أوضحنا توحيد البلاد، والإحساس بالمصير المشترك، وبالانتماء إلى شعب واحد ووطن واحد. مثل هذا الإحساس نما على الأرجح للدفاع عن مصير البلاد عبر الحروب الميدية، حيث كان الشاطئ الشرقي لبلاد اليونان يشكل حدود الإمبراطورية الأخمينية، وهذا ما أشارت إليه الفقرة "2-4(ج)" أعلاه.

4-2 (د) *دور الألعاب الأولمبية*:

بعد أن أصبحت الألعاب الأولمبية عامة تغطي مناطق ومدن البلاد كافة، ولم تكن كذلك في البداية، بات من الصعب معرفة متى تحوّلت إلى (بانهيللينية) - أي عامة -، على اعتبار أن المباريات كانت طقوساً دينية، كما يوضح بعض الباحثين الجدّيين الذين يرفضون تسميتها "ألعاباً". وإذا ما حدث ذلك فيما بعد، فمن المرجح أن يكون قد تمّ في أواخر الحقبة الكلاسيكية، وبداية الحقبة الهلنستية، أي بعد فتح الإسكندر، عندما أصبحت الأفكار عقلانية في كل شيء، وحوّلت قصص الآلهة في أساطيرها، والتي هي تاريخ ديني مقدّس، إلى أكاذيب، وتهكّمت عليها. سهّل ذلك الكيفية التي روت "التقاليد" الأساطير بواسطتها.

4-2 (هـ) *الإسكندر وانتصاره على الفرس*:

وأخيراً كان انتقام الإسكندر من عدو اليونان الإمبراطورية الفارسية. وأدّى توسعه الكبير في البلاد إلى فخر واعتزاز وثقة بالنفس، وسهّل تنقّل عدد من الفلاسفة والمفكرين والجغرافيين والمؤرخين اليونانيين إلى العواصم الحضارية المحيطة بهم، سواء أكان ذلك في مصر أو في بلاد ما بين النهرين، مروراً بالساحل الكنعاني. وبقصد عدم الاعتراف بأثر انفتاح العالم القديم قبيل وأثناء الحقبة الهلنستية أمام المفكرين اليونانيين الذين لُقِّحوا بكنوزه، يفضل علماء الغرب التحدث عن "الأعجوبة اليونانية". ويجب على باحثينا التعمّق في موضوع تلك "الأعجوبة".

اختراع تاريخ قديم
لبلاد اليونان

3-1- بين القديم والحديث:

أشرنا في التوضيح الذي تصدر هذا البحث أن كتابة تاريخ اليونان القديم، كما نشر عنه ودُرِّسَ في الجامعات الغربية، وعاشت على محتواه أوروبا الغربية وأميركا الشمالية، وغُرس في عقول أجيال عديدة من طلاب العلم، كان تاريخاً تمَّ "اختراعه" لأسباب حاول المؤلف الذي نستعير عنه عنوان هذا الفصل تحليلها إن لم نقل فضحها. وبالطبع فإن الباحث لم يَسلَم من النقد اللاذع والتجريح لأنه تجرأ على التفتيش عن الحقائق التاريخية، وعرضها كما هي، وعمد إلى تفسير الأسباب التي من أجلها تمَّ تبني تأويل خاطئ.

الباحث الذي نقصده هو مارتن بيرنال (Martin Bernal) مؤلف كتاب عنونه (أتينا السوداء)، على اعتبار أنه أراد التأكيد بأن الحضارة الكلاسيكية اليونانية التي عاش الغرب عليها، وفاخر بما قدمته من فلسفة وعلوم هي ذات جذور تأسيسية (أفرو - أسيوية)، بمعنى جذور مصرية وفينيقية لا بدَّ من الاعتراف بها.

يوضح المؤلف (بيرنال) في بداية مقدمته أن تاريخ اليونان القديم صدر عن اتجاهين:

- يمثل الاتجاه الأول بلاد اليونان وكأنها أوروبية بشكل أساسي، أو بتعبير آخر "آرية"[1] الانتماء الأثيني.
- ويمثل الاتجاه الثاني تأويلاً "شرقاوياً"[2]، أي الحضارة الواقعة على حدود كل من المنطقة (الحضارية المصرية)، والمنطقة (الكنعانية - الفينيقية)، التي انطلقت من الساحل الشرقي لحوض المتوسط، ويعتبرها المؤلف "سامية" الانتماء.

١- نحن عادة لا نستعمل التعبيرين العرقيين (آري) و (سامي)، وسيتضح أمام القارئ لماذا استعملهما المؤلف (بيرنال).

٢- بمعنى (Levantin) أي منطقة شروق الشمس بالنسبة لأوروبا.

ثمَّ يسمّي المؤلف الاتجاه الأول (النموذج الآري)، والاتجاه الثاني (النموذج القديم)، ويعني ما سُمّي (بالنموذج القديم) ما مثلته "التقاليد اليونانية المقبولة أثناء الحقبة الكلاسيكية في القرن الخامس ق.م وحتى فتح (الإسكندر)، والحقبة الهلنستية التي تلت وفاه (الإسكندر)".

والجدير بالذكر أن (النموذج القديم) يعني تعاظم الثقافة اليونانية اعتباراً من استعمار المنطقة قرابة عام (1500ق.م) من قبل المصريين والفينيقيين الذين حملوا الحضارة إلى بلاد اليونان. ومن ضمن هذا المنظور، تابع اليونانيون اقتباس وتبني العديد من الثقافات (الشرق - أوسطية).

ومن الطبيعي أن يستغرب الذين عاشوا على (النموذج الآري) وتعلّموه أو علّموه والذين آمنوا به بشكل طبيعي، كما في أوروبا، حين يقال لهم إن ذلك النموذج لم يكن سوى عبارة عن اختلاق يعود إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي. وما يمكن تسميته (بالنموذج الآري) الموسّع، أو الأكثر تطرفاً هو الذي ينكر وجود أي مستعمرات مصرية في بلاد اليونان، ويشكك بوجود المستعمرات الفينيقية.

وبهذه المناسبة ننبّه القارئ الكريم بأن الغرب والثقافة الغربية على الرغم من الكثير من المبادئ النبيلة والمنفتحة "إنسانياً"، والتي قادها مفكرون جديرون بالاحترام، عرفت تناقضات قادتها دوائر أخرى ذات قدرة على التأثير، اعتمدت على التعصب والكراهية، وتصنيف البشر عرقياً ووفقاً لمعتقداتهم. بالإضافة إلى ذلك، الاعتراف بتفوق الغرب أو حقهم في استعمار واستثمار من هم أقل مرتبة منهم في سلم تصنيف البشر وهم يشغلون أعلى مستوياته. على هذا الأساس كان الاستعمار تحت شعار نقل الحضارة والديمقراطية إلى الشعوب. وهذا ما يحدث اليوم في عراقنا الحبيب. ونحن نعلم أيضاً أن الأفكار العرقية أدت في أقصى انحرافاتها إلى (النازية)، التي اعتمدت كذلك على التفوق الآري، وكرهت الشعوب الذين لا ينتمون إلى مفهومها "العرقي" اللاإنساني، واعتبرت منطقة (الشرق - الأوسط) عرقياً "سامية"، ونحن نعلم أن تلك التسمية مستنتجة من عرقية المرويات التوراتية التي صنفت الشعوب عرقياً، ووزعتها بين أبناء نوح: (سام و حام و يافث..)، ودفعت ثمن تصنيفها العرقي هذا، فعرفت أوروبا تيار ما عرف (بالضد - سامية)، والنازية التي هي حركة عرقية موازية كانت بالطبع (ضد - سامية).

اصطلاح "السامية" تبناه مؤرخ نمساوي هو (شلوتزر) في عام (1875م)، مستوحياً من أجل ذلك المرويات التوراتية، واستعمل الغرب هذه التسمية، وعممها، وساعدته بالتالي على كراهية من صنفوا أنفسهم على هذا الأساس. ويمكن القول إن اتهام "الضد - سامية" يوجهه يهود العالم تجاه أي انتقاد لتصرفهم.

أدرجنا هذه المقدمة التي لا علاقة لها بموضوعنا الأساسي بغية استئذان القارئ بأنه على الرغم من كرهنا للتسميات العرقية، ورفضنا التسمية التي تطلق على لغاتنا القديمة تصنيف اللغات (السامية) الغربية أو الشرقية، وتعتبر جميعها "لهجات عربية قديمة"، فإننا تسهيلاً لمتابعة البحث سوف نستعمل تعبير (سامي) مقابل المفهوم (الآري) الذي يؤدي دوراً مهماً في تحوير وإنكار أصول الحضارة اليونانية، بقصد إبعادها عن حقيقةٍ رفضوا الاعتراف بها، وعمدت أوروبا الغربية إلى نشر تعاليمها المبتورة ناكرة جذور مصر والساحل (الكنعاني/ الفينيقي) في حضارة بلاد اليونان. كما تبنّت ذلك "النموذج الآري" المتطرف الذي عرف أوج مراحل تطرفه أثناء ما عرف في الغرب، ولا سيما في أوروبا، بحقبة (الضد - السامية). ومن الطبيعي أن تشمل هذه الحقبة ما هو (الضد - العرب).

بدأت تلك المرحلة عام (1890م)، حتى إنه بين عامي (1920 و 1930م) وصلت مغالاة النموذج (الآري) إلى نفي كل تأثير ثقافي فينيقي أو مصري في بلاد اليونان، مكتفياً باعتبار أن هناك هجرات أتت من الشمال، وزالت بنتيجة ذلك الثقافة المحلية، ثقافة بحر إيجة. وعلى هذا الأساس تمَّ تفسير الحضارة اليونانية بأنها نتيجة تفاعل الهيللين الوافدين - وهم شعوب لغتهم (هندو - أوروبية) - مع السكان الأصليين. لذلك رأى المؤلف (بيرنال) أن يضيف إلى عنوان كتابه باللغة الإنكليزية: (فبركة تاريخ اليونان القديم (1785-1985م)"[1].

ويعني ذلك أننا لا نزال حتى اليوم نعيش تحت حكم نظام (النموذج الآري)، الذي فُرض في المدارس والجامعات الأوروبية، وفُرض أيضاً على الذين تلقوا علومهم العليا في الخارج من أبنائنا.

لذلك عندما نشر المؤلف (بيرنال) كتابه (أتينا السوداء) عام (1987م)، إنما أراد التنبيه إلى التزوير التعصبي الذي عرفه تاريخ اليونان، وإنصاف حقيقة التأثير المصري والفينيقي في تلك الحضارة.

كل متفحص لموقع بلاد اليونان المؤلفة من شبه جزيرة كبيرة مخرمة الشواطئ، تحيط بها من جهتي الجنوب والشرق جزر عديدة أكبرها جزيرة (كريت)، سيعرف أن تلك البلاد أحاطت بها حضارتان متقدمتان هما: مصر والساحل الكنعاني في الجنوب والشرق. أمَّا شمالها، فإنه يشمل مناطق: (تراس)، و (مكدونيا)، و (إيلليريا)، التي هي اليوم (بلغاريا)، و (يوغسلافيا)، و (ألبانيا).

1- The Fabrication of ancient Greece (1785-1985).

أمَّا فيما يتعلق بالنموذج الذي أطلق عليه (بيرنال) تسمية (النموذج القديم)، فإنه يشرحه كما يلي متحدثاً عن نفسه:

"إن قصص الوجود المصري والفينيقي عن تاريخ بلاد اليونان يستند إلى وقائع ثابتة وتاريخية حقيقية. وهذا الوجود، أنا أظهره فقط في زمن أقدم، هو النصف الأول من الألف الثاني ق.م. كما أعتبر أن الحضارة اليونانية كانت نتيجة تمازج ثقافات تعود إلى مراحل استقرار الوافدين في البلاد، وممارسة ثقافتهم، وإلى جميع التأثيرات التي تلت، آتية عبر جميع مناطق المتوسط الشرقية".

وبالإضافة إلى ذلك، ووفقاً لما يعتبره (النموذج الآري)، فإن الهجرات الآتية من الشمال، أو الدخول التدريجي لمن قدموا من الشمال عبر الألف الثالث ق.م، يتكلمون لغة (هندو - أوروبية). وهذا التأويل يصححه نوعاً ما (النموذج القديم المعدَّل) الذي يعتبر أن السكان الأولين كانوا يتكلمون لغة قريبة من (الهندو - حثية)، التي لم تترك إلا بقايا ضئيلة في اللغة اليونانية. وليس من الممكن في كل الأحوال اعتبارها أساساً لوجود عناصر غير أوروبية في اللغة التي تشكلت فيما بعد، والتي هي استعارات من اللغة المصرية والفينيقية، وهذا ما سنعود إليه فيما بعد.

وهذا هو (بيرنال) من جديد يصرح في مقدمة كتابه قائلاً:

"إذا كنت على حق فيما أعلن، فإنني أرغب أن يُنتزع (النموذج الآري) من على قاعدته التي ارتكز عليها، وأن يستعاض عنه بالنموذج (القديم المعدَّل). ولذا فإنه ليس علينا فقط إعادة التفكير "بأسس الحضارة الغربية"، ولكن علينا الاعتراف بتأثير التعصب العرقي، وكره الشعوب في أوروبا عبر كامل روايتنا للتاريخ وكتابتنا له، ومفهومنا لكتابته بصورة عامة".

وفيما يخص (النموذج القديم) الذي يُعترف فيه بكل بساطة بتأثير مصري وفينيقي، فإنه لم يكن مقبولاً في نظر الرومانسيين وأيديولوجيي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر العرقيين، أن تكون بلاد اليونان التي كانوا يرون فيها الجذوة المنيرة لبذور الحضارة الأوروبية، وتجسداً لصفاء الطفولة الأوروبية، هي نتيجة لمزيج عاشه أوروبيون محليون مع مستوطنين أفريقيين و ساميين، أي مستوطنين من مصر ومن فينيقيا.

3-2- مؤرخون غربيون يدعمون النموذج الآري، وغيرهم من الموضوعيين:

يكفي لدعم ما يسمى (بالنموذج الآري) نفي التأثير الحضاري المصري أو الفينيقي في بلاد اليونان التي تعتبر المؤرخ والباحث مستقيم الرأي بالنسبة لنظام (الإيستابليشمانت)، ونقدم فيما يلي بعض الآراء بين عامي (1820 و 1885م):

3-2 (أ) المؤرخ مولر (K. O. Müller):

المعروف بميوله (الضد - سامية)، وهو الذي نفى دور الفينيقيين في تأسيس الحضارة اليونانية، كما إن هجومه ضد قدموس لم يكن مقبولاً بصورة عامة حتى في زمنه، مع أنه بالإضافة إلى تقلص الإعجاب بالنسبة لمصر، فقد رافق ذلك تزايد الاحترام لدى صدور كتاب نشره موفرز (F. C. Movers) عن الفينيقيين.

3-2 (ب) المؤرخ موفرز وكتابه عن الفينيقيين:

كان ذلك عام 1840م، معتمداً كل المراجع الكلاسيكية والتوراتية المتعلقة بذلك الشعب. وقد اتجه (موفرز) إلى إرجاع دينامية الفينيقيين إلى تأثيرات أتت من الشمال، ولا سيما تأثيرات آشورية[1]. وكعدد من المؤرخين اللاحقين الذين تميزوا بإعجابهم بتلك الحضارة الآشورية العنيفة، التي كانت توصف مراراً بأنها أقل "سامية"[2] مما كانت توحي به اللغة التي هي "سامية" الجذور.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن عدداً من مؤرخي القرن التاسع عشر، أعاد الانتصارات العسكرية الآشورية إلى تأثيرات "بيضاء". كما إنه بعد سقوط بابل بيد الفرس، اعتبر المؤرخون الغربيون أن الساميين: إذا ما فقدوا أهميتهم في الشمال وفي الشرق، فإنهم كانوا من الرابحين في الجنوب، ولا سيما فيما يتعلق بوجود الفينيقيين في اليونان، وليس وحده (موفرز) الذي قبل بجميع ما نسبه القدماء إلى الفينيقيين، ولكنه أضاف إلى ذلك تأثير داناوس (Danaos)[3] الذي

١- يذكر (موفرز) هنا بإعجاب المرويات التوراتية بالفرسان الآشوريين.
٢- ورد في كتاب (موفرز) ص (256-302).
٣- Danaos: وسوف نرد تفاصيل وشروح حوله فيما بعد.

أرجعه إلى طرد الهيكسوس من مصر، وهم الفينيقيون الذين حكموا في منطقة الدلتا.

2-3 (ج) النموذج الآري والمؤرخ جوبينو:

(جوبينو) هو من أكثر الباحثين العرقيين المدافعين عن (النموذج الآري)، حين كتب في عام 1850م في الوقت الذي كان فيه (النموذج الآري) يعترف بوجود الإثنيات التي دخلت بلاد اليونان. ونقدم عنه فيما يلي الصورة التي رسمها عن واقع البلاد وفق تصنيفه العرقي للتواجد البشري:

1- هيلليني‌ون: وهم (آريون) معدَّلون بواسطة العنصر الأصفر (أي الآسيوي)، ولكن الأكثرية بيضاء مع بعض الأثر السامي.
2- سكان أصليون ممزوجون بعناصر صفراء: وهم أصلاً (سيلتيون) و (سلاف).
3- (تراسيون): وهم آريون مختلطون مع (سيلتيين) و (سلاف).
4- فينيقيون: وهم (حاميون)[1] سود.
5- عرب و عبريون: وهم (ساميون) متمازجون كثيراً.
6- (فلسطينيون): وهم ساميون قد يكونون أكثر نقاوة.
7- (ليبيون): وهم حاميون شبه سود.
8- (كريتيون) وسكان جزر أخرى: وهم (ساميون) أكثر شبهاً (بالفلسطينيين).

وبهذه المناسبة، لا يمكننا عدم التعليق بسرور على تصنيف (جوبينو) الغريب والعرقي، كما درجت على مثل تلك التصنيفات والاتجاهات العرقية للآريين آنذاك. وإذا ما استبدلنا فيه تعبير "عرق" بتعبير أصح هو "ثقافة"، فإن مثل هذا التصنيف يشير فعلاً إلى مختلف الإثنيات والثقافات التي عرفتها بلاد اليونان، والتمازج الذي يعترف به (جوبينو).

وما يلفت النظر أيضاً هو تصنيفه الفلسطينيين وفق ثقافة (سامية) من ضمن النقطة (6) أي كنعانية، وهذا صحيح، واعتراف منه بأن ثقافة النقطة (8) هي أيضاً سامية، أي (كنعانية/ فينيقية)، وكذلك سكان جزر أخرى، ويعني ذلك استيطان الفينيقيين في كريت وجزر بلاد اليونان.

١- التوراة أبعدت الكنعانيين عن أرض كنعان، وصنفتهم مع أبناء (حام) المصريين.

وعلى الرغم من حماسه بالنسبة (للآرية) العناصر الهيللينية، فإن (جوبينو) يرى أن بلاد اليونان القديمة قد عرفت بكاملها تأثير أكثرية أفريقية وسامية بشكل كامل، وكل من يلقي نظرة على شعب اليونان اليوم لا يمكنه اعتبارهم منحدرين من اليونان القدماء (الهيللين).

2-3 (د) *رأي المؤرخ جلادستون* (Gladstone):

كتب (جلادستون) عام (1869م) ما يلي:

"إن تحقيقاً معمقاً فيما يتعلق بموضوع الفينيقيين، يشير بشكل واضح إلى أنني غامرت من جهتي حين شككت بالدور ذي الأهمية الكبرى الذي كان لهم في تشكيل الشعب اليوناني. وإذا ما صح ذلك التأثير في الحقبة الهوميرية أو في الحقبة التي سبقت، فإن ذلك يفتح آفاقاً جديدة على تاريخ العالم القديم".

كتب (جلادستون) قبل اكتشاف مدينة ميسين (Mycènes) التي كانت حضارتها تختلف تماماً عمّا عرفته المكتشفات اليونانية، لذلك فإنها أُعتبرت إمَّا بيزنطية أو غوتية أو شرقية. وتمَّ الاتفاق على أنها "بشعة"، واعتبرت إمَّا مستوردة أو منفَّذة محلياً من قبل حرفيين شرقيين.

ولكن حقيقةً فرضت نفسها، وهي أن المكتشفات كانت من عمل مستوطنين فينيقيين. وقد أشار إلى ذلك أيضاً الباحث ماكس دانكر.

2-3 (هـ) *الباحث ماكس دانكر* (Max Dunker):

عام (1880م)، حيث كتب:

"إن تفحص المنشآت الأقدم عل أرض اليونان، يقدم الدليل على أن تجارة نامية فينيقية كانت قائمة على شواطئ البلاد. وليست المكتشفات وحدها التي عثر عليها داخل المنشآت التي تثبت ذلك، بل المنشآت نفسها تشهد بذلك التأثير الفينيقي في بلاد اليونان. وشاءت التقاليد اليونانية أن تشير بنفسها إلى أن ابن أحد الملوك الفينيقيين أسس مدينة على أرض اليونان، وهي المستعمرة الوحيدة التي أوردتها التقاليد، وبالطبع فإنها لم تكن الوحيدة على سواحل الهيللاد".

وبالطبع فإن رد الفعل السلبي لم يتأخر، وقد أتى مباشرة من قبل أرنست كورتيس.

3-2 (و) *إرنست كورتيس* (Ernest Curtis) *مجيباً ومدعياً*:

"إنه إذا ما وجدت مستعمرات فينيقية في بلاد اليونان، وحتى لو لم يذكر ذلك، فإن تأثيرها في البلاد كان تافهاً إن لم نقل معدوماً ".

3-2 (ز) *مجلة الأركيولوجيا الأمريكية* (American Journal of Archèology):

نشرت المجلة في عدد (مارس 1885م) مقالاً عمد إلى إنهاء موضوع الفينيقيين معتبراً أنهم:

"أدخلوا إلى اليونان فكرة واحدة، وهي فنهم الذي لا يكاد يستحق تسميته كذلك. إنهم كانوا عبارة عن تجار وسماسرة، وعمارتهم ورسومهم وتماثيلهم كانت من النوع الأقل تخيلاً، وديانتهم وفق ما نعرفه عنها كانت تتوجه إلى الحواس فقط".

3-2 (ح) *عودة إلى موفرز وَ جوبينو*:

في عام (1880م) وحين تعرّف الغرب على حضارة بابل، اكتشف ظهور نوع جديد من (الساميين) المقبولين. وقد أثارت حضارة ما بين النهرين إعجاب العديد من الباحثين مثال (موفرز) و (جوبينو). كما اهتموا كثيراً بعلاقة بابل والمرويات التوراتية، إلا أن الباحثين تمسكوا، بغية الانتقاص من أهمية حضارة (بابل)، بأنها ذات أصول سومرية وليست سامية، ولا نزال في التصنيف العرقي.

3-2 (ط) *رأي سلبي لـ إرنست رونان* (Ernest Renan):

(إرنست رونان): هو أقدم مستشرق فرنسي أتقن اللغات "السامية"؛ وهو الذي كلفه (نابليون الثالث) في عام (1855م) بزيارة الساحل الكنعاني وتقديم تقريره بهذا الخصوص. وقد زار عمريت قبل (دونان) و (صليبي)، واهتم بالمعبد منذ عام (1860م).

وهو الذي لم يتأخر بإظهار عيوب "العرق السامي"، وعبر عن رأيه بهذا الصدد كما يلي في قوله:

"نلاحظ في كل شيء أن العرق السامي كان عرقاً غير مكتمل، حتى بالنسبة لبساطته التي هي، كما أجرؤ أن أقول، بالنسبة للعائلة (الهندو - أوروبية)، يمثل التضاد بين المضيء والمعتم في الرسم (...)، وينقصه التنوع والرحابة. وهذا الزخم من الحياة الذي هو شرط التطور لبلوغ الاكتمال والكمال".

ثم يضيف - وكأن الفقرة السابقة لم تكن كافية بالنسبة لحكمه السلبي على ما هو العرق السامي - قائلاً:

"وهكذا فإن العرق السامي يمكن التعرف عليه بواسطة ميزاته السلبية، فهو لا ميثولوجيا له، ولا علوم، ولا فلسفة، ولا قصص خيالية، ولا فنون بلاستيكية، ولا حياة مدنية، أي أنه في كل شيء هو غياب التشعب، ودقائق المعاني وتنوعها، وهو إحساس بالوحدة، إذ لا وجود للتنوع في الوجدانية الدينية".

وعلى ضوء تصريحاته أعلاه يحق لنا أن نتساءل: ما مدى عمق استشراقه؟ وبالطبع حين كتب (رونان) في عام (1860م) كان ذلك قبل اكتشاف (أوغاريت) وملاحمها وميثولوجيتها في عام (1929م)، وما بعد. وكما إن (أور) في بلاد الرافدين تمت زيارتها للمرة الأولى عام (1854م)؛ والحفريات الرسمية التي أجراها ليونارد وولي (Leonard Woolley) تمت بين عامي (1919م) و (1934م).

3-2 (ي) *بين عصر الحديد وعصر البرونز*:

إن الباحث (أستور) ومن تلاه جعلوا الفينيقيين يتواجدون في اليونان في عصر البرونز. وحاول آخرون جعل إقامتهم في عصر الحديد الأول (قرابة 1200ق.م). أمَّا مقالات الباحث البلجيكي فان بيركيم (Van Berchem) تحت عنوان معابد "هيراكلس - ملكارت"، فقد اعتبرت مساهمة في دراسة توسع الفينيقيين في المتوسط، وتمَّ نشرها في عام (1967م). وقد أشارت إلى مدى أهمية التأثير الفينيقي في بداية الألف الأول، وهناك باحث بلجيكي آخر هو جي بونينز (Guy Bonnens). وقد نشر في عام (1979م) مرجعاً أساسياً عن الانتشار الفينيقي.

3-3- مرتكزات ابتداع النموذج الآري:

أشرنا آنفاً ضمن الفقرة "3-2(ط)" إلى عيوب وعدم اكتمال العرق (السامي)، كما عرض مزاياه السلبية العديدة (إرنست رونان). ولا ندري إذا ما كان هذا المستشرق قد تأثر بالحقبة التاريخية التي عاش فيها، أو أنه أراد "لسلامته المهنية" عدم مخالفة الآراء السائدة في عصره آنذاك، وتلك المرحلة التاريخية التي كان يميزها عصر استعمار الشعوب، ونهب ثروات البلاد المستعمَرة من قبل دول أوروبا الغربية في كل من الشرق الأوسط، وأفريقيا الشمالية، وأفريقيا السوداء. وفي الوقت نفسه تجزئة البلاد، ورسم حدودها الاصطناعية، واقتسامها من قبل "العرق المتفوق"، أي ما سُمّي بالرجل الأبيض، الذي عامل بازدراء الشعوب المستعمَرة، وأسس لذلك علماً يُسوِّغ له هذا الازدراء سمَّاه "علم الأعراق"؛ اعتبرت بموجبه الشعوب التي احتلها تشغل درجة أدنى مما هو عليه "الرجل الأبيض الأوروبي الغربي" الذي يشغل قمة التصنيف العرقي،

ومن هم في الدرجات الدنيا محكوم عليهم عرقياً البقاء كذلك، وكأن وجودهم كان فقط لخدمة الرجل المتفوق، وتأمين مصالحه، ولا أمل لتلك الأعراق إلا ما كتبه لها "علم الأعراق".

هكذا تم بناء (النموذج الآري)، ودرست الحضارات القديمة آنذاك على أساسه. وهكذا كان من غير المعقول أن يكون لمصر أو لفينيقيا أي تأثير إيجابي في حضارة اليونان لأن ذلك يخالف "علم الأعراق"! حتى إن تشبيهاً أطلق كتفسير لاستحالة وجود أي تأثير إيجابي. ويعتبر هذا التشبيه أنه كما كانت قصص (حوريات البحر) وقصص السانتورات (Centaures)[1] تتناقض مع قوانين الطبيعة، هكذا كانت قصص الاستعمار المصري أو الفينيقي حامل الحضارة إلى اليونان من شأنه مخالفة "علم الأعراق"، ولا يمكن إذاً تصديقه.

3-4- تسخير التعليم الجامعي:

سيطر المدافعون عن (النموذج الآري) على التعليم الجامعي، وحاولوا منع كل من يخالف آراءهم من ممارسة حريته بشتى الوسائل الملتوية. وهكذا تمكن التعليم الجامعي في أوروبا من استبعاد كل تأثير مصري أو شرقي فينيقي لأسس تطور الحضارة اليونانية، وغَرَسَ تدريجياً في عقول الطلاب مثل تلك الحقائق التي قبِلها طلابهم. وحتى لو أرادوا التعمق في البحث من قبلهم بغية التعرف على حقيقة ما حدث عبر التاريخ القديم، فذلك كان يتطلب معرفة واسعة، لا يملكها الطالب الذي يتقبل ما علمه إياه أساتذته دون أي تشكيك.

وحتى حين بدأ جيمس فريزر (James Frazer)[2] و (جين هاريسون) في نهاية القرن العشرين بنشر دراساتهما التي قارنت بين الثقافات القديمة، فإن تلك الدراسات لم تتمكن من تعدي الحدود التي قررها لها كارل أوتفريد موللر (Karl Otfried Müller) قرابة عام 1820م. وهو الرجل الذي هدم (النموذج القديم)، ووجّه الباحثين، ودفعهم لدراسة الميثولوجيا اليونانية من ضمن إطار الثقافة الإنسانية بصورة عامة، ورفض رفضاً باتاً أي تأثير من قبل الثقافة الشرقية.

عرفت حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية وجود بعض التقلص في الأفكار المضادة للسامية في مجال الدراسات الجامعية الغربية. وكان يجب أن ينتج عن ذلك اعتراف بالدور الذي أداه الفينيقيون في تشكل الثقافة اليونانية. وكما كان يجب على الجامعات الأوروبية والأميركية التي كانت تمنع المفكرين الاعتراف بدور الفينيقيين،

١- Centaures: مخلوقات ذات رأس رجل، وجسم حصان.

٢- James FRAZER: صاحب كتاب السمبلة الذهبية Epid'or.

وقبلهم الكنعانيين في بلاد اليونان. وهذا المزلاج حين يتم سحبه سوف يكون له تأثيره الإيجابي في حلحلة النظام المفروض على البحث في الإطار الجامعي. ومن الممنوعات أيضاً رفض الاستعمار المصري، وبالتالي الهيكسوسي القادم من مصر، وذلك أثناء عصر البرونز (1600-1300ق.م). وعندما حاول باحثان ألمانيان بصعوبة وعناء عرض آراءهما بهذا الصدد، فإنهما اصطدما بمشكلة الأوساط الجامعية التي لا تزال بعيدة عن قبول هذا الاتجاه، وإعادة الاعتبار إلى المصريين والفينيقيين.

ومن المؤسف القول إنه بعد الحرب العالمية الثانية حاولت بعض التيارات المصرية "الفرعونية" الترويج للادّعاء بأن مصر (غير عربية). ومع ذلك لم يؤدِّ الادّعاء أعلاه إلى أي فائدة على اعتبار أن (النموذج الآري) موجه في الوقت نفسه ضد السامية والأفريقانية. وبالطبع لم يدم الادعاء المصري، وتبدّد منذ وصول عبد الناصر إلى السلطة في مصر.

لم يعارض الباحثون المصريون فكرة الإجحاف بحق مصر بالدور الذي أدته في حضارة بلاد اليونان، على اعتبار أنهم لا يشككون بما يعرضه الباحثون الغربيون بالنسبة لتاريخ اليونان القديم قبل فتح الإسكندر. ووحدهم (أقباط مصر) و (الأفرو - أميركيون) وبعض باحثي أفريقيا الغربية أرادوا التأكيد بأن مصر أفريقية وسوداء؛ ولم يهتموا بأثرها في بلاد اليونان. كما إنهم حين يهتمون بذلك، لا يرون بشكل خاص إلا الدراسات التي حققها اليونانيون أثناء زيارتهم لمصر، ويعتبرون أنهم نهبوا لمصلحتهم الفلسفة والعلوم المصرية بعد فتح الإسكندر.

كما إن هناك سبباً آخر عرقل إعادة الاعتبار للنموذج القديم فيما يتعلق بمصر، وعلى العكس من المدافعين عن الفينيقيين، فإن المثقفين السود ليسوا في غالبيتهم جامعيين، وما يكتبونه لا يتعدى أن يكون مقالات وكتب ذات أعداد صغيرة تتداولها حلقات الأصدقاء ويتهافت عليها جمهور متحمس، كما إنها لا تتواجد في المكتبات، وهي غير متوافرة اليوم.

وما يثبت ذلك أن (مارتن بيرنال) صاحب كتاب "أتينا السوداء" يصرح آسفاً بأنه عمل 8 سنوات لبناء كتابه (المؤلف من ثلاثة أجزاء) مع جهله جود عدد من المنشورات عن هذا الموضوع، مضيفاً:

"وتأسفت اليوم لأنني وجدت نفسي أقرب من التماثيل السود أكثر من قربي من التاريخ القديم (الأرثوذوكسي) - أي المستقيم الرأي المراد فرضه - ."

ثم يضيف (بيرنال) عن الدور الفينيقي بالنسبة لليونان:

"يجب أن يكون هناك عدة باحثين متحمسين لاكتشاف وإبراز دور الفينيقيين في مجال تشكل اليونان، وكذلك الأسباب السياسية لإنكار ذلك (...). وليس بالإمكان اليوم أن تثار أمام جمهور الاعتراضات الأيديولوجية القديمة ضد (النموذج القديم) (...). ولكنني على ثقة أن هذا الموقف هو اليوم في تناقص دائم، وأصبح نادراً في الأوساط الجامعية المتحررة. كما إنني على ثقة بأن (النموذج القديم) سوف يعاد العمل بموجبه في بداية القرن 21".

نحن اليوم في بداية القرن 21، ونأمل أن يكون (بيرنال) صاحب كتاب (أتينا السوداء) على حق، مع أنه هو أيضاً تمت محاربته وانتقاده حين نشر كتابه عام (1987م). وترجمته الفرنسية التي نعتمدها نُشرت اعتباراً من عام (1996م).

وفي عودة إلى موضوع التعليم الجامعي، يمكن القول إن المواقف السلبية التي يتألم بسببها الأفريقيون والآسيويون "الساميو الانتماء" ما زالت تشكل عقبة لم يتم تعديها. وعلى الرغم من استقلال دول العالم الثالث التي كانت مستعمرة من قبل انكلترا وفرنسا، فإن نموذج حكم "الرجل الأبيض" الأوروبي لا يزال يعتبر المثال الذي يجب أن يسير عليه العالم الثالث، كما يدعي ذلك (الاستعمار - الجديد) في اعتباره تفوق النظام الثقافي الأوروبي وضرورة الأخذ به.

ثم جاءت التطورات الجديدة في (القرية العالمية) بعد عولمة التجارة، وفتح الحدود، والنجاح الاقتصادي الذي حققه اليابان، ومع التذكير بأن هتلر يوم صنف الأمم وفق عرقيتها أطلق على اليابان في الثلاثينيات صفة "الآريين شرقياً"، كما دخلت الصين والهند عالم المنافسة الأممية، أمَّا الشيخ العربي الرومانسي، فإنه في عرف الغرب قد تحول إلى ملك البترول المتهدل، وإلى "إرهابي" في فلسطين، وتمَّ إيقاظ الحق القديم المسيحي ضد الإسلام وأُطلق الحقد ضد العرب.

مع التذكير أيضاً أن أوروبا كانت عبر القرن التاسع عشر معجبة بالفرس وأصبحت الجمهورية الإسلامية الإيرانية اليوم تمثل لها سمات الشيطان. تلك هي الحالة العامة في (القرية العالمية) اليوم، وبالإضافة إلى ذلك فإن الأوروبيين عبر فترات الاستعمار أدخلوا إلى عقول الأجيال التي عاصرتهم، أنهم وحدهم قادرون على ممارسة "التفكير التحليلي"، حتى إن عدداً كبيراً من المتعلمين السود يميلون بنتيجة ذلك إلى إنكار ذكائهم التحليلي، ويلجؤون إلى اعتبار أنفسهم يتحلون

بالصفات الأنثوية: كالحدس، والحرارة الإنسانية، والحس الاجتماعي، والخلق الفني؛ حتى إن الباحث (جوبينو)[1] الذي أشرنا إليه آنفاً يعترف بتلك الصفات.

أمَّا فيما يتعلق بنظرية "الأعجوبة اليونانية" التي سوف نعود إليها فيما بعد، فلا أحد يحق له التشكيك بها على الرغم من تقدم العلوم الأركيولوجية والعلوم القديمة الكلاسيكية. وحتى عام (1970م) بقي (النموذج الآري) يشكل "حقيقة علمية"، وبقي يَعتبر المدافعون عنه أن (النموذج القديم) لم يكن متجانساً، ويجب محاربته، وعدم إعارته نظرة جدية، ولا سيما اعتماده على أساطير مثيرة للضحك.

وحين تقدم هيلم (P. R. Helm) وهو أحد طلاب جامعة (بنسلفانيا) بأطروحته إلى معقل الأستاذ موهلي (Mohly)، حيث قدم من ضمنها معلومات أركيولوجية تستحق الاهتمام، وتثبت وجود الفينيقيين في بحر إيجة منذ القرن العاشر ق.م، فإن هذا الطالب لقي صعوبة قصوى أمام أستاذه (موهلي) الذي كتب ونشر نقداً لاذعاً لنظريته.

3-5- جمود العقلية الآرية مفاجئة حل رموز الكتابة المقطعية الكريتية:

إن التعصب والدكتاتورية الفكرية التي مارسها المدافعون عن (النموذج الآري)، كان من شأنها تجميد عقلية الباحثين والمؤرخين الخاضعين لذلك النظام، ومحاولتهم هدم كل اكتشاف أثري يتناقض مع من أرادوا فرضه، وتحجرت بالطبع أدمغتهم، ولم تقبل التطور، وكانوا بالإضافة إلى ذلك يدافعون عن مراكزهم ولا يريدون التخلي عنها، أو السماح لمن يخالفهم الرأي ولوج حرمهم الفكري من خارج مدرسة النظام الذي فرضوه.

إلا أن حماس المستقلين الذين يلجون من جديد باب البحث المشار إليه، وقد يجدون بدورهم ما من شأنه أن يؤدي إلى تقدم المعرفة فيما يخص الموضوع نفسه، ولا مانع من حكم الاختصاصيين على ما يصلون إليه.

وهذا ما حدث فعلاً على يد الهواة الذين بواسطتهم تقدمت المعرفة عن الحضارة القديمة، وذلك بواسطة اختراقين مهمَّين حدثا بالنسبة للعلوم الهيللينية منذ (1850م) ومنذ أن تمَّ اكتشاف الكتابة المستقيمة (B) أي اللينيار B (Linear B) في (ميسين)، وهي التي نقلها الميسينيون من كريت بعد احتلالها في عام (1400)ق.م، والتي دخلت اليونان إلى كل من مدينة (ميسين) و (بيلوس)، ودامت حتى نهاية

١- ورد ذكره في الفقرة "3-2(ج)".

القرن الثالث عشر ق.م، وهي الوحيدة التي عُثر عليها خارج (كريت) في هذين الموقعين. الاختراق الأول كان إذاً اكتشاف (ميسين)؛ أمَّا الاختراق الثاني فهو حل رموز الكتابة (الليني‍ار B). والجدير بالذكر أن هذين الاختراقين نفذهما هاوِيان من خارج مدرسة النظام المتحجر، وهما: شلييمان (H. Schliemann) الذي نفذ حفريات (طروادة) و (ميسين) عام (1870م)، وهو صناعي ألماني، ولم يكن أستاذاً جامعياً. واقترح علاقات ساذجة ولكنها مثمرة بين الوثائق التاريخية والطبوغرافيا والأسطورة، وأثبت أن ما هو من المسلّمات ولا يحتاج لأي إثبات لا يمكن أن يكون خطأ مهما اعتقد الجامعيون عكس ذلك.

أمَّا الهاوي الثاني، فهو فانتريس (Michael Ventris) الذي كان مهندساً معمارياً إنكليزياً - يونانياً. وهو الذي تمكن من حل رموز كتابه (الليني‍ار B) (L. B) في حين عجز عن ذلك اختصاصيون لغويون عديدون، واعترف له جميعهم بالأفكار التي قدمها، بعد أن كانوا يحاولون من جهتهم الاعتماد على لغة أناضولية دون نتيجة. وبالطبع فإن ما حققه ذلك المهندس المعماري سبب بعض الاضطراب في برامج الاختصاصيين الرسميين التي لم تعد صالحة، وكان عليهم تعديلها، والذين لم تكن لهم الكلمة الأخيرة.

كان المدافعون عن (النموذج الآري) يعتبرون أن الهجرات (الدورية) لم تنتشر في الجنوب إلا بنهاية عصر البرونز قرابة (1100ق.م). ولكن حل رموز (الليني‍ار B) وتصنيف لغة هذه الكتابة بأنها يونانية نقض النظرية الآرية، ولكنها بقيت تدافع عن وجهة نظرها حتى عام (1970م). كما إن اكتشاف طروادة وحل رموز (الليني‍ار B) شكلا ثورة في البحوث الهيللينية. ومن المفيد ذكره أن المكتشفين لم يكونا من المهووسين (بالنموذج الآري). وقد أشرنا آنفاً أن (كانتريس) قارن بكل بساطة (الليني‍ار B) مع اللغة اليونانية عوضاً عن محاولة مقارنتها مع الكتابات واللغات الأناضولية المعقدة والصعبة الفهم. كما إن مقارنة (الليني‍ار B) مع الكتابة المقطعية القبرصية، جاء ليدعم ما كشفه (فانتريس)، على اعتبار أن تلك الكتابة بقيت مستعملة حتى العصر الهللنستي. وهذه الحقيقة كشفها الباحث جورج سميث (Georges Smith).

ولا بدَّ من الاستفادة من حل رموز (الليني‍ار B) لدعم النموذج القديم، على اعتبار أن لغة الكتابة تلك كشفت عن وجود استعارات لغوية مصرية وسامية احتوت عليها.

3-6- الاستعارات اللغوية الكنعانية ومشكلة الإله ديونيزوس:

حين عرض (مارتن بيرنال) صاحب كتاب (أتينا السوداء) ما اكتشفه من استعارات لغوية عن المصرية والسامية، قبِلها علماء الهيللينية، ولكنهم وجدوا

فيها نظرة سطحية، وتحمل عيوباً تبطل أهميتها". ويعني ذلك أنهم بكلمة واحدة ألغوا محتوى بحوث ذات أهمية تعيدهم إلى زمن أقدم من تصورهم عن ظهور اللغة "ما قبل - اليونانية" المعدة لها، وكذلك علاقة مصر والفينيقيين ذات الأهمية لكي تتأثر بها. أمَّا حين عمد (فانتريس) إشراك اختصاصي هيلليني هو جون شادويك (John Chadwik) لدعم اكتشافه عن (اللينيار B)، فإن أصحاب (النموذج الآري)، لم يروا بدّاً من الاعتراف بأهمية الاكتشاف وتبنيه، والذي في عرفهم دعم توسيع مجال نظريتهم في الزمان والمكان.

إلا أن الأمر لم يكن بهذه السهولة، فإن احتواء كتابه (اللينيار B) على اسم الإله (ديونيزوس)، كان بمثابة عقبة أمام أصحاب (النموذج الآري)، على اعتبار أنهم يحددون أن هذا الإله لم يلج المعتقدات اليونانية إلا في زمن متأخر عبر القرن السابع أو السادس ق.م، وأن اكتشافه في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهو تاريخ لوحات (اللينيار B)، يعني إمكان إعادة ولوج (ديونيزوس) المعتقدات اليونانية منذ القرن الخامس عشر ق.م.
وعلى الرغم من هذا الاضطراب في نظرية أصحاب (العلوم الهيللينية)، فإنهم تابعوا عدم إعارته الأهمية المستحقة.

وكان الأخطر من ذلك اكتشاف أسماء عَلم مصرية وسامية في (اللينيار B)، وعدد كبير من الكلمات المستعارة تتعلق بمواد وأشياء غريبة عن اليونان، وعن كريت مثل التوابل والذهب... إلخ، والتي يعتقد أنها أُدخلت من قبل الفينيقيين، ومع ذلك لم يشأ الهيللينيون الاعتراف بالتناقض مع نموذجهم الآري، وفتشوا عن دعم نظريتهم، ولذا تمَّ الاتفاق في الخمسينيات، على اعتبار أن (البروتو - يونانيين)، وهم مهاجرون يتكلمون اللهجة (الهندو - أوروبية)، وصلوا إلى الحوض الإيجي بنهاية (الهيللاديك القديم)، أي قرابة (2200ق.م). وهكذا أضافوا إلى النموذجين (الآري) و (القديم) نظرية ثالثة تدافع عن نموذج (السكان الأصليين). وهذا ما دافع عنه الباحث البلغاري فلاديمير جورجيو (V. Georgiou) مع العالم الأثري كولين رينفرو (C. Renfroo)، وهما يؤكدان أن ما سمي بلهجات ما قبل (الهندو - أوروبية) القديمة ليست سوى خليط من اللهجات المعمول بها في بلاد الأناضول

وبلاد البلقان، والتي تَعتبر اللهجة اليونانية جزءاً منها (جورجيف 1966م) و (رينفرو 1973م).

يتابع (مارتن بيرنال) تطرقه إلى الاستعارات اللغوية، مقدماً تحليلات فيلولوجية، يحاول مع مؤلفين غيره تأكيد إعادتها إلى اللغة السامية (الكنعانية). ونقدم فيما يلي بعض الأمثلة عن تلك الاستعارات:

- تسمية داناوس (Danaos) أمكن إعادتها إلى الثلاثي (دان) بمعنى (دان) أي مارس العدالة ومنها (دانل = دان - إيل) الأوغاريتي.
- بيلوس (Belos) هو وفق الأسطورة اليونانية ملك صور، كما ذكرت أسطورة أخرى (بيلوس) آخر، وهو الأخ التوأم للملك (آغينور) في حكم الهيكسوس لمصر. وقد أُعيد اسم (بيلوس) إلى بعل أو (بيل) كما في بيل - مردوك (Bêl - Marduk).
- إيناكوس (Inachos) هو اسم ملك (أرغوس) ووالد إيو (Io)، وأصبح فيما بعد النهر الأكبر في منطقة (الأرغوليد). ويعتبر أوزيب (Eus'ebe de cesarèe) أن هذا الاسم مألوف في الشرق - الأدنى، ويعني الرجل المشهور بقوته وبشجاعته. ونجد هذا الاسم في التوراة العبرية في (عاناق) و (العناقيون)، ومنه اشتقت التسمية اليونانية آناكس (Anax) وَ آناكتوس (Anaktos) بمعنى ملك، كما إن (عاناق) و (عناقيون) ورد للتعبير عن الفلسطينيين الأقوياء.
- (آناكتوس) بمعنى ملك لم يعثر له على أي جذر (هندو - أوروبي) حتى اليوم. كما إن هذه التسمية استعملها إيشيل (Eshyle) في مسرحيته "الراجيات" (Les Suppliantes) في وصف النيل المصري ذي المياه الحية في جملة (بوتاموس نيولويو آناكتوس)، على اعتبار أن النيل كان مشهوراً بمياهه المخصبة. وإذا ما اتبعنا رأي أبولودور (Apollodore)، الذي عاش قرابة القرن الأول الميلادي، فإن أم التوأمين (آيجبتوس) و (داناوس) اسمها آنكينووي (Anchinoé). ويُذكّر هذا الاسم بالتعبير الفرعوني عنخ موي (Aanh mwy) بمعنى (المياه الحية)، الذي يعيدنا من ناحية أخرى إلى بنات (داناوس) في (أرغوس) اللواتي اهتممن بالري واستعملن المياه الحية.

لن ندخل فيما يتعلق بالاستعارات اللغوية إلى أبعد من ذلك، ونكتفي بإعطاء القارئ فكرة عن دقة الدراسات اللغوية وجديتها، والتي تثبت استعاراتها علاقات لم تكن عابرة ومؤقتة تأصل أثرها في اللغة التي تبنتها، وأغنت بها لغتها الأصلية. ويعني ذلك تبنِّي معرفة وتجربة اجتماعية لم تكن متوافرة لديها. وكل ذلك يدخل في مجال النقل الحضاري بواسطة علاقات لم تكن عنيفة، وكانت إيجابية النتائج. وقد ألهمت قصتها أحد أشهر مؤلفي اليونان القدماء، وهو (إيشيل) الذي عاش بين عامي (525-456ق.م)، وكان في الوقت نفسه ممثلاً ومؤلفاً مسرحياً خصباً، ألف عدداً كبيراً من المسرحيات لم يصلنا منها سوى سبع مسرحيات من بينها "الراجيات" يروي فيها استقبال مملكة (أرغوس) لجوء (الدانايد) لديها، وهما بنات (داناوس) الملاحقات من قبل أبناء آيجيبتوس (Aegyptos) المصري. وقد استلهم (إيشيل) في مسرحيته تلك قصة طرد الهيكسوس من مصر قرابة عام (1560ق.م)، والاستيطان في (أرغوس). وحين وصل (داناوس) مع بناته الخمسين إلى (أرغوس) أصبح ملكاً عليها. وحملت بناته بواسطة الري وحفر الآبار الخصب والوفر إلى المنطقة. وفي تلك المسرحية اعتراف باستعمار فينيقي لم يستطع المدافعون عن (النموذج الآري) نقضه، ولذلك فإنهم أرجعوا مسرحية "الراجيات" إلى بداية تأليفه حين لم يكن ناضجاً. ونحن نعلم من مصدر آخر أن مسرحية "الراجيات" تم تأليفها عام (463ق.م)، أي قبل سبع سنوات فقط من وفاته، وكان عمره آنذاك 63 سنة. أمَّا مسرحية "القادة السبعة ضد طيبا" فقد ألّفها قبل سنة واحدة من وفاته عام (456ق.م).

ويمكن القول، نظراً لغنى العلاقات اللغوية بين كل من الكنعانية والمصرية واللغة اليونانية واستعاراتها العديدة، وبالنسبة لما احتوته مسرحية (إيشيل) التي أشرنا إليها أعلاه، فإن المؤلف كان على علم بالعداء أو المنافسة التي كانت قائمة بين الجدَّين المصري (آيجيبتوس) والكنعاني / الفينيقي (داناوس) القادم من مصر إلى (أرغوس)، والذي استقبل دون مقاومة من قبل السكان في (أرغوس)، وأصبح ملكاً عليهم. ومن المنطقي الافتراض أن "هيكسوس" كان يمكن أن يكون المعنى الأولي للمسرحية. والإله زوس - هيكيسيوس (Zeus Hikesios) تشير إليه شواهد عديدة، مما يعني أن الارتباطات اللغوية المشار إليها أعلاه كانت قائمة فعلاً، وليس (إيشيل) هو مبتدعها.

كما إن فكرة تمثيل وصول "غرباء" إلى أرض اليونان في (أرغوس) واستقبالهم بالترحيب والانفتاح قبل أن يصبحوا أسياداً يحكمون السكان، يمكن تقديره حتماً بالنسبة لوطنية الهيللين، مما يعني أنه لا وجود للتوترات بين التقاليد القديمة والروح القومية. ومن جهتنا يمكننا أن نذهب أبعد من ذلك فنتساءل إذا ما كانت (أرغوس) قد تم استعمارها من قبل الهيكسوس في الحقبة نفسها التي حكموا فيها مصر قرابة (1570ق.م). وحين خرجوا من مصر استقبلوا وحكموا في إحدى مستعمراتهم اليونانية في (أرغوس).

ورد عن (هيرودوت) (480-420ق.م) في كتابه التاريخي (VI-55) ما يلي:
"الأسباب التي جعلتهم، على الرغم من أنهم كانوا مصريين يمارسون الملكية لدى الدوريين والأعمال المجيدة التي حققوها من أجل ذلك، لن أضيف عليها شيئاً، لكنني سوف أشير إلى ما لم يتطرق إليه الغير".

الملكية التي يشير إليها (هيرودوت) هي هنا مملكة (أرغوس) الهيكسوسية. وبالإضافة إلى ذلك فإن ملوك (إسبارطة) القدماء يعتبرون أنهم ينتسبون إلى أصل هيكسوسي (فينيقي). وفي رأي باحثين آخرين يعيدون انتسابهم إلى قدموس.

إن ما أشار إليه (هيرودوت) يعني أن بلاد اليونان قد احتلت من قبل الفينيقيين في الحقبة البطولية (يقابلها عصر البرونز الوسيط 2000-1600ق.م). وهذه الحقيقة يُشار إليها بازدراء واستعلاء من قبل معظم (الهيللينيين). ويعتبر (بلورتارك) أنها كانت تمثل تأويلاً دارجاً حتى الحقبة الكلاسيكية المتأخرة.

الاستعمار الفينيقي لمنطقة (بيوسيا)، حيث مدينة (طيبا) التي أعلمتنا الأسطورة أن قدموس هو مؤسسها، وهذا هو أوريبيد (Euripide) عام (485-406ق.م) يضع على لسان ألكورس في مسرحيته (الفينيقيات) النشيد التالي:

المقطع الأول: "غادرتُ شاطئ صور، الجزيرة الفينيقية
لآتي قربان حربٍ إلى (فويبوس)[1] المقدس

١- phoibos: صفة عُرف بها (أبولون).

لخدمته في معبده.
على قمم جبال (البارناس) البيضاء بالثلج
حيث مقره
حملتنا المجاديف
على السهل القاحل المحيط بصقليا
وإذ يعدو في المساء نسيم
كان في الريح، نشيده الممتع".

الجواب I: "مختارة بين الجميع، المدينة كأجمل هبة
يمكن تقديمها إلى (لاكسياس)
أتيت إلى بلد قدموس
مرسلة إلى الأسوار التي رفعها (لايوس)[1]
من أجل أبناء (أجينور) ذوي الشهرة
أهلي: كتمثال من الذهب المكرس
ها أنا معدة لخدمة (أبولون)
(...)

المقطع الثاني يشير إلى حصار (طيبا) من أجل حقه في الملك الذي استولى عليه شقيقه المحاصر، وهما ابنا (أوديب). وألكورس هنا يستشعر الحرب لاقتراب (آريس) إله الحرب من المدينة المحاصرة:

(...)
"لكني أرى اليوم (آريس) المغامر الذي لا يعرف
الرهبة
مهدداً المدينة، فلتبعده السماء (...)
إذا ما المدينة ذات البوابات السبع
عانت أي مصاب، فمدينة صور تعاني المصير
نفسه
يجمع دم واحد، جميع من ولدوا منه،
من (إيو)[2] جدتكم ذات القرنين،
ولي من همومهم حصتي.

١- Laïos: والد (أوديب)، الذي يتنازع ابناه على الملك في (طيبا).
٢- IO: الهاربة من غيره (هيرا)، ولدت ابنتها من زيوس على ضفاف النيل، وهي جدة (أجينور) والد قدموس.

وبقصد اختتام فقرة الاستعارات اللغوية، فإن آخر ما ابتدعه (النموذج الآري) المتطرف، هو مع الاعتراف بأنها "شرقية"، إعادتها إلى مصادر: هندية وإيرانية، وحورية وبابلية، وسامية غربية، ومصرية، وذلك بقدر متناقص بالنسبة لكل من هذه اللغات.

ومع ذلك فإن باحثين أميركيين متمكنون من اللغتين اليونانية والعبرية مثال شاول ليفين (Saul Levin 1968-1984)، وجون بيرمان براون (John Pairman Brown 1965-1974) فتشوا بدقة وحذر عن الكلمات التي تبنّتها اليونانية عن الكنعانية، إلا أن اختصاصيي علوم اللغة اليونانية لدى تعرفهم على أبحاث (ليفين) و (براون) سارعوا إلى رفضها، ولا سيما ما حاول إثباته (ليفين) الذي اكتشف وجود صلات توالدية اشتقاقية بين اللغات (الهندو - أوربية) واللغات السامية. ومثل هذا الرأي أصبح محرماً منذ أن تمَّ فرض النموذج (الآري المتطرف). وبالإضافة إلى ذلك فإن منشورات (براون) في مجلات الدراسات السامية قوبلت بالصمت المطبق، وهي الطريقة المعتمدة عندما يراد التخلص من أعمال لا يمكن دحضها.

وكان لا بدَّ أيضاً من الاعتراف بأن الكلمات المستعارة من السامية في (الليفيار B) تمت في عصر البرونز الأوسط (2000-1600ق.م). وتم الاكتفاء بنهاية الأمر بنشر لائحة صغيرة أعدتها الباحثة إيميلي ماسّون (Emily Masson) في عام (1970م)، حصرت فيها الكلمات المتعلقة بالحاجات المادية التي جمعتها من النقوش الفينيقية، مهملةً اللغة الأوغاريتية والعبرية التوراتية. وهكذا فإن موضوع الاستعارات تابع تقلصه بعد تعمّد إنكاره.

ولا بدَّ من الإشارة بأن (أوغاريت)، لغتها وأساطيرها، شكلتا صعوبة جدّية بالنسبة (للنموذج الآري) المتطرف، وتطلّب ذلك الفصل بين اليونانيين الآريين والشرقاويين، أي المتقبّلين للتأثير السامي.

3-7- متابعة الحقد على الفينيقيين وقلب اتجاه التأثير:

تابع المدافعون عن (النموذج الآري) حقدهم على الفينيقيين في الستينيات، حتى إنه تمّ استبعاد نظرية استعمار (طيبا) في منطقة (بيوسيا) التي يعتبر (قدموس) مؤسّسها. ومن فرنسا صدر عام (1963م) التفسير الأكثر "آرية" من قبل ف. فيان (F. Vian) عن أسطورة (قدموس). كما إن عدداً كبيراً من الباحثين نفى ذلك الاستعمار، وسعى إلى التقليل من أهمية العلاقات مع شرقي حوض المتوسط. ولم يتردد الباحث الانكليزي (ر. ميجز) (R. Meiggs) في أن يكتب بمناسبة نشره نسخة جديدة لكتاب التاريخ الذي ألفه (بوري) (Bury)، ما يلي:

"من الممكن، على ما يبدو، وجود مجموعة متوافقة من النصوص التي تشير جميعها إلى علاقات وثيقة بين الميسينيين والفينيقيين وشعوب أخرى سامية في عصر البرونز. ولكن مع الأسف إن الشواهد على توافقها هي أقل، وهي لذلك غير موجبة التصديق (...). وهناك شكّ أكثر جدية يحاول على العكس التدليل على أن شعباً معيناً أتى من الشرق الأدنى، وولج بحر إيجة غرب المتوسط، أثناء عصر البرونز."

هذا التشكيك الخطر عرضه (ميجز) على الرغم من المكتشفات الأثرية التي تقدم أكثر فأكثر الدلائل على اتصالات بين بحر إيجة وشرقي المتوسط، ولكن "الآريين" اعتبروا أن اليونانيين هم الذين كانوا وراء تلك الاتصالات والصلات. ولذا فإن باحثاً آخر هو كانتور (Kantor) كتب في عام (1947م) الرأي التالي:

"بعد الحقبة (المينوية) الوسطى II (قرابة 1500ق.م)، وحدهم البحارة اليونانيون، والمهنيون والتجار اليونانيون من (ميسين)، يمكنهم الافتخار بأنهم هم الذين عقدوا علاقات صلة بين بحر إيجة والشرق".

وبنتيجة مثل هذا الاتجاه التوجيهي لم تعد هناك ضرورة لدراسة التاريخ الفينيقي. وفضّل عدد من اختصاصيي اللغات السامية عدم الدخول في ذلك الموضوع، حيث كان الهيللينيون وحدهم يهتمون بذلك على طريقتهم "الآرية".

كما إن أحد الهيللينيين من المدرسة نفسها اعتبر أن "شعوب البحر" هاجموا الساحل الكنعاني ودمروا ممالكه، ومنها (أوغاريت) التي لم تتم إعادة بنائها، وهم الذين علّموا الفينقيين فن الملاحة، بعد أن كانت سفنهم لا تبتعد عن الشواطئ حين تنتقل من موقع لآخر (...) وبالطبع فالخطأ التاريخي لا ينقصه الوضوح.

3-7 (أ) *باحثون لبنانيون*:

إن ما سوّغ إعداد هذه الدراسة، هو الباحث اللبناني الراحل (لبيب بطرس)، وهو دكتور في التربية البدنية والرياضية، وقد نشر عام (1997م) في بيروت

باللغة العربية كتابه تحت عنوان: "نشوء الآلهة - أبطال الرياضة في الميثولوجيا الفينيقية واعتمادها في بلاد الإغريق".

وكذلك حماس وإخلاص المهتمين بإنقاذ عمريت ساعد على إعداد هذه الدراسة.

كما اهتم الدكتور (لبيب بطرس) بموقع (عمريت) المجاور (لطرطوس) على الساحل السوري، والذي لا يزال يحتفظ بتل أثري ومعبدٍ قُدَّ حوضه المقدس في صخر المنطقة الرملي، يرويه نهر عمريت ونبع (الحيّات). وإلى الشمال الشرقي من المعبد يوجد (إستاد يوم) ذو قياسات أولمبية. وهو كالمعبد محفور في الصخر الرملي، بحيث يُلحظ على جانبيه مدرجان للمتفرجين. والجدير بالذكر أنه حتى اليوم لم يشتمل موقع عمريت الأثري على أي منشأة يونانية أو رومانية.

وفيما يخص كتاب الدكتور لبيب بطرس لخّصنا في فقرة مستقلة المعلومات التي قدمها الكتاب عن أولوية الفينيقيين في نشر الألعاب الأولمبية في بلاد اليونان. وللتأكد من حقيقةٍ بهذه الأهمية، عمدنا إلى تقديم هذه الدراسة عن تاريخ اليونان القديم، منذ التقاليد الشفهية، وانتشار الأسطورة وتأويل محتواها، وكذلك الاطلاع على ما وصلنا مما كتبه المؤرخون القدماء عن دور الفينيقيين سلبياً أو إيجابياً في علاقتهم مع بلاد اليونان، وقد اهتم هذا الفصل بعرض آراء عدد كبير من الباحثين الغربيين عن دور كل من مصر والساحل الكنعاني وأثرهما في حضارة اليونان.

ويتناقض تماماً مع ما حاول عرضه الدكتور (لبيب بطرس) تبني لبناني آخر، في عام (1961م)، النظرية التي دافع عنها إيفانز (Evans) في بداية القرن العشرين، وكذلك ل. وولي (L. Wooley) عبر السنوات (20-30) الماضية، والذي يعتبر أن نجاح الفينيقيين يعود إلى كونهم "تلقّوا دماً آرياً". ومن المرجح أن الباحث اللبناني المشار إليه وهو (د. برامكي) وقع على ما نسميه كتباً غربيةً "صفراء"، وتأثر بها ناكراً بذلك هويته الفينيقية؛ التي طالما دافع عنها لبنانيون عايشتهم، واعتمدوا الفينيقية للهروب من الهوية العربية آنذاك. وهذه هي المرة الأولى التي أتعرف فيها على فينيقي (آري). كما إن الحقبة الأولى من الستينيات شهدت مؤلّفاً هو د. ب. هاردن (D. B. Harden)، أعلن في عام (1962م) في كتاب

عن الفينيقيين أن (الميسينيين) هم الذين راقبوا المتوسط عبر عصر البرونز، كما أعاد الصلات مع الاتجاه الشرقي إلى (الميسينيين) واليونانيين القدماء، عاكساً بذلك الاتجاه الصحيح.

ثم نلتقي (ببرامكي) في مناسبة ثانية، حين دافع في عام (1961م) عن استعمار (طيبا) من قبل قدموس، ولكنه يحدد عصر الحديد تاريخاً لذلك الاستعمار. وكانت باحثة لبنانية أخرى هي (نينا تيديجيان) لها الرأي نفسه في عام (1969م).

3-7 (ب) *رأي أولبرايت وباحثين آخرين*:

العالم أولبرايت (Albrigt)، وهو أحد المختصين باللغات السامية، بقي يعلن حتى وفاته عام (1971م)، أن الاستعمار الفينيقي حدث فقط عبر القرن التاسع أو العاشر ق.م، على أبعد تقدير.

إلا أن المؤرخ الأسترالي وليم كوليكان (William Culican) شدّد على أهمية اعتبار التأثير الشرقي في اليونان عبر الألف الثاني ق.م. ومع ذلك فإنه تحاشى موضوع التعرف، فيما إذا كان الساميون الغربيون (أي الكنعانيون) تركوا أثراً عميقاً ودائماً في الحضارة اليونانية. ومن جهة أخرى، فإن (قدموس)، وهو الحلقة الضعيفة في (النموذج الآري) المتطرف، جعل العالم الهيلليني الماركسي جورج تومسون (George Thomson) وكذلك صديقه ر. ف. ويلليتز (R. F. Willets)، يعلنان عام (1962م) أن القدموسيين كانوا قبيلة سامية أتت من فينيقيا إلى جزيرة كريت، ومنها ذهبت إلى (طيبا).

3-7 (ج) *الاتجاه نحو الأناضول ومصر*:

أمَّا الباحث ج. هاكسلي (G. Huxley)، فإنه وافق في كتابه "جزيرة كريت واللوفيت"، أي سكان الأناضول القدماء، الصادر عام (1961م)، والذي حسب عنوانه يهتم بالمصدر الأناضولي أكثر من اعتماده على المصدر المصري أو الشرقاوي. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكتاب نشر على نفقة مؤلفه، ويرجّح التأثير الأناضولي. ويتعارض هذا الرأي عن الحضارة الميسينية لمؤلفه ف. ستابّينج (F. Stabbings) الصادر في جزئه الثاني عن كامبردج عام (1973م)، وهو عالم أثري قبل (بالنموذج القديم) لدرجة أنه أكد

أن الاستعمار أتى من مصر، وأن "أمَّارات" هيكسوسية تمّ تأسيسها في بلاد اليونان. ودعماً لنظريته فإنه أشار إلى المكتشفات الأثرية التي تدل على الحقبة الميسينية (قرابة 2000ق.م).

3-7 (د) *زوال الحضارة الميسينية*:

وهناك عالمة أثرية ذهبت إلى أبعد من ذلك، وهي إيميلي فيرمول (Emily Vermeule)، وهي أستاذة في (هارفارد)، حيث اقترحت أن الحضارة المينية حافظت على صلاتها مع مصر ومع فينيقيا، كما نشرت عام (1960م) تحليلها عن زوال الحضارة الميسينية فكتبت ما يلي:

"من الواضح أن الميسينيين ليسوا هم الذين زالوا، ولكن الحضارة الميسينية هي التي زالت، على اعتبار أنها كانت تستمد قواها من صِلاتها مع الشرق ومع (كريت)، وذلك منذ عصر تبني القبور ذات الحفرة المنحوتة في الصخر، والتي تغطيها بلاطة حجرية، وهي القبور الأقدم المكتشفة من قبل (شليمان) في ميسين[1]. وعندما زالت تلك الصلات فإن الحضارة الميسينية أضحت غير معروفة."

3-7 (هـ) *العلماء الإنكليز يعارضون*:

وكالعادة، فأمام كل رأي يتجه نحو أهمية الشرق ودوره الحضاري بالنسبة لليونان ينتصب ضدّه مع الاستنكار عدد كبير من الباحثين "الأمناء" على (النموذج الآري)، لذلك عندما تعتبر (إيميلي فيرمول) أن حضارة (ميسين) هي وليدة سكان ليسوا يونانيين حافظوا على صلاتهم مع (كريت) والساحل الشرقي، فإن العلماء الإنكليز وقفوا ضد هذا الرأي، والذين منهم: تيلور (Taylor) عام (1964م)، و رينفرو (Renfrew) عام (1972م)، و هوكس (Hooker) عام (1976م)، و ديكينسون (Dikinson) عام (1977م)، و شادويك (Chadwick) عام (1973م)، كما سبق وذكرنا. جميع هؤلاء المعارضين يعتبرون أن الحضارة الميسينية كانت وليدة سكان أصليين أي لا مصريين ولا فينيقيين. وعلى هذا الأساس تمَّ استبعاد الأثر المصري والكنعاني من قبل المؤسسة الجامعية (الإيستابليشمانت) التي

١- اكتشف (شليمان) مجموعتين من هذه القبور: 25 قبراً تعود إلى القرن السابع عشر، و6 قبور تعود إلى القرن السادس عشر.

بإمكانها مهاجمة كل فرضية تدّعي وجود هجرات مستعمِرة، أو تعتمد على المكتشفات الأثرية.

ثمَّ بالإضافة إلى ذلك هناك موضوع آخر عن الآريين تمَّ استبعاده أو التقليل من أهميته، وهو التأثير الفينيقي الهيكسوسي في اليونان.

3-7 (و) *الهيكسوس بين مصر واليونان*:

لذلك كتب المؤرخ ستابّينجز (Stubbings) عام (1973م)، محاولاً الالتفاف حول الصورة التي يمثلها الفينيقيون الهيكسوس في اليونان ما يلي:

"إن قدومهم (ويقصد إلى اليونان) لم يشكل موجة حقيقية من التمصير، وهذا ما يتعلق مباشرة بما نعرفه عن الهيكسوس في مصر. إنهم لم يدخلوا لغة جديدة...".

ويمكن القول إن ما أورده (ستابّينجز) عن تأثير الهيكسوس في مصر يثير بعض التساؤلات، إذ لا بدَّ من الاعتراف أنه إلى جانب استفاقة الحس الوطني المصري والثقافة المصرية أثناء حكم الأسرة الثامنة عشرة، فإن تحولاً ثقافياً واسعاً يجب أخذه بالحسبان تحت الحكم الهيكسوسي. والجدير بالذكر، حتى بعد خروج الهيكسوس من مصر، أن أحد أشهر الفراعنة المصريين، وهو رعمسيس الثاني، حين كان محاصراً من قبل أعدائه المتحالفين ضده في معركة (قادش)، التي حدثت بين مصر والمملكة الحثية المتحالفة مع الممالك المحلية، فإن رعمسيس الثاني شبّه نفسه بالإله (بعل) الكنعاني حين تمكن من التخلص من أعدائه.

كما كان للهيكسوس في مصر وفي البلاد الأخرى تأثيرهم الثقافي حين نقلوا حضارة (غربية - سامية) إلى مصر و (مينوية - كنعانية) إلى اليونان.

لم تكن لبلاد اليونان بالطبع آنذاك وزن الحضارة المصرية، لذلك كان دور الهيكسوس في اليونان أكبر، بمعنى أن البلاد كانت أكثر انفتاحاً لتلقي التطويرات الهيكسوسية، ولذا كان تأثيرها في العالم الإيجي ذا أهمية لا يمكن إنكارها. وبالإضافة إلى ذلك، فمن المفيد التوضيح أن وجهة نظر (ستابّينجز) تشكل تاريخياً عودة إلى نظريات ثيروالّ (C. Thirwall) عبر السنوات (1830م)،

ونظريات هولم (Holm) لعام (1880م). بتعبير آخر كانت تلك النظريات القديمة تسعى إلى القول: إنه إذا ما تواجد مصريون ساميون في بلاد اليونان، فذلك لم يكن له أهمية، لأنهم لم يتركوا أيَّ أثرٍ دائم.

3-7 (ز) *سفينة سورية تنقذ الموقف*:

في عام (1963م) نشر جورج باسّ (Georg Bass)، وهو عالم أثري مختص بالأركيولوجيا البحرية عن سفينة تجارية سورية تعود إلى عصر البرونز الحديث (قرابة 1400ق.م)، غارقة في عرض البحر مقابل رأس جيليدونيا (Gelidonia) في الجنوب من تركيا. ومع ذلك فإن (باسّ) لم يستنتج أن الكنعانيين كانوا في ذلك الوقت يسيطرون على الملاحة في المتوسط. إلا أن هذه الحقيقة مضافةً إلى حقائق أخرى، مكنته من التأكيد دون تحفظ على أهمية التجارة الكنعانية في عصر البرونز الحديث. وبذلك تمكن (باسّ) من هدم النظريات الشعبية التداول عن السيطرة البحرية (تالاسّوقراطيا) غير السامية المينوية والميسينية، وأبطل بذلك نهائياً حجة بلوك (Bloch) التي تدّعي أن السفن الكنعانية كان يتعذر عليها قبل القرن الثامن ق.م الذهاب حتى بحر إيجة.

3-7 (ح) *اكتشاف مهم تحت قصر قدموس في طيبا*:

في الحي المرتفع من مدينة (طيبا) أقيم قصر ملكي محصّن هو القدميون (Cadmeon) نسبةً إلى قدموس. وفي عام (1963م) والسنوات التي تلت، كَشَفَتْ الحفريات التي أجريت تحت القصر الملكي عدداً من اللقى ذات المصدر (الشرق - أدنوي)، ومن بينها 38 ختماً أسطوانياً، نشر عنها سيميون أوجلو (Simeon Oglu) في عام (1985م). وبالطبع فإن أكثر علماء الآثار الغربيين بقوا حذرين، ولكن مثل هذا الاكتشاف في مدينة أعادتها التقاليد اليونانية إلى (فينيقيا) تجعلنا نعتبر من جديد أن أسطورة قدموس وتأسيسه لمدينة (طيبا) تتمتع بخلفية تاريخية حقيقية. كما سمحت أيضاً بدعم آراء الذين يعارضون النظريات (الضد - فينيقية) في (النموذج الآري). وتدعم هذا الاتجاه أيضاً أعمال مؤرخي الفن في الستينيات، عن تكرار التزيينات التي هي مشتركة بين العالم الإيجي والشرق الأدنى أثناء حقبة البرونز الحديث. يدل ذلك بشكل واضح على وجود العديد من الصلات. ويبدو أن التأثير بينهما كان يتجه من الشرق إلى الغرب، كما أعلن ذلك (ر. إدواردز) عام (1979م).

عن انتشار الكتابة
وبدء الألعاب الأولمبية، ودور الحس الوطني اليوناني

فيما يخص الكتابة وانتشارها في بلاد اليونان، علينا أولاً استبعاد الصورة التي جعلت الفينيقي يعرض أبجديته على اليونانيين، وكأن الموضوع يتعلق بصفٍّ مدرسي يمثل المعلم الفينيقي، يشرح أمام نصب تذكاري نقشت عليه الأبجدية، ويجلس أمامه عدد من التلاميذ اليونان يتعلمون.

4-1- من أين بدأ نقل الأبجدية؟

يُعتقد اليوم أن نقل الأبجدية بدأ من (ليديا) في آسيا الصغرى على الشاطئ الشرقي لبلاد اليونان. كما يُعتقد أيضاً أن الأبجدية انتقلت من مرفأ لمرفأ وفقاً للرحلات التجارية والمبادلات الفينيقية مع اليونانيين. وهذا طبيعي على اعتبار أن تبسيط التبادل التجاري، والتسجيل الذي عرف تسهيلات كبيرة في تبني الأبجدية الفينيقية، والكتابة بواسطتها.

كما يعتقد باحثون آخرون أن انتشار الكتابة بالأبجدية شجعته ضرورة نقل التراث الشفهي اليوناني بقصد حفظه، مع أن باحثين غيرهم يعتقدون أن الذاكرة البشرية وإن توزعت على عدة أشخاص، لم تكن قادرة على تكرار محتوى الإلياذة والأوديسة الملحمتين المنسوبتين (لهوميروس). وهما تقعان معاً في (28000) بيت شعر سداسي.

وفي كل الأحوال، فإن فن الكتابة بالأبجدية الفينيقية، وحتى لو تعرَّف عليه اليونانيون قبيل عام (700ق.م)، فإن ما اكتشف من جمل قصيرة لا تتعدى عدة كلمات على حوامل صلبة، كان ضئيلاً جداً في عام (700ق.م). وحتى لو كان عددها أكبر في ذلك الحين، إذا ما اعتبرنا الحوامل قابلة للتلف، فإن كتابة عدة أحرف على لوح خشبي أو قطعة بردي من الصعب اعتباره انتشاراً للكتابة منذ ذلك التاريخ.

أمَّا فيما يتعلق بنقل الإلياذة والأوديسة، فلا يزال ذلك حتى اليوم يشغل بال العلماء، وحتى مع تبني فكرة الحوامل القابلة للتلف التي قد تكون ممكنة إلى حد ما، إلا أن القصائد الهوميرية التي تم تنظيم ترتيبها في الحقبة (الإسكندرانية) الهلنستية كما هي اليوم، تتناقض مع فكرة "عملية إنقاذ" وحيدة تمت في زمن أقدم.

4-2- التسجيلات المقتضبة:

كما إنه ليس من المقبول أن تعتبر التسجيلات المقتضبة لأحرف أبجدية على أوعية خزفية تعود إلى قرابة (720/740 ق.م) كافية للدلالة على أن المجموعة الهوميرية أو غيرها تم تسجيلها منذ ذلك التاريخ.

ينطبق الأمر كذلك على الشاعر (أوميلوس) وهو من (كورانتيا)، بالنسبة لقصائده عن الماضي الميتي لمنطقته، وهكذا بالنسبة لشعراء آخرين.

أمَّا فيما يتعلق بلوائح المنتصرين في الألعاب الأولمبية اعتباراً من عام (776ق.م) بدءاً من موقع أولمبي، أو من إسبارطة بدءاً من عام (754ق.م)، أو من (أتينا) اعتباراً من عام (683ق.م). وبالاعتماد على أن البدايات المشار إليها أعلاه تعود إلى حُقب عَرفت بدورها بدايات خجولة لتسجيل لا يثبت بأي حال من الأحوال أنه يجب التفتيش عن تواريخ مغرقة القدم لمثل هذا النوع من التسجيل، ضمن فرضية أُريد لها أن تكون كذلك، ولا سيما بالنسبة لمجتمع كان لا يزال في طور تداول "التقاليد" والروايات الشفهية، وحتى متابعة ابتداع الأساطير. ولا شيء يدل على أن اليونانيين لجؤوا منذ ذلك الوقت إلى أعمال تتطلب معرفة إجمالية وجامعة لم تكن متوافرة في تلك الحقب.

4-3- التاريخ الصحيح وقاعدة الباحث بوران:

إن الحدث التاريخي لا يمكن تبنيه إذا لم تثبت صحته، وذلك يتطلب ربطه بمتغيرين أساسيين، هما: زمن حدوثه، والمجال الجغرافي لحدوثه، وبعد ذلك يمكن البحث في مجموعة الأحداث التي عاشها إنسان ذلك العصر، والتي تسمح للمؤرخ محاولة تفهم وتأويل ما يميز مرحلة ما، ولذا يجب الاعتماد على ثلاثة عناصر:

- العنصر الأركيولوجي أولاً.
- ثم الوثائق الكتابية وكيفية وصولها إلينا.
- وأخيراً الشهادات المتعلقة بالموضوع، من دون إغفال صعوبة إثبات صحتها.

4-4- اللوائح القديمة:

نحن نعلم أنه منذ القرن الثامن قبل الميلاد، كما قيل لنا مراراً، أن اليونانيين شعروا بضرورة إعداد لوائح تسجل الأحداث تدريجياً على الساحة العامة، مثل القضاة الذين أطلقت أسماؤهم على المرحلة، ولوائح أبطال المباريات الرياضية، أو الفنية، ولوائح الكهنة من الجنسين الذين خدموا في المعابد، أو أخبار تأسيس عمراني ذي أهمية، أو معارك شهيرة... كل ذلك لم يعرفه اليونانيون إلا في القرن الخامس قبل الميلاد. أمَّا إطلاق اسم شخص على سنة ما، أسوة بما كان يحدث في بابل مثلاً، فلم تعرفه اليونان إلا في الحقبة الهلنستية بعد فتح الإسكندر وتولي قادته الحكم.

4-4 (أ) *تدخل الحس الوطني*:

لا بدَّ هنا من التساؤل إذا ما كان علينا تبني محتوى الجداول واللوائح المشار إليها أعلاه، وكأنها إنتاج علماء لها أساسها التاريخي. وطريقة تسجيل مثل هذه اللوائح لم تبدأ إلا في القرن الخامس ق.م.

ويمكن القول بمنطق سليم وببساطة: إنه على الذين تبنوا فكرة قدم تلك اللوائح أن يثبتوا صحتها.

ثمَّ مع الاعتراف بالصعوبة التي كان يصطدم بها المؤرخون القدماء مثل توسيديد (Thucidyde) مؤرخ (أتينا)، أو هيللونيكوس (Hellonicos) الذي كتب كذلك عن (أتينا)، لم تحمل تواريخ كتابتها إلا ابتداءً من عام (431ق.م).

4-4 (ب) *التسجيلات الخجولة وتصريح بوران*:

يعتبر الباحث كلود بوران[1] (Claude Baurain) في كتابه "اليونان والمتوسط الشرقي[2]" ص (448) حاشية (4) ما يلي:

> "إن التسجيلات الخجولة والجزئية التي عرفتها بلاد اليونان، لم يتم الاحتفاظ بها كما هي، ولكنها عرفت توسعاً وتضخيماً اعتباراً من القرن الرابع ق.م. وقد نقول صححت عبر أجيال متتالية من قبل العلماء مثل (أرسطو) و (إيراستوتين) و (أبولودور) و (جوليان الأفريقي) وغيرهم".

هكذا عمد "الحس الوطني" لليونانيين، وتلبية لكبريائهم، وبالاعتماد على عدد من الإشارات الكتابية، وعلى بعض الأدوات المستعملة في الرياضة، كالأوزان المعدة للرمي، أو غيرها، والمحفوظة في بعض المدن، هي التي ألهمت فكرة ما يمكن

١- BAURAIN: المصدر نفسه ص559.

٢- من منشورات PUF لعام 1997 ورد عرض شكوكه آنفاً.

اعتباره "استعمار الماضي"[1]، بمعنى تحميله كل ما يرغب مبتدع ذلك الماضي أن يجعلنا نتبناه ونعمل به. ومثل هذه العقلية يمكن إرجاعها إلى توجهات أرستقراطية أو كهنوتية. ويعتبر المؤرخ (بوران) أن ذلك التوجه بدأ اعتباراً من منتصف القرن الخامس ق.م.

4-4 (ج) *بدء الألعاب*:

من المفيد الإشارة إلى أن عام (776ق.م)، وهو العام الذي يعد عام بدء الألعاب الأولمبية، قد يكون تاريخ أقدم لقاء محلي حدث في (أولمبي)، وتمّت المحافظة عليه حتى نهاية القرن الخامس ق.م، مع المحافظة على اسم المنتصر وهو (إيلي) أي من (إيليس). وقد لا يكون هذا التاريخ عبارة عن "بدعة رسمية"، ولكن اهتمامات ذات لون سياسي أو وطني جعلت الأمر ينتهي بالموافقة عليه، وتعميمه تسهيلاً لاعتبارات كرونولوجية.

يساعدنا هذا التوضيح الأخير الذي قدمه المؤلف (بوران) على العودة إلى منطقة (الإيليد) حيث تقع (أولمبي) و (إيليس). ونحن نعلم أن الإيليين هم الذين كانوا مكلّفين بتنظيم الألعاب، وكانت هناك منافسة على ذلك بين (إيليس) و (بيزا) التي دُمِّرت عام (572ق.م). واعتبر المؤرخون القدماء أن (إيليس) نظمت الألعاب بعد زوال (بيزا). وما يعنينا هنا ليس التاريخ بحد ذاته، بل في رأينا الحدث القديم الذي تمَّ في (أولمبي) لمباراة جرت عام (776ق.م) وفاز فيها (إيلي). ومع الاحتفاظ بالشك بأن هذا القدم كان حدثاً محلياً، فإنه من المرجح أن (إيليس) هي التي نفذته. ومثل (طيبا) التي قبل مقاومة فتح الإسكندر وانضمامها إلى الفرس أثناء الحروب الميدية، فإن (إيليس) ومنطقتها أعادت النشاط إلى الألعاب الأولمبية بعد الغزو الدوري. وإن (أوكسيلوس)، وهو من أحفاد (أنديميون) ملك (الإيليد)، قاد أبناء وأحفاد هيراكلس إلى منطقة (الإيليد) (انظر فيما بعد الفقرة (4-3) من عرض الأصول الأسطورية للألعاب من الفصل السابع). حين قادهم إذاً إلى تلك المنطقة، اعتبرَ ذلك إعادتهم إلى منطقة أجداده.

وهذا يعني أن منطقة (إيليس) هي التي كانت تتكلم اللغة التي لم يكن الدوريون يفهمونها. ومنافستها على بيزا (Pisa) بالنسبة لتنظيم الألعاب، يمكن تفسيرها بسبب قدم هذه الأخيرة بالنسبة لمدينة إيليس (Elis)، والتي يعتبر (أوكسيلوس) مؤسساً لها.

١- BAURAIN: المصدر نفسه ص559.

وفي كل الأحوال تعتبر إيليس (Elis) و (الإيليد) مثل (طيبا) و (بيوسيا) منطقة فينيقية التوجه والمواقف. ووفقاً لما عرضناه آنفاً فيما يخص تأصل المباريات الرياضية في عقلية فينيقيي اليونان (انظر الفقرة (7-7) من الفصل السابع)، فإنه تمَّ قبول عام (776)ق.م كتاريخ لمباراة جرت في أولمبي من قبل فينيقيي (الإيليد)، وكانت محلية تبناها المؤرخون الغربيون لإطلاقها وتعميمها على ألعاب شملت كل البلاد بقصد "استعمار الماضي" كما أوضحنا أعلاه.

4-4 (د) *الفينيقيون ومجتمعاتهم*:

ولكي نفهم بشكل أعمق الدور الفينيقي في ممارسة المباريات، وتنظيم الألعاب، وانتقاله إلى اليونانيين بمفهوم المعتقدات اليونانية التي تمَّ تبنيها مثال "الجمال والخير"، فجمال أجسام الرياضيين الشباب هو الذي كان يقربهم من آلهتهم، لا بدَّ من متابعة ذلك في موضوع "الجمال والخير والألعاب" من ضمن الفقرة (7-10) من الفصل السابع. ونحن نعتقد أن عبقرية الفينيقيين التجارية هي التي سيطرت على سمعتهم في التاريخ. وقد أضاف بعض اليونانيين الذين أعجبوا بتفوقهم التجاري بقدر ما كرهوا عجزهم عن منافستهم، على سمعتهم في عدد من نصوصهم: الاحتيال والكذب والرياء. ولم يكن الفينيقيون التجار الذين عرفهم اليونانيون غرباء عن حضارة الممالك التي ينتمون إليها، أو غرباء عن تنظيمها الاجتماعي وعن التوجه إلى معابد ممالكهم كلما اقتضى الأمر لشكر الآلهة على نجاتهم من غضب الإله (يم). ومن أجلهم ومن أجل فصول إهماد بحر كان بمثابة وطن ثان لهم يسهل لهم التعرف على شعوب أخرى، وعقد صلات معها تتعدى عالم التجارة البحتة. كما إن عدم اللجوء إلى غزو الآخرين، أو إلى الحروب فيما بينهم، كان من خصائص حضارتهم، وتقدم مجتمعاتهم، وممالك الساحل الشرقي تشهد بذلك، وهذا ما سنعود إليه في الفصل السادس.

4-5- التسجيل الكتابي لإنتاج حقبة ما قبل العصر الكلاسيكي:

هذا الإنتاج هو الذي كانت العقلية الأسطورية - ذات الخيال المجنح - لا تزال تميزه. وأهم هذا الإنتاج هو ما وصَلَنا تحت عنوان (الإلياذة) و (الأوديسة) المنسوبتان للشاعر هوميروس، والتي كان الفضل لعلماء الإسكندر في منتصف القرن الخامس ق.م في إعدادها لنا في مجموعتين مؤلفتين من 24 نشيداً لكل منهما. وقد أشرنا في غير هذا الموضع إلى عدد أبيات الشعر الذي كانتا تحتويان عليه. وتَطلَّب العملان مناقشات عديدة من قبل الاختصاصين، ومنهم من شكك بنسبتها لرجل واحد. وما يهم من هذا العرض هو فقط تاريخ إعدادهما كتابياً. كما يتفق الجميع على أن أناشيد عديدة نسبت لـ (هوميروس)، وخصصت لتمجيد الآلهة، وصلنا بعضها، ومن بينها نشيد تمجيد (ديميتير) آلهة الحصاد، وابنتها آلهة الحبوب.

العمل الثاني الذي وصل إلينا، والذي يعتبر في أساس ما نعرفه عن آلهة اليونان هو "ولادة الآلهة" لـ (هزيود) الأقرب إلى معاصرة (هوميروس). والجدير بالذكر أن نصاً بابلياً أكادي اللغة لم ينشر إلا عام (1963م) كانت له علاقة مع نص (هيزيود). ومنذ نشره خصص له العالم لامبير (W. G. Lambert) في عام (1965م) دراسة قصيرة ومعبرة بالتعاون مع اختصاصي في العلوم الهيللينية والكوت (P. Walcot). وكان عنوان الدراسة: "تيوغونيا (Theogonie)[1] بابلية جديدة و هيزيود" (A new Babylonien Theogony and Hesiod)، ثم في عام (1984م) أصدر جاكوبسين (Th. Jacobsen) الاختصاصي في العلوم الأكادية ترجمة لذلك النص[2].

وبالإضافة إلى ذلك فإن (هيزيود) أرفق نصه عن "ولادة الآلهة" بنص آخر تحت عنوان "الأعمال والأيام" هو أيضاً بالنسبة لـ (جاكوبسين) يتوازى مع التقليد (الحوري - الحثي) المعروف تحت تسمية كوماربي (Kumarbi).

وإن (هيزيود)، ومن تلاه من الشعراء، ومن بينهم تيرتي (Tyrtee)، والشاعر آلسي (Alcee) الذي اشتهر في جزيرة (ليسبوس) موطن الشاعرة سافو (Sappho)، تزامن إنتاجهم مع المرحلة التي عرفت بالنسبة لتاريخ اليونان "بالمرحلة الشرقية"، أي ما بين (700-480ق.م)، والتي عرفت إنتاجاً نشطاً لم يصلنا منه سوى الجزء اليسير. يعني ذلك أنه على الرغم من تقدم الزمن لم تكن الكتابة بعد قد دخلت الحياة اليومية، وتحررت نهائياً من التقاليد الشفهية.

عبر كامل القرن السادس ق.م، كانت حياة الأدباء تتوزع على التنقلات العديدة، بنتيجة الدعوات التي كانوا يتلقونها من قبل الحكام في المراكز اليونانية الكبيرة. كما تزايدت الدعوات في القرن الخامس ق.م. وانتهى الأمر اعتباراً من النصف الثاني من القرن السادس ق.م، حيث كانت مساهمة الأدباء تتم في مناسباتٍ رسميةٍ.

ثم حين شملت الألعاب الأولمبية كامل بلاد اليونان، أي حين أصبحت (بانهيللينية)، فكان يلحظ فيها دور للمنافسات الأدبية، والإنتاج الدرامي. وكان الشعراء يتغنون بمدح الأبطال المنتصرين. ثم حين سُمح في القرن الخامس بمساهمة المستعمرات اليونانية في المنافسات مثال (سيراكوزا) آنذاك، فإن الفصل السابع (الفقرة

١- Theogonie: عمل يروي قصة ولادة الآلهة، وتنظيم المجتمع الإلهي.
٢- نشر الكتاب الثالث من ديوان الأساطير النص الكامل عام (1999م).

"7-11(ج)"، يقدم نموذجاً عن مدح بطل (سيراكوزا)، وكان ملكها آنذاك من قبل الشاعر (باندار).

4-6- الحكم على ما كتبه مؤرخو اليونان القدماء والشعر الملحمي:

بعد أن عرض الباحث (بوران) قاعدته بالنسبة لتبني الحدث التاريخي، كما أشرنا إلى ذلك في الفقرة (4-3) أعلاه، فإنه نظر إلى أن ما كتبه مؤرخو اليونان القدماء، الذي لا يمكن الاعتماد عليه كأساس تاريخي، على اعتبار أن التاريخ ليس نتيجة أحداث فريدة معزولة وخاصة. كما إن الاعتراف المنسق بتميزها يجب أن يكون أساساً لكل محاولة علمية للتعرف على الماضي، ولا أحد يسمح لنفسه أن يبني على اختلاطات بين النتائج والأسباب تشكلها الأحداث الفريدة.

يتابع الباحث (بوران) تذكيره بأن "الخلق الأدبي الذي يشكل الشعر الملحمي الإغريقي ناتج عن أبوّة غير ثابتة، لأن البحوث تعتبره إنتاجاً شعرياً هدفه الأخير هو تأكيد هوية المجموعة البشرية التي عاش فيها بالدرجة الأولى، وهو (أي الإنتاج الشعري) يدافع في الوقت نفسه عن الوحدة والتلاحم الضروري بالنسبة لتعدد وتوزع المواقع التي عرفت نموّه وديمومتها، وترسيخ عدد من القيم والتصرفات التمجيدية المتوقعة من قبل أعضاء المجموعة، والذي هو بمثابة (إخراج) يشمل الإله والأجداد".

إن الاستنتاجات والتوجهات التي أشار إليها (بوران) صاحب كتاب "اليونان والبحر المتوسط الشرقي" لعام (1997م) هو ثمرة تجربة بشرية أدت إلى خلق أدبي. وهي حتماً عينة بالنسبة لمؤرخ اليوم، ولكنها ليست نتيجة فكر تاريخي ووجدان تاريخي، كالذي باشرته محاولات (هيرودوت) (480-420ق.م) ومن تبع مساره من اليونانيين، قبل أن تصبح العمود الفقري للفكر الغربي وكتابة التاريخ.

كما يمكن القول إن تلك الأعمال لا يمكن استثمارها في تفاصيلها بقصد التوصل إلى بناء تاريخي يشمل مجمل البلاد، إذ لا شيء يشير إلى أن بلاد اليونان شبه التاريخية في كريت (المينوية)، أو بلاد اليونان (الميسينية)، كانت هندسية في بدايتها قرابة (900-700ق.م) وقديمة (أركاييك) (700-480ق.م).

وبالإضافة إلى ذلك لا شيء يشير في تاريخ بلاد اليونان إلى أنها مارست كتابة "حوليات" رسمية، كما كان الحال في الشرق الأوسط، على الرغم من دخولها في المرحلة التي عرفت "بالشرقية" حين كانت تتلقى التأثيرات الشرقية. وقد أشرنا آنفاً إلى أن أقدم عمل قريب التزامن مع (هوميروس) هو "ولادة الآلهة" لهزيود، وقد كان مستلهماً من نماذج شرقية.

أمَّا الكتابة، ونقصد الكتابة المستقيمة (اللينيار A و B) التي عرفتها (كريت) و (ميسين) كانت مقطعية كما كانت الأكادية، إلا أنها لم تستعمل كما استعملت الأكادية والآرامية الآشورية. ومن الغريب اختفاؤها قرابة (1200ق.م). ولم تعد الكتابة إلى بلاد اليونان إلا بطريقة جديدة: أبجدية هذه المرة حملها الفينيقيون الذين كانوا يقومون مراراً بزيارة البلاد والتعامل معها.

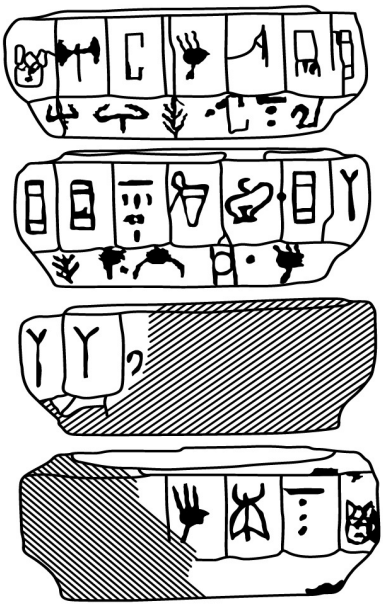

الكتابة الكريتية (لينيار A) وتأثرها بالهيروغليفية المصرية

Crétolse	Linéalre A	Hléroglyphlqus égyptlenne

كتابة جزيرة كريت وميسين المقطعية المستقيمة (لينيار A و B) يظهر على بداياتها الهيروغليفية التأثير المصري

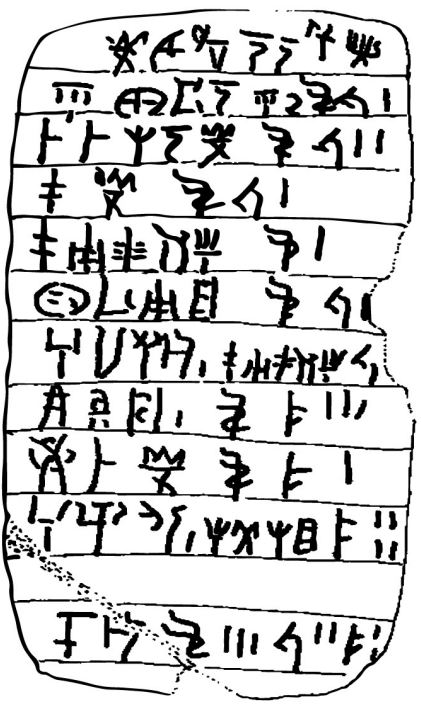

لوحة فخارية تحمل كتابة لينيار B

وحتى في الحقبة التي سميت "أركاييك" (700-480ق.م)، فلا شيء يشير إلى أن اليونانيين فكروا بتسجيل "حوليات" رسمية، أو جداول تعدد السلالات الحاكمة، كما عرفت ذلك بلاد الرافدين منذ أيان السومريين، إذ وصلتنا "لائحة لملوك سومر" تعود لنهاية الألف الثالث ق.م، وغيرها من اللوائح الملكية التي ساعدت كثيراً في التعرف على تاريخ المنطقة، بالإضافة إلى الوثائق الأخرى والحوليات، وأخبار الأيام المجيدة، والمحفوظات الإدارية. وكان لا بدَّ من انتظار الحقبة الهلنستية بعد وفاة الإسكندر لتترك لنا (بابل) لائحة ملوك هلنستية سلوقية، عددت فيها الملوك السلوقيين منذ (311ق.م). وشملت (سلوقس الأول) (305-281ق.م) حتى (أنطوخيوس) السابع (130-129ق.م).

كل ذلك، مع العلم أن (هيرودوت) الذي يعتبره الغرب "أباً للتاريخ"، زار مصر كما زار (بابل)، وشُدِهَ بما توافر أمامه من وثائق مكتوبة بكميات كبيرة، قدمت له المعلومات الضرورية لبداية كتابة التاريخ".

قبرص وَ كريت
بين الشاطئ الكنعاني وبلاد اليونان

المحطتان الرئيستان أمام الساحل الكنعاني، حين تبحر سفنه للتنقل غرباً عبر حوض المتوسط، هما: قبرص وكريت. وهما جزيرتان لم يتأخر البحّار الكنعاني/الفينيقي عن ارتيادهما منذ أن دفع بسفينته في البحر الذي استحق حوضه حمل اسمه.

ومن الطبيعي أن تبدأ علاقة الساحل الكنعاني مع الجزيرة الأقرب التي هي قبرص، وعديدة هي الأسباب التي شجعت على ذلك، وهذا ما سنستعرضه في الفقرات التالية. كما إن خلو الأسطورة اليونانية من الإشارة إلى قبرص، بينما قدمت لنا أسطورة تدعم قدم العلاقة الكنعانية/الفينيقية مع جزيرة كريت، قد يعني أن قبرص كانت بعيدة عن خيال اليونانيين، وأقرب إلى الساحل الكنعاني الذي عرف منذ القدم التمركز في جزيرة قبرص، وإقامة علاقة سوف تشهد الفقرات التالية بعمقها.

5-1- الشاطئ الكنعاني وقبرص:

بنتيجة استقرار الأموريين على شاطئ المتوسط الشرقي منذ نهاية الألف الثالث ق.م، أي قرابة (2100-2000ق.م)، وفيما يخص هذا الموضوع، فإن (أوغاريت) هي المدينة الوحيدة التي بسببِ هجرها نهائياً بعد غزوات "شعوب البحر"، وقدمت للمنقبين تلاً تراكمياً ارتفاعه 17 متراً، عرفت قاعدته العصر النيوليتي (7000ق.م)، ودلت طبقاته على إشغاله المستمر حتى عام (1185ق.م)، وهو تاريخ زوال المملكة.

عرفت أوغاريت بداية استعمال النحاس منذ الثلث الأول للألف الرابع ق.م، وقد شهدنا في مواقع فلسطينية معاصرة أمثلة عن ممارسة تعدين النحاس في كل من بئر السبع وصفادي في منتصف الألف الرابع ق.م (3500ق.م)، حيث عُثر على كتلة سلاح نحاسية، وعلى صولجان من النحاس.

الحقبة التاريخية	التعدين في أوغاريت
4000-5000 ق.م	حقبة نحاسية حجرية (كالكوليتية)
3000-4000 ق.م	حقبة لتعدين النحاس
2000-3000 ق.م	حقبة البرونز القديم
1600-2000 ق.م	حقبة البرونز الوسيط
1200-1600 ق.م	حقبة البرونز الحديث
1200 ق.م ←	عصر الحديد

منذ بداية الألف الثالث ق.م كانت (أوغاريت) تضم مجموعة سكنية مهمة، ومعامل لتعدين البرونز، وكان عليها إذاً التزود بفلزات النحاس والقصدير لإعداد معدن البرونز.

وليس وحدهما النحاس والقصدير هما اللذان حازا اهتمام الفينيقيين، بل المعادن بصورة عامة. وسوف نخصص لها الفصل الثامن من هذا البحث، الذي يتابع العالم الفينيقي في علاقته مع المعادن كسلعة تجارية، بالإضافة إلى العديد من السلع التي عرفوا إعدادها، وسلع أخرى أعدّها الغير، وعرفوا كيف يتاجرون بها.

في عودة إلى الأموريين، يعتقد المنقبون والباحثون بصددهم أنهم حين استقروا على كامل الساحل الشرقي المتوسطي من (رفح) إلى (أوغاريت)، كانوا يضمون حِرفيين مختصين في صب البرونز (الشبه)، وهم الذين أطلق عليهم المنقب الأول في أوغاريت وهو (كلود شيفر) لقب "حملة الأطواق"، التي هي عبارة عن حلقات برونزية مفتوحة تزين عنق حاملها، وعثر عليها في قبور أوغاريت وفي عدد كبير من القبور في حوض المتوسط، وفي عدد من القبور في (أوروبا)، حيث كانت تضم إلى الأثاث الجنائزي، بالإضافة إلى سلاح المتوفى الذي كان يدفن معه.

وعلى هذا الأساس لفت المنقب (كلود شيفر) الأنظار إلى هؤلاء البحارة، الذين نشروا فن التعدين في الأماكن، حيث توافرت فلزات المعادن، وهذا

ما سنعود إليه في مكان آخر. ونكتفي هنا بالقول إن أقرب فلزات نحاسية استثمرها الأموريون مع السكان المحليين قدمتها لهم جزيرة قبرص (جزيرة النحاس)، أمَّا معدن القصدير الضروري لصناعة البرونز فقد كانت مملكة (ماري) على الفرات السوري، هي التي توزعه على مدن شاطئ المتوسط، وكان مصدره مناجم عيلام، يصل إلى (ماري) مروراً (ببابل). وقد أشارت إلى حركة القصدير تلك لوحة تجارية صدرت عن قصر (ماري) أثناء حكم (زمريليم) (1774-1762ق.م). تلك كانت إحدى الأسباب التي أدت إلى علاقات وثيقة بين (أوغاريت) وجزيرة (ألاشيا) أي قبرص.

5-1 (أ) *أوغاريت وآلهة ألاشيا*:

عثر في أوغاريت على رسالة موجهة إلى إمحوتب الثالث (1425-1352ق.م)، تضمنت عبارات رجاءٍ لدوام عظمة الفرعون وملكيته الأبديّة. ويتوجه الرجاء إلى كل من (بعل صافون) والإلهة شمش (الشمس) و (عشترت)، والإلهة (عناة)، وكل آلهة (ألاشيا) أي (قبرص).

5-1 (ب) *الأسرة المالكة الأوغاريتية وَ قبرص*:

نحن في زمن حكم ملك أوغاريت (عميستمر) الثاني (1260-1230ق.م)، والده (نقملفا) (1232-1260ق.م)، المتزوج من الأميرة الأمورية (أخت ميلكو). وكان له أخوان آخران، وهو الأخ الأصغر.

كان والده (نقملفا) قد عقد اتفاقاً مع الملك الحثي (تودهاليا)، تضمنت إحدى مواده: إعطاء الحق للملك الحثي باختيار ولي العهد على عرش (أوغاريت). وهذا ما حدث فعلاً حين تمَّ اختيار (عميستمر)، الأخ الأصغر كولي للعهد، وقد تولى الحكم بعد وفاة والده.

تروي النصوص الأوغاريتية بالأكادية بعد ذلك أن أخوي الملك (عميستمر) الثاني أساءا إليه دون تحديد ما ارتكباه، واستحقا لذلك نفيهما من أوغاريت بعد تلقيهما حصتهما من الميراث.

أمَّا مكان النفي فكان (ألاشيا) أي قبرص، كما كان عليهما تأدية قسم أمام آلهة قبرص بعدم العودة إلى أوغاريت، وعدم مطالبتهما بأي حقوق إضافية.

وما يلفت النظر ويثير التساؤل هنا: لماذا كان على أميري (أوغاريت) تأدية القسم في (قبرص) وليس في أوغاريت قبل مغادرتهما المملكة؟ ولماذا أمام آلهة (قبرص)؟ يعني ذلك أن البيت الملكي الأوغاريتي كانت له علاقات خاصة مع قبرص، حتى إن طقساً جنائزياً حوري اللغة[1] يتوجه إلى آلهة (ألاشيا) وآلهة (أمورو) قبل آلهة (أوغاريت).

ثم وفق نظرية كل من الباحثين ديتريش (Dietrich) وَ ماير (Mayer)، فإنهما يفترضان أن (عميستمر) الثاني الذي يرد ذكره فيما بعد في الطقس الحوري، كان متزوجاً ليس فقط من أميرة أمورية سوف يرد ذكرها فيما بعد، وكذلك من أميرة من (ألاشيا)، وذلك كما يعتبر الباحثان. ولا يفسِّر ذلك لماذا جعلت الأم الأمورية (أخت ميلكو) الأخوين يؤديان القسم في (ألاشيا)؟

كما إن تواجد آلهة قبرصية إلى جانب آلهة (أمورو) و (أوغاريت) في طقس جنائزي لـ (عميستمر) ابن ملك أوغاريت وأميرة أمورية، يجعلنا نفكر بأن (عميستمر) كان يعد أميرة قبرصية من بين أجداده الأقرب، ولا يستبعد ذلك أن يكون هو أيضاً قد تزوج من أميرة قبرصية. كما إنه ليس من غير المحتمل الاعتقاد بأن الطقس الجنائزي قد توجه إلى آلهة أجداد الأسرتين المالكيتين دون التوجه إلى آلهته أو آلهة زوجتيه. وهناك نص مواز من (ماري) يتعلق بالملك آبيل كين (Apil-Kin قرابة 2100ق.م) يدعم هذا الاتجاه. كما أشار إلى ذلك الباحثان الألمانيان ج. بوز و و. سالابيرجر (J. Boese & W. Sallaberger)، وما يعنينا هنا عمق العلاقة بين أوغاريت وقبرص.

1-5 (ج) *آخر أيام أوغاريت وقبرص*:

إن ما يدعم العلاقات الوثيقة بين مملكة (أوغاريت) و (قبرص) تشهد به المراسلات بين الملكين في الساعات الحرجة، يوم كان خطر "شعوب البحر" المدمر يهدد ممالك الشاطئ (الكنعاني/ الفينيقي)، ولذا فإن عمورافي (1200-1185ق.م) ملك أوغاريت كان قد وجه رسالة إلى ملك قبرص لتقصي أخبار الخطر الذي يشكله العدو المشترك، وكانت إجابة ملك قبرص كما يلي:

١- النص67 ا KTU 1.125 .

"... ما كتبته لي: شوهدت سفن في البحر، حتى لو لم يكن الأمر صحيحاً، ابقَ حازماً. فيما يختص بك، أين هم إذاً جنودك وعرباتك؟.. أليست بالقرب منك؟.. إذ لم يكن الأمر كذلك، فما الذي يجعلك تعدو خلف العدو؟... احمِ مدنك بالأسوار. أدخل إليها جنودك وعرباتك وانتظر العدو بحذر".

ويتضح من رسالة ملك (قبرص) أنه كان يجهل أن ملك أوغاريت كان يستجيب لطلب الملك الحثي بتوجيه سفينة إلى موكيش لنقل الحبوب المعدة لمحاربة المجاعة في المملكة الحثية، وكذلك توجيه سفنه وجنوده وعرباته لمجابهة العدو أي "شعوب البحر" التي غزت المملكة الحثية براً وبحراً.

يتضح إذاً من الرسالة الأخيرة المعدة لتوجيهها إلى ملك قبرص أن (عمورافي) كان قد أرسل فعلاً إلى المملكة الحثية عرباته وجنوده وسفنه للمساعدة. وقد تضمنت الرسالة الأخيرة النص التالي:

"أي أبي، ها هي سفن العدو قد وصلت، وأحرقت بالنار مدينتي وخرّبت وارتكبت سوءاً في بلدي.
أبي لا يعلم أن جنودي وعرباتي في البلد الحثي، وجميع سفني في منطقة ليسيا (Lycie)[1]، ولم تعد إليَّ حتى الآن. وهكذا فإن البلد متروك لمصيره. فليعلم ذلك أبي من الآن فصاعداً. نعم سبع سفن عدوّة أتت، وقامت بالتخريب. وإذا ما كانت هناك سفنٌ عدوَّة أخرى في الأفق، أعلمني بذلك بطريقة ما".

تدل الرسائل المتبادلة على علاقة (أوغاريت) الوثيقة مع (قبرص). وتدعم فكرة القرابة، والجد المشترك بين الأسرتين المالكتين. وقد أشرنا إلى ذلك في قصة قسم الأخوين.

2-5- كريت والأسطورة اليونانية (أوروبا أخت قدموس وأبناؤها):

عندما اختطف سيد الآلهة (زيوس) الفينيقية الجميلة (أوروبا) من على شواطئ صور، متخذاً شكل ثور أبيض، جميل وأليف، ذي قرنين من الذهب،

١- Lycie: هي منطقة من آسيا الصغرى تقع إلى الجنوب الشرقي من الأناضول، حيث مرفأ كزانتوس (Xanthos)، وإلى غربه تقع جزيرة رودوس.

أعجبت به ابنة ملك (فينيقا) وبدأت بملاطفته، حتى إنها تجرأت أن تجلس على متنه. عند ذلك توجه الثور الأليف (زيوس) نحو عرض البحر مبتعداً عن الشاطئ، ولم يتوقف إلا لدى وصوله إلى جزيرة (كريت)، عند ذلك تحوّل إلى العاشق المعجب، وتحت أشجار دلب أصبحت دائمة الاخضرار حفاظاً على ذكرى اتحاد العاشقين، وبعيداً عن أنظار (هيرا) زوجة (زيوس) الغيورة! وعلى جزيرة (كريت) أنجبت تلك البشرية الجميلة (أوروبا) ثلاثة أبناء هم: مينوس (Minos)، و رادامانـد (Rhadamande)، و سـاربيدون (Sarpedon). أصـبح الابـن الأول (مينوس) ملكاً على جزيرة كريت، وبنى فيها حضارة متقدمة رمزت إلى (أوروبا) في تأثرها الفينيقي، وحافظت على علاقتها مع الشرق المتوسطي. أمَّا الابن الثاني فهو الذي ألف التشريع الذي عملت به جزيرة (كريت). وبسبب خلاف الأخ الثالث مع أخيه، فإنه غادر جزيرة (كريت)، وأصبح ملكاً على إحدى جزر بحر إيجة، وذلك أيضاً يرمز لاستقرار فينيقي على تلك الجزيرة.

ثلاث صور تمثل اختطاف (أوروبا) من على ساحل صور من قبل الإله (زيوس) الذي حول نفسه إلى ثور أليف

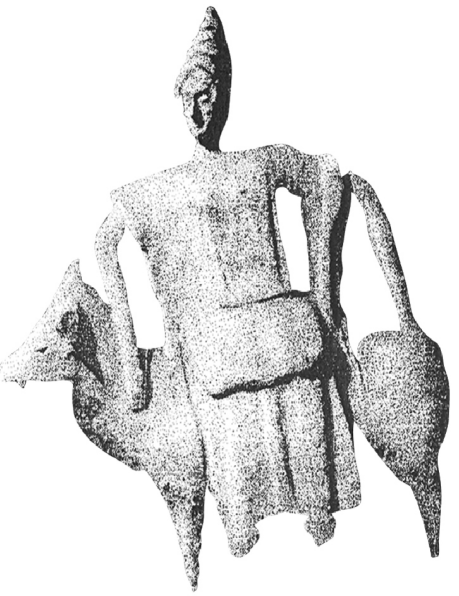

1- تمثال فخاري معروض في متحف اللوفر في باريس يثبت شكله قدم أسطورة الاختطاف

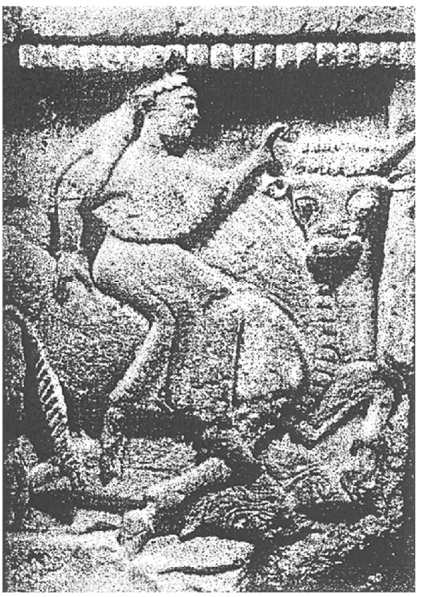

2- تمثيل و تأثير شرقي، وهو عبارة عن نقش تزييني من جبهة معبد سيلينونت يعود إلى القـــرن السادس ق.م. وهو محفوظ في متحف باليرمو الإيطالي

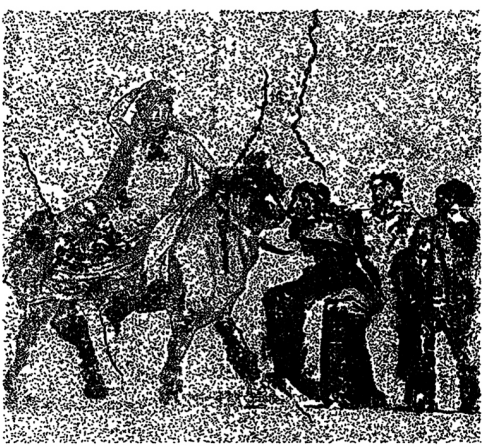

3- رسم جداري من مدينة بومبيي يعود إلى الحقبة الرومانية، يمثل أوروبا على ظهر الثور الذي تداعبه إحدى تابعاتها.

العملة الحالية التي تساوي 2 يورو التي تبنتها بلاد اليونان تذكيراً باختطاف أوروبا الفينيقية التي سميت باسمها القارة الأوروبية

ونضيف للتذكير أن المخلوقة الفينيقية الجميلة التي أتت من الساحل الشرقي للمتوسط هي التي غادر إخوتها الثلاثة: (قدموس) و سيليكس (Cilix)[1] و فونيكس (phoenix)[2] ساحلهم للتفتيش عنها. وحين لم يعثروا عليها، فإنهم أسسوا مستعمرات في المناطق التي وصلوا إليها، واستقروا فيها.

نحن نعلم بأن (قدموس) هو الذي أسس مدينة (طيبا) في (بيوسيا)، المدينة ذات البوابات السبعة، وحكم فيها. وسنعود بالتفصيل في الفصل السادس إلى عرض قصة (طيبا) الفينيقية، والتعرف إلى مصير سلالة قدموس في كل من الأسطورة اليونانية والتاريخ اليوناني.

ونعلم أيضاً أن سيميلي (Semélée) ابنة قدموس الجميلة، هي أيضاً لم تنج من غرام الإله (زيوس) لها، وهي التي قضت بسبب غيرة (هيرا) زوجة زيوس، وتحايلها عليها، ولكن (زيوس) تمكن من إنقاذ الجنين الذي كانت تنتظره من اتحاده معها، وكانت ولادة ديونيزوس (Dyonisos): الإله الذي أدى دوراً مهماً في المعتقدات اليونانية.

2-5 (أ) *مينوس ودوره الحضاري*:

في عودة لجزيرة (كريت) بقصد متابعة حكم الملك (مينوس) ابن (أوروبا) و (زيوس)، نذكر أنه هو الذي بنى في (كريت) حضارة متقدمة كان التأثير الفينيقي واضحاً فيها منذ القرن السابع عشر ق.م. وكانت على علاقة تجارية مع مملكة ماري (Mari)[3] السورية ومع (أوغاريت). وسوف نشير إلى تلك الصلات في مناسبات عديدة فيما بعد.

2-5 (ب) *قصة مينوس مع إله البحر*:

أغضب (مينوس) إله البحر بوزييدون (Poseïdon)[4] حين رفض أن يضحّي له ثوراً جميلاً أُهديَ إليه. لكن إله البحر انتقم منه، حين جعل زوجته الملكة

١- Cilix: وهو الذي حملت كيليكيا اسمه.
٢- phoenix: نسبة إلى فينيقيا.
٣- Mari: على الفرات السوري قرب البوكمال.
٤- Poseïdon: إله البحر اليوناني.

بازيفايي (Pasiphaèe) تقع في غرام الثور، وتلجأ كما تروي تلك الأسطورة إلى حيلةٍ لكي يتحد معها الثور. وبنتيجة تلك العلاقة ولدت (بازيفايي) مخلوقاً غريباً له رأس ثور وجسم رجل، وهو المينوتور (Le Minotaure)، الذي عزله (مينوس) عن الأنظار حين أمر أن تبنى حوله متاهات (Labyrinthes). ونفذ ذلك أحد مساعدي (مينوس)، وهو ديدال (Dedale)؛ هذا الأخير الذي دُونَ علم (مينوس) ساعد زوجته في علاقتها الغرامية مع الثور.

كان (المينوتور) يتغذى بلحم بشري، لذا فرض (مينوس) على أهالي مدينة (أتينا) تقديم سبع شباب وسبعة بنات من (أتينا) سنوياً ليلتهمهم (المينوتور). حدث ذلك حين فقد (مينوس) ابنه أندروجي (Androgèe) في (أتينا)، مما اضطره لمحاربة المدينة وفرض الجزية السنوية الرهيبة عليها.

5-2 (ج) *ديدال الأثيني وأسباب نفيه من بلده أثينا*:

(ديدال)، الذي تقول عنه "التقاليد" إنه ذو أصلٍ أتيني، كان حداداً ماهراً ومهندساً معمارياً متفوقاً، ولكنه لم يتمكن من تحمل تلميذه تالوس (Thalos) الذي ابتدع منشاراً معدنياً مقلداً فك حيّةٍ ميتة. وكانت غيرة (ديدال) من تلميذه تثيرها دوماً أحاديث (تالوس) الذي كان باستمرار يقدم النصح لمعلّمه، حتى ضاق به صبر (ديدال) فرماه من على جبل الأولمب، ولذلك حوكم ونُفي، فذهب للاستقرار في جزيرة كريت، فأُعجب الملك مينوس بأعماله. وهو الذي كما أسلفنا بنى له مجموعة المتاهات لإخفاء (المينوتور) عن الأنظار.

لكن عندما علم (مينوس) أن (ديدال) هو الذي شجع علاقة زوجته (بازيفايي) مع الثور، غضب عليه وسجنه مع ابنه إيكار (Icare) في المتاهة، ولكن (ديدال) تمكّن من الفرار بصنع جناحين من الشمع لكل منهما، فنجا بدوره، ولكن إيكار لم ينجُ. ولا بدَّ أيضاً بالإضافة إلى خيانة (ديدال) لمينوس بالنسبة للثور، فإنه هو أيضاً الذي شجّع البطل بيرسي (Persée) على الهرب مع آريانّ (Arianne) ابنة (مينوس)، التي وقعت في غرامه، وساعدته في الوصول إلى المينوتور لقتله، ثم العودة من المتاهات من دون صعوبة، حين فرد خيطاً أثناء تقدمه في المتاهات، و (أريان) هي التي زودته بمكبّة الخيوط التي مكنته من العودة من حيث أتى. وهرب من (كريت). أمَّا (ديدال) فقد عمل لدى ملك (صقليا) كوكالوس (Kocalos) بعد هربه من (كريت).

3-5- كريت وقدم علاقتها الشرقية:

(كريت) التي تقع إلى الجنوب من منطقة (السيكلاد) اليونانية في شمال الشاطئ الأفريقي لكل من ليبيا ومصر، هي أكبر جزر البحر المتوسط، وتتمتع بشواطئ ذات خلجان عديدة تلجأ إليها السفن لدى الحاجة، وقد أصبحت منذ القدم مركزاً بحرياً نشيطاً ونامياً في علاقته المتواصلة مع الشرق منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد.

إن موقع كفتارو (Keftaru) الذي وردَت تسميته في نصوص ما بين النهرين، كان يمثل جزءاً من الجزيرة أو كاملها، وكان في أساس تسمية كفتور (Kaphtor) التوراتية للدلالة على الجزيرة.

منذ منتصف الألف الثالث ق.م، وحتى قبل تأسيس الحكم المركزي في كريت، فإن العثور على أختام أسطوانية من بلاد الرافدين شهد على وجود علاقات مع ما بين النهرين عبر الشاطئ السوري منذ عام (2400ق.م).

3-5 (أ) *عصر البرونز في كريت*:

عبر عصر البرونز، أي عبر ما عرف في كريت بالمينوي[1] الوسيط (2000-1700ق.م)، تميزت جزيرة كريت بتحولات اجتماعية عميقة، كما عرفت نمواً اقتصادياً أدى تدريجياً إلى إقامة المدن مثال كنوسوس (Conossos)[2] ومالّيا (Mallia)، وكذلك ظهور نظام حكم يشرف عليه القصر، وتنظيم اجتماعي، وبذلك عرفت جزيرة كريت حضارة متقدمة أدت إلى اتباع سياسة تجارية تمتد إلى كامل الحوض الإيجي، بما في ذلك عقد علاقات متواصلة مع المناطق المجاورة لها كمنطقة (السيكلاد) القريبة، وكذلك مع المناطق النائية، كشواطئ آسيا الصغرى، وسورية، وما بين النهرين.

لقد عثر في (كريت) على خناجر سورية الصنع، وأختام أسطوانية تعود إلى الحكم البابلي القديم (1894-1595ق.م). كما إن مدينة (أوغاريت) كانت بشكل خاص تمثل المحطة الرئيسة في مجال تحقيق تلك العلاقات ذات

١- نسبة للملك (مينوس).

٢- Conossos: عاصمة كريت القديمة.

المسافات البعيدة. وهذه هي محفوظات مملكة ماري (Mari)[1] تشير إلى مقابلة حدثت في (أوغاريت) بوساطة مترجم من (أوغاريت)، مع تجار من جزيرة (كريت). كان زمريليم (Zimrilim)[2] آنذاك ملكاً على (ماري) (1774-1762ق.م)، وهو الذي قدَّم في تلك المناسبة إلى رئيس بعثة التجار الكريتيين هدية من القصدير وزنها 5كغ. كما إن الملك (زمريليم) عاد بنتيجة زيارته لشاطئ المتوسط بمنتجات كريتية إلى مملكته في (ماري). وقد تضمنت نصوص قصر ماري إشارةً إلى عدد المنتجات الكريتية القيمة ومنها (15-20) إناءً ثميناً 11 منها مصنوع من الذهب ونحو عشر قطع أسلحة احتفالية من البرونز، مرصعة بأحجار كريمة، وكذلك ألبسة من الجلد (جزم ونعال وأحزمة). كل ذلك من شأنه التعريف بالبضائع الكريتية التي تداولتها الجزيرة مع ما بين النهرين. كما سمح بالتعريف بتداول المعادن في الشرق الأدنى، ولا سيما معدن القصدير، مع التذكير بأن مملكة ماري كانت هي التي تتجمع لديها كميات القصدير، الذي كانت تصدره إلى مختلف عواصم ساحل المتوسط.

أمَّا السمعة الجيدة التي عرفها فن التعدين، ومعالجة المعادن الثمينة في جزيرة كريت، وصنع الحلي الكريتية، لقي صداه فيما بعد في شخصية الإله (حسيس) الحدّاد الماهر وصانع الحلي للآلهة في القرن الرابع عشر، الذي ورد ذكره في ملاحم أوغاريت، والذي يعتقد أنه كان يقيم في (كافتور) (أي كريت). و (حسيس) هو الذي بنى قصر الإله بعل، وصنع الحلي التي أهدتها (عناة) إلى الإلهة - الأم (عشيرة يم) بغية التوصل بواسطتها إلى صدور قرار الإله (إيل) بموافقته على بناء بيت للإله بعل.

3-5 (ب) *الحكم في كريت ودور القصر*:

في الحقبة الميئوية الوسطى (2000-1700ق.م) كانت جزيرة (كريت) مقسمة إلى عدة مناطق يشرف عليها القصر الملكي، كما في بلاد ما بين النهرين. تلك القصور كانت لها وظيفة إدارية واقتصادية متطورة، ولا سيما فيما يتعلق

١- Mari: تل الحريري على الفرات السوري.
٢- Zimrilim: ملك (ماري).

بالصناعات النسيجية، كما في (إيبلا) و (ماري)، وكذلك فيما يتعلق بالتجارة التي كانت تتكامل معها الوحدات الاقتصادية والتجارية الخاصة. كما لوحظ آنذاك أن الإدارة والمتابعة الاقتصادية كانت تعتمد على لوحات فخارية مكتوبة، ووثائق ممهورة بواسطة أختام، ومحفوظة في مستودعات خاصة. وتلك الطرائق كانت مستعملة في ماري، وفي ممالك ما بين النهرين.

أمَّا فيما يتعلق بفن العمارة بالنسبة للقصور الكريتية، فقد كانت تتبع نظام التوزيع الأموري كما في قصور: كنوسوس (Conossos) وَ مالّيا (Mallia) وَ فايستوس (Phaïstos) و (زاكرو). وكانت تحتوي على عدة ساحات داخلية، وطابق علوي، وخصصت أجنحة منها للإدارة، وأجنحة للسكن والاستضافة، كما احتوت مخازن ومشاغل.

3-5 (ج) دمار سبّبَه الهزّاتَ الأرضيةَ وإعادةَ البناء:

تزامنت نهاية الحقبة المينوية الوسطى (قرابة 1700ق.م) مع هدم كامل ليس للقصر في (كنوسوس)، ولكن في معظم المدن الكريتية، ولكن تلك الحقبة لم تدم طويلاً، إذ أعيد البناء، حتى إنه في عام (1450م) من الحقبة المينوية الحديثة (1700-1150ق.م) نجحت جزيرة (كريت) في تحقيق تقدم الصناعات اليدوية والتبادل ما بين منطقة السيكلاد والعالم الميسيني، ومع ساحل المتوسط الشرقي. وأدت سورية آنذاك دور صلة الوصل ما بين الشرق الأدنى ومصر. وأصبحت سورية بذلك الشريك التجاري الرئيس (لكريت). وتلك الحقبة عرفت بمرحلة القصور الثانية التي ازدهرت في كل من المدن الكريتية الثلاثة (كنوسوس) و (مالّيا) و (فايستوس).

3-5 (د) بركان جزيرةَ تَيرا، تَلاه حكم ميسيني:

لم تدم مرحلة القصور الموصوفة أعلاه طويلاً، فقد استفاق بعد مدّة قصيرة من عام (1450ق.م) بركان سانتوران (Santorin) في جزيرة تيرا (Théra)، التي تقع في أقصى جنوب جزر السيكلاد، ولا تبعد سوى 120 كم تقريباً عن عاصمة (كريت) وشاطئها الشمالي. وعلى الرغم من وصول الرماد الناتج عن البركان إلى الجزيرة، ورودود الفعل الاهتزازية الناتجة عن تفجر البركان، فإن ذلك لا يفسر تدمير مدن جزيرة كريت الواحدة بعد الأخرى، وليس دفعة واحدة. ووحده بقي قصر (كنوسّوس) يدير قسماً مهمّاً من الجزيرة حتى قرابة عام (1370ق.م). واعتباراً من ذلك التاريخ، وبسبب استنتاج وجود إدارة حديثة استعملت الكتابة

المستقيمة (B) (Linear B)[1]. وبسبب تبدل عادات الدفن، تم تفسير كل ذلك بأن الميسينيين (Mycène) هم الذين استولوا على الحكم في الجزيرة، وذلك بعد هدم مدن (كنوسوس)، مع الإبقاء على القصر، و (مالّيا) و (فايستوس).

أصبحت الجزيرة آنذاك عبارة عن منطقة تابعة للعالم (الميسيني)، ولكنها حافظت على علاقاتها مع الشرق الأدنى، كما يدل على ذلك نص أكادي من (أوغاريت) يعود إلى القرن الثالث عشر ق.م، يشير إلى أن التاجر الأوغاريتي سينارانو (Sinaranou) شَحَنَ على سفينة متوجهة إلى أوغاريت حبوباً، ومشروبات مخمرة، وزيتاً، وتلك المواد مصدرها جزيرة (كريت).

إلا أن الجزيرة لم تنج من القلاقل والاضطرابات التي عرفها العالم الإيجي في القرن الثاني عشر ق.م، وعرفها كذلك الشاطئ الفينيقي (الكنعاني)، مما أدى إلى هجر المناطق السكنية المنخفضة والانتقال إلى المرتفعات التي يسهل الدفاع عنها.

كما إن هجوم "شعوب البحر" هو المرحلة التي أنهت العديد من الحضارات الحثية والكنعانية. ووحدها مصر تمكّنت من الدفاع عن بلادها، ثمَّ استعادت بعد ذلك المرافئ الفينيقية نشاطها، بعد إعادة بنائها، فيما عدا (أوغاريت) التي زالت نهائياً، والتي كما أسلفنا قدّمت للمنقبين تلاً تراكمياً حَمَل تاريخ الساحل منذ العصر النيوليتي حتى غزوات "شعوب البحر"، وكارثة زوال (أوغاريت) كان لها الفضل بتعريفنا على تاريخ الساحل ومعتقداته، ونصوصه الدبلوماسية والتجارية، وأبجديته الأولى.

5-4- الفينيقيون وجزيرة كريت:

عندما جرت حفريات أثرية في موقع (كومّوس) من جزيرة (كريت) عام (1979م) ظهرت بنية مؤلفة من ثلاثة أعمدة صغيرة، ذات مقطع مربع، يتناقص من القاعدة حتى الرأس، وتلك الأعمدة الحجرية تمَّ اكتشافها فوق أرضية معبد قديم، يعود إلى المرحلة التي سميت في اليونان (هندسية قديمة)، أي بين عامي (900 و 850ق.م). كما تبين أن معبداً يونانياً أحدث يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد أُقيم فوقه، وتلك المجموعة الثلاثية هي عبارة عن مقام تعبدي فينيقي مألوف بالنسبة لساحل كنعان، وهو الذي حدَّثنا عنه الباحث (جوزيف شوّ) (J-shaw) في بحثه عن الفينيقيين في كريت الجنوبية. وقد نشر عنه رسماً منظورياً في عام (1993م) من ضمن عرضه لما سماه المعبد (B).

يتبين من الرسم المشار إليه أن ثلاثي الأحجار القائمة أقيم في الثلث الأخير تقريباً من عمق المعبد المستطيل، وعلى محوره الطولي، وبين المدخل والمقام يوجد موقد معدّ لإحراق التقدمات (الأضاحي).

١- Linear B: كتابة مقطعية عرفتها (كريت) و (ميسين)، ولم تعمر طويلاً وانتظرت بلاد اليونان الأبجدية الفينيقية لممارسة الكتابة.

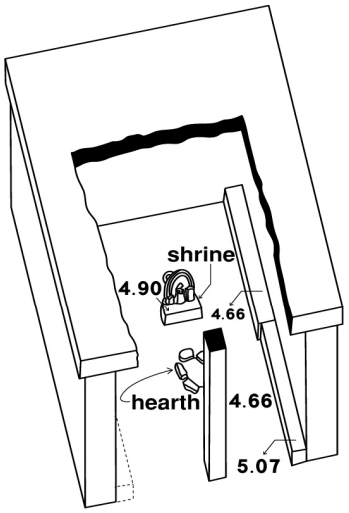

المعبد الفينيقي في كوموس من جزيرة كريت

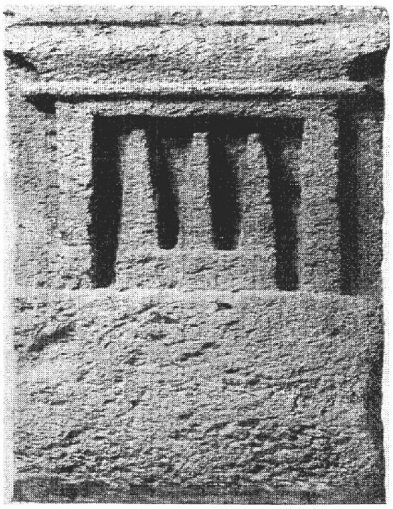

المعبد الثلاثي الأعمدة في موقع نورا من جزيرة سردينيا

ثمَّ في مرحلة ثانية تعود إلى (750ق.م)، تمَّ وضع ترس دائري قطره 0.69م خلف الأحجار الثلاثية (كومّوس). وقد تمَّ استنتاج وجود هذا القرص من بقاء دوائر برونزية يزيّنها تطريق وطرد معدني كانت مثبتة على هيكل من الخشب يكسوه جلد. كما إنه في تلك المرحلة الأخيرة عُثر على تمثال حصان من البرونز وضع بين حجرين قائمين. وإن تمثالاً صغيراً للإلهة المصرية (سخمت) وُضِع فوق الحصان. وقد ثبتتا في موضعهما تحاشياً لسرقتهما.

لم يكن مقام (كومّوس) الفينيقي الوحيد في جزيرة كريت، إذ عثر في العاصمة (كنوسّوس) على مقام مؤلف من ثلاثة أعمدة أسطوانية من الفخار، يعلوها تتويج بسيط، وعلى قمة كل عمود، وضع تمثال طير يشبه الحمام قد يكون رمزاً يمثل الإله المعني.

إن الأحجار القائمة، سواء أكانت أحادية أو ثنائية أو ثلاثية، فإنها من ناحية المعتقد الديني الفينيقي كانت ترمز إلى مقر الإله، وذلك في عصري البرونز والحديد.

ثم من الجناح الغربي من قصر (كنوسّوس) العاصمة الكريتية، عُثر على مقام مؤلف من عمودين يحملان رموزاً مقدسة. وإن الأحجار الأربعة لأحد العمودين تحمل تحزيزات مؤلفة من قرابة (29) رمزاً، تمثل البلطة المزدوجة التي اشتهرت بها جزيرة كريت، وتلك الرموز لا يزال تفسيرها متعذراً.

5-4 (أ) **العبادات القديمة والمتأخرة في بلاد اليونان:**

عرفت بلاد اليونان في حقبةٍ تلت تاريخ الأعمدة الثلاثية في (كومّوس)، أو (كنوسوس) في جزيرة (كريت) أنصاباً قد تتعلق بعبادة الإله (هيرميس)، أو ما سمي (بالهيرمْس) (Herms) المشتقة من (حرم)، وهي التي عثر عليها في (أركاديا) من منطقة (البيليبونيز)، وتعود إلى القرن الثالث ق.م.

ولدينا فيما يخص الموضوع ما وصفه (بوزانياس) (Pausanias) (7.22.5)، وهو الذي عاش في القرن الثاني الميلادي حين كتب أنه:

"بجوار تمثال (هيرمس) كانت هناك قرابة
30 حجراً رباعي المقطع كان أهالي الموقع
يطلقون اسم إله على كل حجر منها"

كما يضيف (بوزانياس) (Pausanias) في (1.44.2):

"إنه في العصور القديمة كان اليونانيون يتعبدون أمام أحجار ترمز إلى الآلهة عوضاً عن التماثيل"[1]

وبهذا الصدد فإن الباحث (يالوريس) (Nicholas Yalouris) تأكد من عبادة آلهة، دون تمثيل صورها في (أركاديا)، ولا سيما فيما يتعلق بالإله (أبولّون).

وفي (كريت) من جهة أخرى اتضح أن عبادة (أبولّون) كانت تتمثل في حجر قائم يرمز إلى الخصب. أمَّا ثالوث (كوموس) فمن المحتمل يونانياً أنه كان يرمز إلى الإلهة (Leto) التي أحبها (زيوس)، وأنجبت (أبولّون) وشقيقته (أرتيميس)، وقد يمثلهم ثالوث (كومّوس).

كما إن ثالوث الآلهة اعتبر في شرق جزيرة (كريت)، وفي منطقة (البيليبونيز) فينيقياً أتى من فينيقيا بتأثير شرقي.

ويقول (جوزيف شوّ): إن اقتراحه ثالوث (سخمت) وابنها (نفرتوم) و (فتاح) كان يعادل فيما بعد (أرتيميمس) بين عمودي ثلاثي (كومّوس)، مضيفاً أنه اقترح احتمال وجود صلة بين الإله (أبولّون)، والتسمية القديمة (لكومّوس)، وهي: آميكلايون (Amyklaion) التي يعتقد أنها صيغة يونانية محرّفة لتسمية فينيقية، وقد اضطره ذلك التفتيش في الجوار، أي خارج

١- هل يعني ذلك أن اليونانيين قد تبنوا طريقة الديانة الفينيقية قديماً، وعادوا إليها أيضاً في تعبدهم للإله (هيرمس)؟

(كريت) وبلاد اليونان، عن أشكال مماثلة. وهذا يقدم لنا مجموعة "مسلاّت" معبد سيّدة (جبيل) في لبنان، كذلك الأعمدة القائمة الفينيقية في قرطاجة، ولا سيما الأحجار القائمة على كامل الساحل الكنعاني التي انتشرت منذ الألف الثاني قبل الميلاد.

وقد امتلأت المرويات التوراتية بالإشارات إلى الأحجار التي كان الإله (يهوه) ومريدوه يعملون على محاربتها من دون جدوى.

وبالنسبة لفلسطين يقدم (جوزيف شوّ) أمثلة عمّا عثر عليه في (حاصور)، وفي (لخيش) في القرن الثالث عشر ق.م، وكذلك في قبرص في موقع (أونكومي) (Enkomi) في القرن الثاني عشر ق.م، وكذلك في معبد (كيتيون) (kition)[1] بين (1300 و 1000ق.م) حيث كان يتم الوصول إلى قدس الأقداس بواسطة ثلاثة ممرات جانبية يعتقد أنها كانت ترمز إلى الثالوث المعبود. وقد اعتبرت البعثة التي أجرت الحفريات في المعبد أن الأعمدة المكتشفة كانت ترتبط بالتقاليد الكنعانية (الفينيقية)، ويعود تاريخها في معبد عشتار إلى قرابة (600-450ق.م).

كما إنه من معبد عشتار في كيتيون (kition)، حصل متحف اللوفر في باريس عام (1902م) على عمود تعبدي عليه كتابة فينيقية تعود إلى القرن السابع ق.م، وقد تمت قراءة مضمونها كما يلي:

"هذا من صنع (إشموتيد يلليش) المثّال
من أجل سيده رشف"

وهناك عمود له أهميته يحمل نحت الإله المصري بيس (Bes)، المثبّت في أعلاه، وعليه كتابة فينيقية تعود إلى القرن السابع ق.م.

بالإضافة إلى صلات قبرص مع الساحل الكنعاني، ولا سيما مع (صور) و (صيدون)، منذ القرن العاشر ق.م، فإن الضغط الآشوري على الساحل أدى إلى تزايد استقرار الكنعانيين في قبرص، وفي كريت وفي بلاد اليونان، وهذا ما حدث مؤخراً أثناء الحرب الأهلية اللبنانية، حين أصبحت قبرص المحطة الأولى التي اختارها اللبنانيون للبقاء غير بعيدين عن وطنهم الأم، ومتابعة أخباره، وبالطبع فإن بعضهم هاجر إلى أوروبا، وإلى فرنسا بشكل خاص.

4-5 (ب) *مقامات وهياكل ومعابد فينيقية أخرى:*

نستدل من المقامات والمعابد التي أسسها فينيقيون من قبرص وكريت أنها لم تكن الوحيدة التي عرفها حوض المتوسط، إذ من الإشارة إلى كل من موقع نورا

١- موقع (kition) هو (لارنكا) الحالية.

(Nora) في (سردينيا)، وعلى ساحل أفريقيا الشمالية في سوس (Sousse)، وفي صقليا، وبصرف النظر عن قرطاجة التي لا ضرورة لعرض ما قدمته، كما يمكن ذكر ما عثر عليه في جزيرة (مالطة)، حيث تعود أحدث تلك المكتشفات إلى القرن الرابع ق.م.

وأخيراً يمكن القول عن الفينيقيين في (كريت) إن العلاقات بين قبرص والساحل الكنعاني توقفت أثناء أحداث القرن الثالث عشر ق.م بسبب الهجرات الدورية، واستعيدت بعد مدّة قصيرة بدءاً بنشاط أوبي (Eubee) والتجار الفينيقيين اعتباراً من القرن الحادي عشر ق.م.

وبعد ذلك، في الأعوام (900-825ق.م)، لم تقم جهة أخرى من الجانب اليوناني ببذل مثل هذا النشاط، وكان ذلك بفضل علاقة الساحل الشرقي مع كل من (قبرص) و (أوبي) في تعاملهما مع مرفأ (المينا)، في الشمال السوري (منطقة البسيط) قرابة (825ق.م)، والتبادل مع (كريت).

وفي الوقت نفسه كان التوسع الفينيقي نحو الغرب في طريقه ليشمل مجموعة من المعامل اليدوية التي من المحتمل أن تكون في كيتيون (Kition) (قبرص)، وفي (كريت)، وفي الجزر الشرقية من بحر إيجة.

كما إنه اعتماداً على "التقاليد" يمكن اعتبار أن تأسيس قرطاجة قد تمَّ قرابة (814ق.م). ومثل هذه الحركة وتوقيتها كان له أثر كبير في جزر بحر إيجة، ولا سيما في (كريت)، إذ عثر على عدد من المكتشفات الأثرية التي تثبت ذلك.

موقع تاس سليغ في جزيرة مالطة ومرتكزات قواعد الأعمدة الثلاثة في معبدها الفينيقي

المعبد الفينيقي في ساجيستا من جزيرة صقليا

4-5 (ج) *مهنيون سوريون استقروا في كريت والعالم الإيجي:*

يضيف (جوزيف شوّ) الذي نتابع بحثه في هذا المجال موضحاً وجود مهنيين من سورية الشمالية في جزيرة (كريت) مقيمين فيها. وقد تبنى هذا الرأي الباحث بوردمانّ (Boardmann) معتمداً على وجود حلي شرقية في العاصمة كنوسّوس (Knossos)، وكذلك أسلحة، ولا سيما التروس البرونزية الشهيرة، ويدعّم ذلك أيضاً العثور على طاسات فينيقية في مقبرة (كنوسّوس)، والتي حملت إحداها نقش: "طاسة (ساما) بن ل" تعود إلى القرن العاشر ق.م، أو الحادي عشر ق.م، وحتى الثاني عشر ق.م، وفق رأي مؤرخين آخرين.

أمَّا الباحث كولدستريم (Coldstream)، فإنه يوضح دور الصناع الشرقيين، والتجار الفينيقيين مقترحاً مرحلتين: المرحلة الأولى في بداية القرن التاسع ق.م بعد زيارات واتصالات متقطعة مع مراكز العالم الإيجي، والمرحلة الثانية هي العودة مع جلب بضائع وحلي، وصنّاع مهنيين للاستقرار.

ويعتبر أن ذلك حدث في الربع الأخير من القرن التاسع ق.م. كما إن حفريات أثرية جرت في (كنوسّوس) أدت إلى اكتشاف 4 كؤوس برونزية تعود إلى القرن (تاسع - ثامن) ق.م، وهي فينيقية، مما يدل على أن الفينيقيين كانوا يتمتعون بوجودٍ ثابت حقيقي في جزيرة (كريت).

4-5 (د) *الإستنتاج الأخير:*

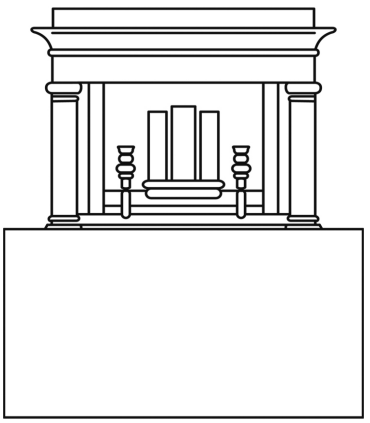

اقتراح محتمل لما كان يحويه هيكل ناوس معبد عمريت

تلخيصاً لما سبق عن اكتشاف عدد من المقامات، وهياكل التعبد، والمعابد المزودة بالأعمدة الثلاثية، التي ترمز إلى ثالوث الآلهة في العالم الإيجي، سواء أكان ذلك في (كريت) أم في بلاد اليونان، يعتبر الباحثون أن تلك المنشآت أنشأها الفينيقيون على الساحل الكنعاني، حيث عثر عليها في حوض المتوسط، فقد أقامها الفينيقيون عبر حقب مختلفة من ارتيادهم تلك المناطق، أو استقرارهم فيها. ولم يحل ذلك دون تبني السكان المحليين رمزية ذلك التمثيل الإلهي الفينيقي المتمثل في الأعمدة الثلاثة. كان مقراً (لبعل) و (عشيرة) و (عشتروت) على الساحل الكنعاني، أو مقراً (لتانيت) و (عشتروت) في قرطاجة.

المسلات التعبدية في مدينة جبيل القديمة

أو الثلاثي (آنتيوب) و (زيتوس) و (آمفيون) بالنسبة لليونان، وأخيراً كما أشرنا إلى ذلك أعلاه الثلاثي (سخمت) وابنها (نفرتوم) و (فْتاح)، وذلك

على أساس التأثير الفينيقي، ونحن نعلم أن الثالوث الفينيقي كان يشمل: (بعل) إله الصاعقة، و (عشيرة... يمّ) إلهة البحر، و (عشتروت) إلهة الحب والحرب.

أمَّا مدينة (ميسين) اليونانية التي ورثت حضارة جزيرة (كريت)، وبلغت أوج إشعاعها الثقافي والاقتصادي في القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق.م، عاصرتها أوغاريت وكانت على علاقات معها. ومن بين الآثار التي تركتها لنا مدينة (ميسين) القديمة، لا بدَّ من الإشارة إلى ما عرف ببوابة اللبوتين، وتلك البوابة التي تثبت صورة عنها، أنها تحمل فوق عتبة البوابة عموداً وحيداً تحيط به لبوتان لحمايته. ويمكن التساؤل فيما إذا كان العمود المشار إليه يمثل إله المدينة، أو إلهة المدينة. وإذا ما كان تصميمه يحمل تأثيراً فينيقياً.

بوابة مدينة ميسين ذات اللبوتين الحاميتين المحيطتين بعمود قائم

5-5- معلومات مكمّلة عن الدور الفينيقي في كريت وآراء بعض الباحثين:

جعلت الأسطورة الفينيقية من (مينوس)، ابن الأميرة الفينيقية (أوروبا)، التي اختطفها سيد الآلهة (زيوس)، ملكاً على كريت. وعرفت كريت في زمنه ازدهاراً وحضارة متقدمة. وفي ذلك اعتراف كامل بالتأثير الفينيقي في جزيرة

(كريت)، وقد روت الفقرة (5-2) من هذا الفصل قصة الأسطورة اليونانية، وعلقت على محتواها.

وبالإضافة إلى ذلك، يمكن القول إن تعبير فوينيكيس (Phoinikes)، الذي استعمله يونانيو العصور القديمة، كان يعني هؤلاء الكريتيين، الذين كانوا يعتبرونهم مسؤولين عن إيصال عدد من الأفكار والمنجزات، التي ولدت في الشرق الأدنى إلى شواطئ بحر إيجة، مثل الكتابة واللون الأرجواني، وبعض الآلات الموسيقية. وبهذه المناسبة، من المفيد التساؤل عن كيفية معالجة هذه الحقيقة من قبل الباحثين الغربيين المعاصرين.

5-5 (أ) *النسبة إلى مينوس ومغزاها*:

بعد انقضاء زمن قصير على بداية القرن العشرين، اشتملت المناقشات "العلمية" آنذاك على عنصر جديد، وهو ما عرف "بالحضارة المينوية" (Miaoenne)[1] لجزيرة (كريت). وقد تمَّ ذلك عندما اكتشف أرثور إيفانز (Arthur Evans) عام (1890م) مدينة كنوسوس (Conossos)، وكذلك حين أُنجزت حفريات مكملة في عدد آخر من مدن الجزيرة.

وعندما تأكد العلماء أن الثقافة الميسينية لم تكن سوى شكلاً محرفاً عن ثقافة كريت، لذا حازت الحضارة الكريتية أهمية كبرى، في محاولة ربطها بالمرحلة الكلاسيكية (القرن الخامس ق.م). ثمَّ إن استعمال تسمية كفتوي (Kftwy) انتقل على ما يبدو من معنى (كريتي) إلى (فينيقي). وعلى ما يبدو، فإن اليونانيين أشاروا إلى المينويين، وإلى الفينيقيين، كما ذكرنا أعلاه، وفق تسمية (فوينيكيس) للدلالة على قَرابة بين (كريتي) و (فينيقي). وفي كل الأحوال، فإنه في الحقبة الهلنستية تم القبول على أقل تقدير بأن اللغة الرئيسة في (كريت) البدائية كانت اللغة الفينيقية، حتى إن لوسيوس سيبتموس (Lucius Septimus) كتب في القرن الرابع الميلادي أنه عندما حدثت هزة أرضية في عام (66) ميلادية، تمَّ اكتشاف وثيقة كريتية قديمة. عند ذلك، عمد الإمبراطور الروماني (نيرون) آنذاك إلى تكليف الضالعين في اللغة الفينيقية بقراءة النص المكتشف.

١- Miaoenne: نسبة إلى مينوس ابن (أوروبا).

كما إن الباحث إرنست كورتيس (Ernest Kurtis) تبنى فكرة وجود استعمار فينيقي ذي أهمية في جزيرة (كريت)، على الرغم من الرأي الذي نفى أن البيلاج (Peslages)[1] السكان الأصليين، لم تتم قط السيطرة عليهم[2].

أمَّا الباحث (إيفانس)، فإنه كان يعتقد بوجود صلة بين الكريتيين القدماء الذين سماهم (المينويين) مع الفينيقيين، و (إيفانس) المولود عام (1851م). وعلى الرغم من دراسته في أكسفورد، كان يقبل بوجود التأثير الفينيقي، وحتى الليبي على جزيرة كريت.

إلا أنه حين ابتدع تعبير (مينوي) نسبة إلى الملك (مينوس)، أصبح من السهل على المدافعين عن "النموذج الآري" المتطرف لحضارة اليونان اعتبار أن اللغة (المينوية) لم تكن (هيللينية) ولا (فينيقية)، كما لم تكن (مصرية)، ولذلك اعتبر هؤلاء بأن اللغة المينوية على قَرابة مع اللغات الأناضولية، ويعني ذلك أنها كانت (هندو - أوروبية).

5-5 (ب) *متابعة إنكار التأثير الفينيقي*:

هكذا بُسِّطت الأمور، وفي الوقت نفسه تمَّ بذل جهود كبيرة لإثبات أن (المينويين) لم يكونوا "ساميين" بالمفهوم العرقي، ولم يختلطوا بالفينيقيين، كما إنهم عُدّوا كأنهم الأكثر حضارة من بين (البيلاج).

أمَّا اكتشاف حضارة جزيرة (كريت)، كان من الأسس المهمة التي دفعت الحضارة الأوروبية نحو الازدهار. هكذا تمَّ تبني رأي أُريدَ له أن يُحترم، وهو أن أجداد الثقافة الأوروبية ليسوا (مصريين)، ولا (آشوريين)، ولا (عبريين). ولا بدَّ من الاستغراب، لأن هذا الرأي، الذي لم يشر إلى الفينيقيين، وأراد للأجداد أن يكونوا هيللينيين أي "آريين" (عرقياً)، أخذوا معظم ميراثهم الثقافي عن حضارة الشعب (الما قبل هيللينيي)، الذي وجدوه على أرضهم! وعلى هذا الأساس أُريد إنقاذ شرف "الآرية".

ومن حسن الحظ أن الباحث إدوارد مييـر (Edouard Meyer) يؤكد مع المؤرخ توسيديد (Thucidide)[3] بأنه وجد فينيقيين حقيقيين على الجزر اليونانية، وفي طيبا (Thébe)[4]. إلا أن هذه النظرية لا تلائم ما يريد الجيل الجديد فرضه، الذي بلغ نضجه في عام (1885م). ولذلك كتب ج. ب بوري (J. B. Bury) في بداية القرن العشرين: "أسس الفينيقيون من دون شك مراكز تجارية هنا وهناك على الجزر، ولكنهم لم يستقروا قط".

١- Peslages: وهم الذين اعتبروا سكان اليونان الأصليين.
٢- سوف يتم نقض هذا الرأي فيما بعد.
٣- Thucidide: مؤرخ قديم.
٤- Thébe: مدينة (قدموس).

5-5 (ج) *الكُتَّاب القُدماء وَ البيلاج*:

أشارت الفقرة "5-5(أ)" إلى (البيلاج). ولتقديم إيضاحات مكملة عنهم نعود إلى آراء الكتّاب والشعراء القدماء من أولئك الذين تحدثوا عنهم في القرن العشرين، والذين كانوا أكثر قرباً من حقيقتهم؛ وهي:

- الصورة التي يرسمها (هيرودوت) (480-420ق.م) عن (البيلاج) تشبه ما كتبه المؤرخ (توسيديد) (455-396ق.م)، الذي تلاه بجيل واحد. وتمثل تلك الصورة الأساس الأكثر أهمية فيما يتعلق بالشعوب الأولى التي سكنت بلاد اليونان وبحر إيجة، وهم الذين تمَّ انصهار معظمهم (بالهيللين).

بالنسبة لـ (هيرودوت)، فإن مثل ذلك التحول الذي حدث بعد استعمار داناوس (Danaos)[1]، يجعل حدوثه في منتصف الألف الثاني. وحسب هيرودوت أيضاً فإن (الدانايين) المطرودين من مصر هم الكنعانيون الذين حَملوا إلى (البيلاج)، وليس إلى الهيللين، طقوس الآلهة.

- كما نجد لدى (ديودور الصقلي) (90-20ق.م) إشارة إلى حقيقة أن قدموس هو الذي نقل الأبجدية إلى (البيلاج).

ويمكن القول إن (البيلاج) الذين يمثلون السكان الأصليين زاد انتماؤهم اليوناني بسبب المحتلين المصريين والهيكسوس الكنعانيين، وذلك يظهر بوضوح في مسرحيات إشيل (Eschyle) وَ أوريبيد (Euripide) التي تمَّ تألفيها في الحقبة نفسها، والتي كتب عنها (هيرودوت) قوله: "... حيث نرى أن (البيلاج) كانوا السكان الأصليين، الذين تمَّ الالتقاء بهم بشكل من الأشكال، وهم الذين غُلِبوا على أمرهم من قبل (داناوس) في الأرجوليد (Argolide)[2]".

- لقد ورد في مسرحية (أركيلاوس) لأوريبيد وفق ما نقله الجغرافي سترابون (Strabon):

"داناوس هو الذي ولدت له خمسون ابنة. جاء إلى موقع أرجوس (Argos) لبناء المدينة. وحين استقر على ضفاف نهر الإيناكوس (Inachos)[3]، وهو الذي أراد ذلك، وقد كان قرار (داناوس): أنه

١- danaos: يرمز إلى الهيكسوس الذين قدموا من مصر إلى اليونان.
٢- Argolide: منطقة من بلاد اليونان تقع عاصمة منطقة الأرجوليد.
٣- Inachos: نهر في منطقة (الأرجوليد).

في كامل (الهيللاّد)، فليؤخذ العلم. إن كل من كانوا يسمون سابقاً (بيلاجيوت) أي (بيلاج) يجب تسميتهم (دانيين).

أمَّا بالنسبة لما سمي (بالنموذج القديم) لتفريقه عن "النموذج الآري" المتطرف، فإن أفضل مفهوم يقضي بتبني صيغة (البيلاج)، وإعطائها للسكان الأصليين الذين كانوا يتكلمون لغة (هندو - أوروبية)، إلا أنهم احتلوا بشكل من الأشكال وهُضموا ثقافياً بواسطة الاستعمار المصري - الفينيقي. ويتوافق ذلك مع ما كتبه كل من (إيشيل) و (أوريبيد) حين أوردا الأمر الذي بموجبه بدّل (داناوس) تسمية (البيلاج) لتصبح (دانيين)، يعني ذلك تبني (البيلاج) حضارة الشرق الأدنى، ولا سيما الكنعانية/ الفينيقية.

5-5 (و) *كريت وعصر الحديد*:

منذ بداية انتشار صناعة الحديد، أي بعد أن كانت تجربة الشبه (البرونز) قائمة اعتماداً على النحاس القبرصي، أدت نهضة الحديد تلك إلى جعل (كريت) تشغل المكانة الأولى عبر القرن الثامن ق.م. والعديد من المكتشفات الأثرية المعدنية التي عثر عليها تعود إلى ما قبل القرن العاشر ق.م، وشملت الأواني والدروع...

أضف إلى ذلك تجارة الأرجوان، وهو الذي كان وراء التسمية الفينيقية التي تعني الحمراء لصنّاعِه. كان مرفأ (إيتانوس) آنذاك، وهو الرأس الشرقي لجزيرة (كريت)، مركزاً تجارياً مهماً. كما إن محطة فايستوس (Phaistos) القريبة كانت بين الأعوام (800-600ق.م) تملك مجموعة كبيرة من أدوات طقسية فينيقية من الصعب إنكارها.

كما إن هناك بعض الأسباب لاعتبار أن اكتشافاً تمَّ قبل عام (450ق.م) لمجموعة من القوانين المكتوبة بواسطة أبجدية فينيقية مؤلفة من 18 حرفاً. ذلك الاكتشاف، أثار فكرة تبني الأبجدية الفينيقية في (كريت) أولاً، ولم تُقدّم مسوغات نهائية بصدد ذلك.

الفينيقيون
في أساس حضارة اليونان

6-1- مدينة طيبا في بلاد اليونان ومصير سلالة قدموس:

المدينة الأولى التي تستحق أن نبدأ بالتعرف عليها ودراسة ماضيها هي (طيبا)، التي تعترف التقاليد اليونانية، وكذلك المؤرخون، بأن قدموس هو مؤسسها في الوقت الذي حاول فيه التفتيش عن شقيقته (أوروبا) التي اختطفها الإله (زيوس) من شاطئ بلاد كنعان، وحملها إلى جزيرة (كريت)، حيث تمَّ اتحادهما، وتمَّت ولادة ثلاثة أبناء أشهرهم (مينوس) الذي حكم في جزيرة (كريت)، والتي عرفت أثناء حكمه حضارة متقدمة لم تكن فينيقيا غريبة عنها. وقد خصصنا لجزيرة كريت مقاطع خاصة بقصد التعرف على علاقاتها مع الساحل الكنعاني، ومع مصر (وقد أشرنا إلى ذلك بالتفصيل في الفصل الخامس (الفقرات "5-2" إلى "5-5").

6-1 (أ) *قدموس أحد أبناء ملك فينيقيا*:

أطلقت الأسطورة اليونانية على الملك الفينيقي والد (أوروبا) تسمية (أجينور)، الذي اعتبرته ابناً لإله البحر بوزييدون (Posseidon)، وأمه ليبيا، وكان له أربعة أبناء: فيني (Phinée)، وَ قدموس، وَ فونيكس (Phoenix)، وَ سيليكس (Cilix).

بعد اختطاف (أوروبا) من قبل (زيوس) يأمر أجينور أبناءه الثلاثة بالتوجه للتفتيش عن شقيقتهم (أوروبا)، وألا يعودوا إليه إلا بصحبة شقيقتهم. وتشير الأسطورة إلى أن فيني (Phinée) كان ملكاً على مدينة سالميديسوس (Salmidessos) في (تيسّاليا). وكان يتميز بقدرته على التنبؤ، ثمَّ فقد نظره لأنه أغضب الآلهة.

أمَّا (فونيكس)، فتقول عنه الأسطورة اليونانية إنه حين لم ينجح في مهمته بعد أن مرّ في (ليبيا) عاد إلى شاطئ المتوسط الشرقي الذي أطلقت عليه تكريماً له تسمية (فينيقيا).

والأخ الآخر (سيليكس) تعتبر الأسطورة أنه انطلق من مصر للتفتيش عن شقيقته أوروبا. ولأنه لم يعثر على أثرها، فإنه قرر أن يستقر على شواطئ آسيا الصغرى في السهل الذي أطلق عليه تسمية (كيليكيا) تيمناً به.

1-6 (ب) *مساعي قدموس*:

أخيراً فإن قدموس أيضاً لم ينجح في العثور على (أوروبا)، لذلك استقر مدّة في (تراس) (Thrace) على الشاطئ الواقع شمال بلاد اليونان، ولكنه ذهب إلى (ديلف) لاستشارة وسيطة الإله (أبولون)، وعند ذلك تلقى من الإله أمراً بمتابعة بقرة على جانبها بقعة دائرية إلى حيث تقف، وهناك يبني مدينة.

تتابع الأسطورة قولها إن قدموس عثر على البقرة في منطقة (فوسيد) (Phocide) وتبعها، فقادته إلى منطقة بيوسيا (Béotie). وبسبب الإرهاق استقلت البقرة على الأرض، حيث كان على قدموس تأسيس مدينته المستقبلية، ثمَّ حين أراد قدموس شكر الآلهة بتضحية البقرة قرباناً لهم، كان عليه أن يجلب الماء لتحقيق ذلك، ولكنه لاحظ أن سبيل الماء الذي وجده كان يحميه تنين، لذا قتل التنين. وبناء على نصيحة الإلهة (أتينا)، الإلهة المحاربة، فإنه استخرج أسنان التنين وزرعها في الأرض، فنتج عن ذلك خروج عدد كبير من العمالقة تحاربوا فيما بينهم حتى الموت، ولم يبق منهم سوى خمسة هم الذين ساعدوا قدموس على بناء مدينته، فكانت طيبا التي يشرف عليها برجها الحصين الذي أطلق عليه اسم قدمي (Cadmée).

1-6 (ج) *زواج قدموس وقصة ابنته مع زيوس*:

تزوج قدموس من (هارموني) ابنة إله الحرب (آريس) و (أفروديت) إلهة الحب والجمال، وهي أيضاً ولدت من زبد البحر الملقح بواسطة دم (أورانوس)، حين قَدَّ (كرونوس) عضو ذكورته ورماه في البحر. كان ذلك في أزمنة البدء. اتحد (كرونوس) بعد ذلك مع أخته ريا (Rhea)، وهو الذي كان يبتلع أبناءه الواحد بعد الآخر لدى ولادتهم، ولكن ريا (Rhea) استبدلت آخر أبنائه وهو (زيوس) بحجر "مقهّط" فابتلعه كرونوس، وسلّمت خفية (زيوس) إلى الكوريت (Coretes)[1] الإخوة الخمسة لتربيته وإخفائه عن والده. وحين أصبح (زيوس) شاباً ثار على والده، وأجبره على استعادة

١- Coretes: هم الأخوة الخمسة الذين نقلوا زيوس إلى جزيرة (كريت)، وبعدها إلى (أولمب) وإن هيراكلس هو أحدهم، وسوف ترد تفاصيل ذلك فيما بعد انظر الفقرة (7-1) من الفصل السابع.

جميع إخوته وأخواته، وهم آلهة الأولمب: (بوزييدون)، و (هيرا)، و (ديميتير)، و (هيستيا)، و (هاديس).

نعود إلى قدموس الذي ولد له بزواجه مع (هارموني) عدة أبناء وبنات، ومن أشهر بناته سيميلي (Semeleé)، وأيضاً أعجب بجمالها الإله (زيوس)، واتحد معها، مما أثار غيرة زوجته الرسمية (هيرا)، التي حولت منظرها لتشبه مرضعة (سيميلي) ومربيتها، ولكي تنتقم منها نصحتها في علاقتها الغرامية أن تطلب من عشيقها (زيوس) أن يظهر أمامها بكامل تألقه لكي تتمتع بجماله، وهكذا فعلت. ولدى إصرارها اضطر زيوس لتلبية رغبتها، فنتج عن ذلك أن صعقت وقُضِيَ عليها. ولكن زيوس نجح في استخراج الجنين غير المكتمل من رحمها وأودعه فخذه، وبعد اكتمال المدّة تمَّت ولادة الإله (ديونيسوس).

6-1 (ر) *ولادة الإله ديونيسوس*:

الذي أدى دوراً كبيراً في نشر المعتقدات الدينية في بلاد اليونان، وفي أنحاء حوض البحر المتوسط كافة، حتى إنه وفق الأسطورة نشر معتقداته وأسرارها في الهند. ولن ندخل في تفاصيل أسرار ديانته، ونكتفي بالقول إنه هو الذي نشر زراعة الكرمة في جميع أنحاء البلاد التي زارها، كما نشر كيفية إعداد النبيذ. ويقال إن الإلهة (سيبيل) هي التي علمته أسرارها.

الإلهة (سيبيل) هي إلهة شرقية دخلت اليونان عن طريق فريجي (Phrigie)، التي كانت منطقتها تشغل الشاطئ الجنوبي من البحر الأسود، غير بعيدة عن (طروادة) ومضيق (الدردنيل).

(سيبيل) إلهة - أم، وهي أكبر إلهة شرقية دخلت اليونان. وكانت بالإضافة إلى كونها أم الآلهة، فإنها كانت ترمز إلى قدرة الإنبات والقدرة الطبيعية. وكانت لها صفات إلهة الخصب، وهي تحكم النباتات والحيوانات والآلهة والبشر، وتمثل الثروات الدفينة في باطن الأرض. وهي مثل (عشتار) الأكادية، أحبت الراعي الفتى آتيس (Attis) حباً بلاتونياً، طالبة منه أن يحافظ على عفافه، ولكنه لم ينجح، إذ اتحد بإحدى حوريات الماء، ولذلك حولته إلى (صنوبرة). كانت طقوس الإلهة (سيبيل) في أساس الأسرار المجونية والأورفية المرتبطة بالبعث.

6-1 (هـ) قدموس ملك طيبا:

تعترف الأسطورة اليونانية أيضاً بأن قدموس حكم شعبه بحكمة، ونقل إليهم الأبجدية الفينيقية. وبلغت مدينة (طيبا) شهرتها في بلاد اليونان، حتى إنها بأسوارها وبواباتها السبعة ألهمت الشاعر أوريبيد (Euripide) الذي عاش بين عامي (485-406ق.م)، وكان كما وصفه (أرسطو) أكبر الشعراء الدراميين في البلاد، وترك لنا أعمالاً مسرحية شهيرة من بينها مسرحية "الفينيقيات"، وهي التي تروي قصة المملكة التي كان على الأخوين ابني (أوديب) حكمها بالتناوب. وحين أتى دور الأخ الآخر لتبوؤ عرش ملكه، فإن أخاه رفض التنازل له عن الحكم وفقاً للاتفاق بينهما، ولكنه عاد بجيش من مدينة (أرجوس) بلد زوجته مهدداً بمحاصرة المدينة، ومطالباً بإنصافه. وانتهى الأمر بلقاء بين الأخوين في معركة فردية، أدت إلى وفاة الاثنين. عند ذلك تسلم الحكم خال الأخوين شقيق الأم (جوكاست) التي انتحرت بدورها عندما شاهدت ابنيها مخضبين بدمائهما. وبقيت الابنة (Antigone) التي تتوجه نحو أبيها (أوديب) الأعمى لأنه فقأ عينيه بعد أن عرف أنه ضاجع أمه (جوكاست)، واعتبرت مصائب المملكة ناتجة عن ذلك العمل الشيطاني. وهذا هو شقيق (جوكاست) يتسلم الملك في طيبا، وينفي (أوديب) لإبعاد كل سوء سبَّبه هذا الأخير للمملكة. ويخرج (أوديب) من طيبا تقوده ابنته (أنتيجون) ليعيش نهايته التعيسة.

بلاد اليونان والعالم الإيجي أثناء حقبة انتشار الملاحة الفينيقية.

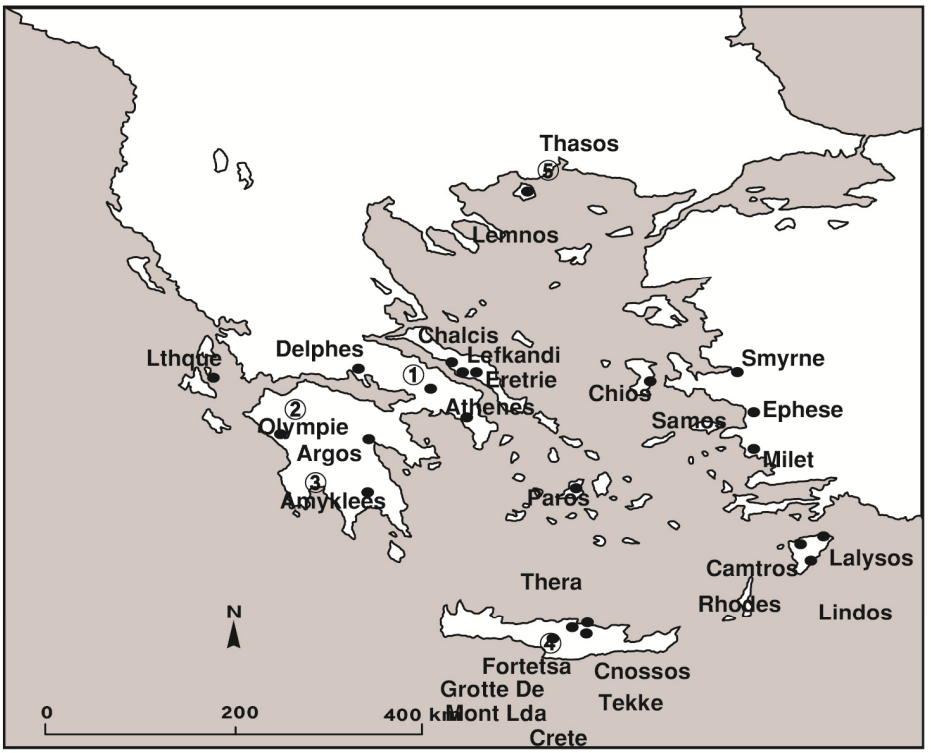

1- طيبا مدينة قدموس.
2- أولمبي حيث كانت بداية الألعاب التي أطلقها الإيليون.
3- أرجوس حيث حكم داناوس الفينيقي بعد مغادرة الهكسوس مصر.
4- جزيرة كريت وعلاقاتها الشرقية.
5- جزيرة تاسوس التي استثمر الفينيقيون مناجم الذهب فيها.

6-1 (و) *الحكم على مضمون الأسطورة اليونانية المرتبطة بطيبا وسلالة قدموس*:

على الرغم من الاعتراف بفضل (قدموس) مؤسس المدينة، ليس من الصعب أن نستنتج بصورة عامة المصير المفجع الذي أراده مبتدعو الأسطورة اليونانية في المجموعة التي استعرضناها. ذلك المصير كان نصيب المؤسسين والحكام الفينيقيين في مملكة (طيبا)؛ وفي ذلك يكمن نوع من كره المؤلفين اليونانيين تجاه ما هو فينيقي منذ العصر الأسطوري، حيث كان التاريخ يمتزج بالأسطورة. تضاف إلى ذلك غيرة اليونانيين من النجاحات التجارية الفينيقية، ومقدرتهم الإبحارية إلى حيث أقاموا المراكز التجارية العديدة في حوض المتوسط، وتعدُّوه إلى الأطلسي. كل ذلك سوف يتضح في فقرات مستقلة.

وما يشير إلى تلك الغيرة اتهام التاجر الفينيقي بالاحتيال وعدم الاستقامة للأسباب نفسها.

6-1 (ز) *طيبا والحقائق التاريخية*:

لم تشتمل جميع المصادر التي بحوزتنا، وغيرها مما راجعنا أي وصف لمعالم المدينة. وحتى المصادر الأركيولوجية لم تقدم لنا إلا وصفاً مقتضباً عن جزء من المدينة، وهو الحي العالي (الأكروبول)، حيث أقيم قصر (قدموس)، وكان ذلك ضمن محاولتنا التعرف على تاريخ تأسيسها.

ومن واجبنا أيضاً التعرف على الكيفية التي تصرفت معها تلك المدينة الفينيقية في عالمها اليوناني. وقد تعرضنا إلى بعض الغيرة والكره اللذين اتضحا لنا في الروايات الأسطورية.

وإذا ما أردنا استثمار الحفريات الأثرية في المدينة، وما أشار إليه المؤرخون، فإننا نلاحظ أن قدموس هو الذي أورث اسمه إلى الحي المرتفع (الأكروبول) في المدينة، والذي أطلق عليه تسمية قَدْمي (Cadmée). ويضيف التاريخ أن (طيبا) حاولت في الحقبة الكلاسيكية، أي في القرن الخامس ق.م، وحتى تاريخ دخول الإسكندر المنطقة وبناء إمبراطوريته، تحقيق وحدة منطقة (بيوسيا)، وفرض نفسها كمركز قوة تجاه (أتينا) و (إسبارطة). ونجحت في ذلك بين عامي (371 و 362ق.م)، وكان ذلك بفضل قائدين كبيرين هما (بيلوبيداس) و (إيبامينونديس)، أي إنه بعد قرابة (30) سنة فإن الإسكندر الكبير هدم المدينة لأنها حاربته، ورفضت غزوه تماماً، كما حدث على الساحل الكنعاني حين قاومت غزة وصور غزو الإسكندر ولم تنجحا بذلك. ويقال تاريخياً إن الإسكندر بعد هدم المدينة حول أهلها إلى العبودية، لكن (طيبا) أعيد بناؤها عام (316ق.م)، حيث أصبحت بعد ذلك مدينة صغيرة، وكما حدث في عدد من العواصم الفينيقية على الساحل الكنعاني، فإن المدينة الحديثة أقيمت فوق المدينة القديمة، ولم تتضح معالم المدينة القديمة فيما عدا ما كشفت عنه الحفريات في الحي العالي، وهو قصر (قدموس) الذي يعود إلى حقبة (1450-1350ق.م)، وتلك الحقبة عرفتها أوغاريت على الساحل، وتأثرت جزئياً فيما يتعلق بسورها، وبمدافنها الملكية والعائلية بالطراز المسيني، إذ عرفت (ميسين) اليونانية نهضة ثقافية واقتصادية، لا سيما بعد زوال (كنوسوس) العاصمة الكريتية، وقصرها المشهور، اللذين زالا بسبب حريق هائل في نهاية القرن الخامس عشر ق.م. وأعيد ترميم المدينة بشكل بدائي وبقيت على ما هي حتى بداية عصر الحديد. وفي الوقت نفسه أي قرابة (1200ق.م) عرفت (ميسين) هي أيضاً زوالها بسبب غزو الدوريين (Doriens)، ولم تعد بعد ذلك سوى قرية صغيرة.

6-1 (ح) *مواقف طيبا الفينيقية في قلب بلاد اليونان*:

أشرنا آنفاً إلى أن طيبا قاومت غزو الإسكندر، وقبل ذلك يمكننا العودة إلى زمن الحروب الميدية بين الإمبراطورية الفارسية وبلاد اليونان، حيث تمت آنذاك أحلاف فيما بين المدن لمقاومة الغزو الفارسي. وما يميز (طيبا) عن بقية المدن

اليونانية أنها انضمت إلى الفرس أثناء الحروب الميدية، وبالإضافة إلى ذلك فإن الأسطول الفارسي (الميدي) الذي كان يحارب ويغزو الساحل اليوناني، كان مصدره جزيرة أرواد، وهكذا فلا يوجد تناقض بين موقف فينيقيي أرواد وموقف (طيبا).

كما نعلم أيضاً أن (طيبا) حاربت (أتينا) عام (457ق.م)، وكذلك في عام (447ق.م)، إلا أنه تمَّ احتلالها عام (382ق.م) من قبل فرقة عسكرية (لاسيديمونية)، وهي التي كانت وراء تأسيس إسبارطة، لكن (طيبا) تمَّ تحريرها عام (379ق.م) من قبل القائد الطيبي بيلوبيداس (Pelopidas)؛ وهو في الوقت نفسه قائد سياسي كان قد نفي من طيبا بعد احتلال الحيّ العالي (قدمي) المحصن من قبل الإسبارطيين. وهكذا بعد أن طردت المحتل، أصبحت (طيبا) قوة عسكرية متفوقة بفضل إيبامينونداس (Epaminondas)، وهو جنرال من طيبا ورجل دولة عاد من منفاه إلى (طيبا) لمساعدة (بيلوبيداس)، وحرر (طيبا) برفقته في نهاية عام (379ق.م)، كما ساهم في إصلاح المؤسسات وتنظيم القوى العسكرية، وعارض بعناد الإسبارطي آجزيلاس (Agsilas) في مؤتمر إسبارطة، وأثبت عبقريته الحربية بانتصاره عليه عام (371ق.م). توفي عام (362ق.م)، بعد تحقيق نجاحات عديدة (دبلوماسية وعسكرية)، وبفضله حققت (طيبا) سيطرة في المنطقة لم تتمكن إسبارطة إلا الاعتراف بها.

ولكن وفاة (إيبامينونداس) وضعت حداً للسيطرة الطيبية. وكما ذكرنا آنفاً ثارت (طيبا) ضد الإسكندر في عام (336ق.م)، وانتقاماً منها فقد فتحها الإسكندر وشتت أهلها وهدمها.

أمَّا (أكروبول) طيبا (قدْمِي) في حيها المرتفع المحصن، وسوره الذي يصفه أوريبيد (Euripide) "بطيبا ذات البوابات السبعة" في مسرحية "الفينيقيات" التي أشرنا إليها آنفاً، فقد كشفت التنقيبات بعض معالمه.

6-1 (ط) *الأسطورة اليونانية تتابع إبادتها المعنوية لما هو فينيقي*:

بالإضافة إلى الكره اليوناني لما هو فينيقي، فإن هناك محولة للتخلص نفسياً بابتداع أسطورة أو أساطير تنتهي بزوال وإبادة ذرية كاملة، كما أشرنا إلى ذلك بالنسبة لقدموس. ولسنا أمام المثال الوحيد إذ إن هناك مثال آخر تجسده أسطورة آمفيون (Amphion) وتوأمه زيتوس (Zethos).

لم يكتف الإله (زيوس) سيد آلهة الأولمب باختطاف (أوروبا)، التي فتنه جمالها، فقد فتنته أيضاً سيميلي (Semeleé) ابنة قدموس. وقد روينا قصتها وقصة تآمر هيرا (Hera) عليها وموتها بنتيجة ذلك.

وها هو الآن يتابع سلسلة علاقاته الجنسية مع الفينيقيات الجميلات اللواتي كن دوماً يلهبن قلب (زيوس) المتقد. وها هو هذه المرة يعجب بآنتيوب (Antiope) ابنة ملك طيبا نيكتي (Nyctée)، التي كانت فائقة الجمال، ويغرر بها متخذاً شكل ساتير (Satyre)[1]. تملّكها الخوف بعد ذلك فلاذت بالفرار، ولجأت إلى ملك سكيون (Scyone) الذي تزوجها، ولكن عمها شقيق ملك طيبا يقوم بمهاجمة مملكة (سكيون)، ويعيد ابنة أخيه إلى طيبا. بعد عودتها تلد آنتيوب توأميها ابني زيوس، وهما آمفيون (Amphion) وَ زيتوس (Zethos)، اللذين اضطرت للتخلي عنهما والتقطهما الرعاة.

وحين اضطهدتها ديرسي (Dircée) - زوجة ليكوس (Lycos) ابن قدموس الذي كان ملكاً على (طيبا) آنذاك - وسجنتها، فإن الآلهة حرروها، وتمكنت من الالتقاء بولديها اللذين انتقما لها من (ليكوس) و (ديرسي)، ثمَّ عادت معهما إلى (طيبا) بعد أن أخبرتهما عن أصولهما. وهكذا حكم التوأمان مملكة طيبا بحكمة وعناية.

وتروي الأسطورة عنهما أن (آمفيون) كان يتقن الموسيقى، حيث لفت نظر الإله (أبولون) الذي أهداه قيثارة، أمَّا التوأم (زيتوس) فكان يفضل التمارين العنيفة والمصارعة[2] وأعمال الحقول. وحين حكما في (طيبا) فإنهما أقاما سور المدينة. وكان يكفي أن يعزف آمفيون (Amphion) على قيثارته هدية أبولون له لكي تتخذ أحجار السور أماكنها وفق المخطط المقرر، وتشكل سوراً مضيئاً، هو رمز تناغم العمارة والموسيقى في بلاد اليونان. ويكمن التساؤل هنا أيضاً في أننا أمام اعتراف يوناني بفن بناء أسوار الحماية، الذي أتقنته المدن الكنعانية ونقلته إلى اليونان.

6-1 (ي) *زواج التوأمين*:

تزوج (زيتوس) من طيبي (Thébé)، وهي الفتاة التي تحمل اسم مدينة (طيبا) التي كان قصرها المنيع في الحي المرتفع يسمى (قدمي) نسبة لقدموس. كما إن (آمفيون) تزوج من (نيوبي) ابنة (تانتال)، ولكن كل أبنائهما قضي عليهم، لأنهم كما تروي الأسطورة أهانوا (ليتو) والدة (أبولون) و (أرتميس).

١- مخلوق أسطوري نصفه العلوي رجل، ونصفه السفلي له قدما تيس، يعتدي جنسياً على الفتيات.
٢- لدينا هنا اعتراف عن ممارسة زيتوس (Zethos) التمارين الرياضية، ولا سيما المصارعة.

ويروى أيضاً أن (آمفيون) قتل حين أصابته سهام انتقام الإله (أبولون) وشقيقته (أرتميس)، ورمي في العالم السفلي (التارتار) لأنه أنجب ذرية متعجرفة، وهكذا عمدت الأسطورة اليونانية إلى الانتقام من (طيبا) الفينيقية.

1-6 (ك) *أمثلة إضافية مماثلة للوجه*:

(أنتيغون) ابنة (أوديب) رافقت والدها الأعمى، حيث تم نفيه من (طيبا)، كما وَرَدَ في مسرحية (أوريبيد).

ولكن أسطورة أخرى تروي أن خالها الذي أصبح ملكاً على (طيبا) بعد وفاة الأخوين في معركة فردية، كان قد أصدر أوامره على أن الأخ الذي أتى بجيش أجنبي من أرجوس (Argos) مدينة زوجته وحاصر طيبا، لا يستحق أن تقام له طقوس الدفن، ويُحرَّم كذلك على أي شخص الاهتمام به. إلا أن (أنتيغون) شقيقته تجرأت أن ترمي على جثته حفنة تراب من طيبا، وافتضح أمرها، ولذلك حُكِمَ عليها أن تدفن حية عقاباً لها، ويقال إنها شنقت نفسها تحاشياً لذلك.

أمَّا لابداكوس (Labdacos) وهو أحد ملوك (طيبا)، وحفيد قدموس، فإنه ارتكب بالنسبة لليونانيين خطأً لا يغتفر لأنه حارب (أتينا).

إيسمين (Isméne) شقيقة (أنتيغون)، والابنة الثانية (لأوديب)، لم ترافق أختها التي قادت أباها الأعمى إلى منفاه، ولكنها حضرت وفاته، وعادت إلى (طيبا) مع شقيقتها (أنتيغون)، وأرادت أن تشارك أنتيغون (Antigone) مصيرها، ولكن شقيقها يرفض ذلك، وهكذا فإنها تختفي دون أي تفسير، وبقيت نهايتها مجهولة.

1-6 (ل) *أكتيون وَ أوريون وَ أشهب الأوغاريتي*:

أكتيون (Acteon) هو شاب من (طيبا)، وهو ابن الراعي أريستي (Aristeé) الـذي أصـبح صـياداً مـاهراً بفضـل نصـائح السـانتور (Centaure)[1] شـيرون (Chiron)، وأصبح أشـهر صـياد فـي منطقتـه، إلا أن غـروره كـان سـبباً لمصـيره المحزن، لأنه ادّعى وفاخر بأنه يتفوق على الإلهة (أرتيميس) في ممارسة الصيد، وأنه أكثر مهارة منها.

وفي يوم من الأيام حين كان يلاحق طريدة على جبل سيتيرون (Citheron) فاجأ مصـادفة الإلهـة العـذراء أرتيمـيس (Arthemis)، وهي تستحم في مياه النهـر، فأغضـبها ذلـك، وتـذكرت غـروره وادعاءاتـه، لـذلك فإنهـا حولتــه إلــى "غــزال"، فلاحقتــه كلابه الخمسون، وقتلته. والكلاب الخمسون ترمز إلى الخمسين يوماً التي تمثل موت الطبيعة التي كان آكتيون (Acteon) أحد ممثليها.

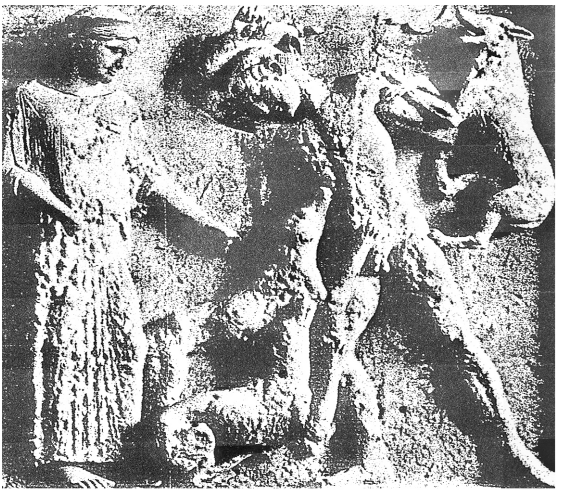

الصيـاد الماهر أكتيـون، وهو من مواطنـي طيبا مدينة قدموس، أعلن أنه يتفـوق على الإلهـة أرتميس في فن الصيـد، ولأنه فاجأها وهي تسـتحم، حـين كان يتابع طريـدة، انتقمت منـه الإلهـة، بحيث جعلـت كلابه تلتهمـه. نقش عـن مربع تزيينـي على جبهـة معبد سـيلينانت في مدينة باليرمو الإيطاليـة. تتوازى هذه الأسـطورة مـع النـص الأوغاريتي الـذي يـروي انتقام الإلهة عَنَاة من الصياد أقهت لأنه أغضبها حين رفض إعطاءها قوسه السحرية وأهان كبرياءها، معتبراً أن لا علاقة للنساء بالصيد.

نحن هنا أمام توازٍ لافت للنظـر بـين قصـة (أقهـتّ) بـن (دانـــل) فـــي الأســـطورة الأوغاريتيـة، الـذي يتلقـى قوسـاً سـحرية مـن حـداد الآلهـة هديـة لولادتـه، ويصـبح أشـهر صـياد في منطقته، ولكن الإلهـة (عنـاة) - البتول عنـاة - كمـا (أرتيميس) أرادت أن يتنازل لها عن قوسه السـحرية، ولكنـه يهينهـا حـين يعتبـر أن النسـاء لا علاقـة لهـن بالصيد، مما يغضب عناة فتنتقم منه وترسل أحد المرتزقة (يطفان) لإرهابه، وبعد وفاة (أكتيون) فإن الطبيعة هنا أيضاً تعرف الجفاف والموت، وذلك أيضاً نراه بعد

١- السانتور: هو مخلوق أسطوري لـه رأس بشري وجسم حصـان اعتبـر اليونـانيون أنـه كـان حكيمـاً ويعرف الطب.

وفاة أقهت. ولكنه مثل بعل يُبعث من جديد مع الربيع بعد أن تُسْتَخرج أشلاؤه من داخل أم النسور التي التهمت جثته بعد دفنها.

أمَّا (أوريون) وفقاً للأسطورة اليونانية هو أحد أبناء فلاح من منطقة بيوسيا (Beotie)، وعاصمتها (طيبا). ويقال عن الفلاح إنه استضاف في بيته الآلهة (زيوس) و (هيرميس) و (بوزييدون)، ومكافأة له منح ابناً فائق الجمال هو (أوريان). وتقول إحدى الأساطير عنه إنه كان يمارس الصيد بمرافقة (أرتيميس) التي كانت معجبة به، مما أثار غيرة شقيقها الإله (أبولون).

فطلب من (أرتيميس) محاولة إصابة هدف بعيد في البحر تمثله بقعة سوداء، فتطلق الإلهة سهمها القاتل، وتصيب الهدف الذي لم يسكن سوى رأس (أوريون). وجميع الأساطير المرتبطة (بأوريون) تتفق على أنه حُوِّل بعد وفاته إلى الكوكبة السماوية التي حملت اسمه. ويُذكِّر ذلك بمصير (بستاني أنكي) الذي اغتصب الإلهة (إنانا) أثناء نومها، وحوَّلته انتقاماً منه إلى كوكب يتغنى الرعاة بقصته.

6-1 (م) *ديونيسوس ينتقم من ابنة قدموس*:

على الرغم من أن (ديونيسوس) كان ابن الفينيقية سيميلي (Semeleé) ابنة قدموس والإله (زيوس) (راجع قصتها في الفقرة "6-1(ج)" أعلاه)، فإنه انتقم من ابنة قدموس آجافي (Agave) شقيقة (سيميلي)، لأنها انتقدت الإله (زيوس) الذي كانت علاقته الغرامية مع شقيقتها سبباً في إلهاب غيرة زوجته هيرا (Hera)، وتآمرها عليها والقضاء عليها، وكانت (آجافي) متزوجة من أحد الأبطال الذين ولدوا من بين الخمسة المنتصرين، الذين ساعدوا على بناء (طيبا)، كما كان لـ (آجافي) منه ابناً هو بينتي (Penthée)، أمَّا انتقام (ديونيسوس) منها، وهي (خانته) بالمفهوم البشري هو إصابتها بجنون مفاجئ كان سبباً في قتل ابنها (بينتي).

6-1 (ن) *مفهوم السَماري والمغالاة والعقاب عند اليونانيين*:

أشرنا أعلاه إلى الكره الذي اشتملت عليه الأسطورة اليونانية تجاه الفينيقيين، واعتبرنا أيضاً أنها قد تكون غيرة من تفوقهم آنذاك، بالنسبة لكونهم أكثر حضارة وتجربة من اليونانيين، في الحقبة الهوميرية، وما تلاها حتى المرحلة الكلاسيكية، اعتباراً من القرن الخامس ق.م، مع الاعتراف أن الحروب الداخلية التي استمرت قبله وأثناءه، أبعدت الإنسان اليوناني عن الاهتمام بتجاوز رتابة حياته، وبناء سموه الإنساني، وبأن الأسطورة اليونانية لا تنقصها الشاعرية والخيال الخصب في استيحاء التاريخ لتحويله إلى أقاصيص، يفيدنا بعضها في استخلاص عدد من القواعد الأخلاقية التي يجب أن تعرض على البشر، والتي في الوقت نفسه لم يساعدهم مجمع الآلهة بإعطائهم المُثل، ولا سيما الإله (زيوس) سيد الأولمب في مغامراته الجنسية مع كل فتاة جميلة في اليونان، ولا سيما إذا

ما كانت فينيقية الأصل. كما إنه من المفيد تحليل علاقات (زيوس) الغرامية، واكتشاف رمزيتها، وقد يعني ذلك محاولة من قبل سيد الآلهة (زيوس) تحويل ذريته إلى مواطنين يونان، ولم يوفق على ما يبدو بدلالة استمرار الكره لما هو فينيقي.

ويمكننا القول مع ذلك: إن اليونانيين كرهوا ما عرف بالتمادي وتجاوز الحدود (Démesure)، ومضاهاة الآلهة وحتى المغالاة في تكريمهم، واختبار ألوهيتهم كما فعل (تانتال) ملك (ليديا)، وهو أيضاً ولد بنتيجة مغامرة (زيوس) مع حورية الماء بلوتو (Plouto)، وقد عوقب من أجل تجاوزه للحدود البشرية، وسوف نروي قصته في مكان آخر.

تلك القواعد الأخلاقية عمل بها اليونانيون وتبنتها الأسطورة، ولذلك يمكن القول في قصة (أوديب) إن الكره امتزج مع التزاوج، على اعتبار أن (أوديب) ضاجع أمه دون علم منه بذلك، وكان يجب أن يدفع ثمن ذلك، وهذه هي (تيبي)، كما أشرنا إلى ذلك في الفقرة "6-1(ي)" أعلاه ابنة (تانتال) التي تزوجها (زيتوس)، وهو أحد توأمي ابن ملك (طيبا)، ها هي تفقد ابنيها لأنها اتهمت بإهانة والدة أبولون و (أرتميس).

لقد اتضح من الفقرات السابقة أن الأساطير قد تكون ابتدعت مرجعية اتهام الضحية بإهانة الآلهة، لتغطية الحقد والتآمر. وكان العقاب في المفهوم اليوناني (آرا) يصيب المرتكبين: الكافر والخائن والمجرم والابن العاق... إلخ.

كما إن لعنة الأب لأبنائه لها أثرت فيهم كما حدث لأبناء أوديب، كما أشارت إلى ذلك فقرة حصار طيبا، ومقتل الأخوين المتبارزين (انظر الفقرة "6-1(هـ)").

وهناك معتقدات تعتبر أن المرتكب يمكن أن يكون عقابه السريع أن أرضه تكف عن إنتاج ثمارها، وقطيعه يصيبه العقم، وامرأته تلد مشوهاً، وأسرته وذريته يجب أن تضمحل.

هذا ما حاولت الأسطورة اليونانية فرضه على طيبا الفينيقية!

وأخيرا فإن (أوريبيد) لم يكن الوحيد بين المؤلفين والشعراء الذين استثمروا قصة أوديب و (طيبا) في مسرحياتهم فإن:

(سوفوكليس) (Sophocle) (496-405ق.م) قدم مسرحيته (أوديب ملك)، و (أوديب في كولون). و (إيشيل) (Eschyle) (525-456ق.م) قدم مسرحيته (السبعة ضد طيبا)، و (الراجيات)، ويمكن العودة إلى تلك المسرحيات المعروفة.

وبالإضافة إلى تلك السلسلة الموجهة ضد طيبا وملوكها وذريتهم، نقدم فيما يلي مضمون الأسطورة التي تلخص كل ذلك، والتي رافقت زواج (قدموس) بابنة إله الحرب أريس (Arés)، وأمها هي (أفروديت).

6-1 (س) *الأسطورة التي تقف وراء كره قدموس وسلالته وسوء مصيرهم:*

حين تزوج قدموس مَن (هارموني) ابنة إله الحرب أريس (Areś) وأمها (أفروديت) تقول الأسطورة اليونانية: إن جميع الآلهة حضروا العرس ومنهم من قدم الهدايا للعروس، إذ إن الإلهة أتينا (Athena) قدمت لها رداءاً نسجته شخصياً، وأهديت هارموني كذلك عقداً معداً من قبل حداد الآلهة إيفايستوس (Ephaistos) وكان هناك لعنة وراء هاتين الهديتين، على اعتبار أن كل من يملكهما يصيبه مصير مفجع، وقد عرف ذلك فعلاً جيل (أوديب) حفيد (هارموني)، وكذلك إيريفيل (Eriphyle)، وَ فيجي (Phegée)، وَ ألكميون (Alcmeon)، وَ أرسينووي (Arsinoé)، وَ كالّينوي (Callinoé).

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الزواج الذي بدأ بإظهار الفرح انتهى بالشقاء والحزن: فأبناء (قدموس)، و (هارموني): إينو - لوكوتيا (Ino-leucothea)، و آجافي (Agavé)، و آنتونووي (Antonoé)، و سيميلي (Semelé)، وأحفادهما، عرفوا مصائب مختلفة، ومع ذلك فإن (هارموني) وزوجها (قدموس) تحولا إلى ثعابين لتعويضهما عن شيخوخة تعيسة، والثعبان يعتبر رمزاً للحياة المتجددة.

6-2- الإعجاب الذي تحول إلى كراهية:

"اليونانيون أعجبوا بهم وكرهوهم؛ هذا الاعتراف هو عنوان فصل قدمه لنا الباحث الألماني جيرهارد هيرم (Gerhard Herm) في كتابه عن الفينيقيين الذي نشر باللغة الألمانية عام (1973م)، وتُرجم إلى الفرنسية في عام (1976م). الإعجاب هو ما شعر به اليونانيون لدى تعرفهم على الفينيقيين، الذين أمّوا بلادهم، وأيقنوا أنهم يحملون إليهم حضارة قدموها بسخاء، وشملت جميع مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية. عاشوا بينهم وتعاملوا معهم، عَرَّفوهم على نشاطاتهم، وعمل أمامهم حرفيوهم وصنّاعهم المهرة، كما نقلوا آنيتهم الخزفية إلى مرافئهم وعادوا إليهم بما يحتاجون إليه. عديدة كانت أسباب الإعجاب، ولكن اليونانيين حين أنهوا تدرّبهم وأرادوا تقليد من كانوا في أساس تقدمهم، وحاولوا الخروج إلى ما هو أبعد من جزرهم وبرهم، كانوا في معظم الأحيان يجدون أن الفينيقيين قد سبقوهم إلى الهدف الذي سعوا إليه. ثمَّ حين تطورت ثقتهم بأنفسهم، وألهبت حسهم الوطني ملاحم الأبطال، وعلى الرغم من حروبهم الداخلية، فإن الإعجاب بدأ يتحول إلى كراهية. وسوف نستعرض فيما

يلي ما يسوغ الإعجاب بالفينيقيين، وما قدموه لبلاد اليونان. كما نقدم بعض الأمثلة عن الكراهية، أو بالأحرى عن عقوق من تعلم وأنكر، وذلك بالإضافة إلى ما أشرنا إليه في الفقرات السابقة.

مصير سلالة قدموس

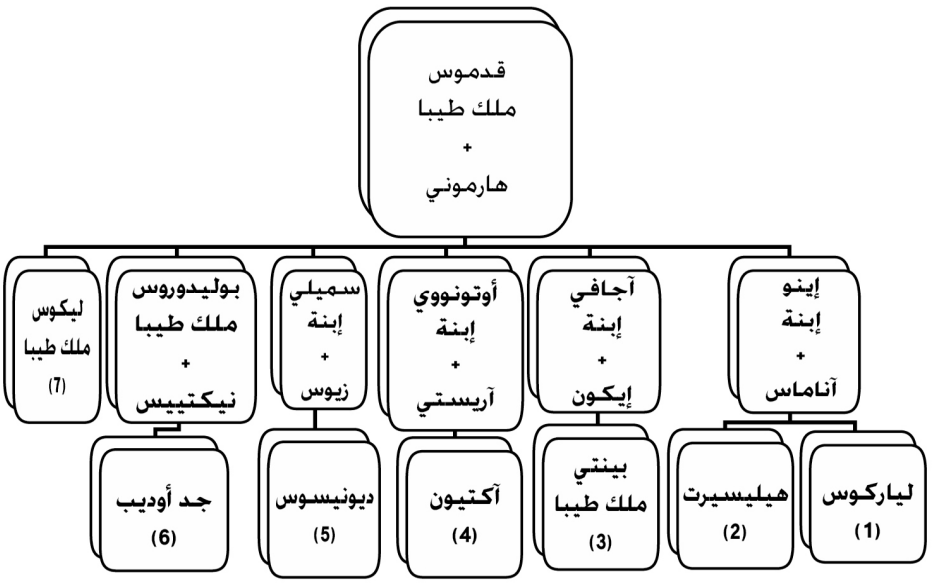

1- قتله أبوه متوهماً أنه غزال.
2- قتلته نساء طيبا من تابعات ديونيسوس وهنَّ في حالة هلوسة.
3- قتله ظلماً جنون والديه. أصبح بعد ذلك إلهاً بحرياً.
4- التهمته كلابه بعد أن حولته أرتيميس إلى غزال لأنه شاهدها مصادفة وهي تستحم.
5- اتهم بالإله المجنون. وإن هيرا زوجة زيوس أرادت الانتقام من ابن سيميلي وزوجها زيوس.
6- أوديب ضاجع أمه دون علم منه، ففقأ عينيه. فقد ابنيه في صراع بينهما أدى إلى مقتلهما. نفي عن طيبا.
7- قتله مع زوجته الشقيقان زيتوس وأمفيون لأنه أساء معاملة والدتهما أنتيوب، لكن الإله ديونيسوس أصابها بالجنون فهامت في البلاد، ولكن فوكوس، حفيد سيزيف أبرأها وتزوجها.

2-6 (أ) *هوميروس والفينيقيون:*

الفينيقي بحار ماهر وتاجر متفوق، يمتاز بالذكاء وقوة الإقناع، حاذق في عمليات التبادل التجاري، حاذق يعرف كيف يخلق الرغبة بسلعته عند الآخر. وهكذا، عندما أراد اليونانيون تلويث سمعة منافسيهم، فمن الطبيعي أن يصبح البحار قرصاناً

محتالاً، ويختطف النساء والفتيات من على الشواطئ التي يرتادها ليبيعهن في مرافئ أخرى، أو أنه كان يوهم شاباً بنقله على سفينته بأنه يقوده إلى حيث سيجد الثروة والسعادة في البلد الذي سيصل إليه، لكنه يبيعه كعبد بمجرد وصوله.

أمَّا التاجر المتفوق، فكان في نظر اليوناني محتالاً ومرائياً، يتقن الكذب والغش. تلك كانت الصورة الشعبية التي أطلقتها كراهية اليونانيين على منافسيهم، والتي يحلو لهم تكرارها كلّما جاء ذكر الفينيقيين.

تبنّى ذلك (هوميروس) صاحب (الإلياذة) و (الأوديسة)، وأراد استثمار تلك الصورة إرضاءً لمستمعيه، لذلك أدخل (هوميروس) في عمله الثاني (الأوديسة) قصة أومي (Eumée)، الذي كان ابن ملك سوري، وكانت مربيته كذلك ابنة أسرة غنية من (صيدون). اختطفها قراصنة (تافيون)، واشتراها ملك سوري. ثمَّ حين وصلت سفينة فينيقية إلى المملكة، تمكن أحد البحارة من إغرائها، كما عرض عليها إعادتها إلى لبنان، وخانت سيدها حين وعدت بأن تعود مع البحارة الفينيقيين، وبرفقتها الابن الصغير الذي ترعاه حيث يمكنهم بيعه.

في اليوم المحدد للعودة، حملت السفينة المربية والطفل، لكنها لم تعد إلى لبنان، بل توجهت نحو الشمال، ثم بعد قتل المربية ورميها في عرض البحر، رست السفينة في إيتاك (Ithaque)[1]، حيث لايِرت (Laerte) والد البطل أوليس (Ulysse) كان ملكاً غنياً، واشترى الطفَل الذي عهدت إليه رعاية الخنازير، وأصبح فيما بعد حسب أسطورة الأوديسية أخلص خادم لأوليس، وهو الأول الذي تعرف عليه لدى عودته بعد غياب عشرين سنة عن مملكته، وكانت زوجته الأمينة بينيلوب (Penelope)[2] تستعمل حيلاً عديدة للتخلص من طالبي الزواج منها الذين اعتبروا أن زوجها (أوليس) قد مات ولن يعود، ويلحون عليها لتختار زوجاً لها من بين الأمراء الذين استقروا في قصرها بانتظار قرارها، وكانت آخر حيلها الشهيرة أنها سوف تختار أحدهم بعد الانتهاء من نسج كفن لوالد زوجها الملك (لايرت)، ولذلك كانت تلغي في كل ليلة ما كانت تنسجه في النهار.

١- Ithaque: هي إحدى الجزر الإيونية الذي كان ملكها (لايرت)، وابنه (أوليس).
٢- Penelope: زوجة (أوليس).

6-2 (ب) هيرودوت يتابع المهمة:

أمَّا هيرودوت فإنه تبنى قصة شعبية تعتبر أن (الفينيقيين) هم الذين اختطفوا أيو (Io)[1] ابنة ملك (أرجوس)، ونقلوها إلى بلادهم. وبقصد الانتقام، فإن اليونانيين اختطفوا (أوروبا) من على شاطئ (صور). رداً على ذلك اختطف باريس (Paris) ابن ملك (طروادة) الجميلة هيلين (Helene)[2] التي هي ابنة الإله (زيوس)، الذي اتخذ شكل ذكر طير البجع، واتحد مع أمها ليدا (Léda) التي كانت رسمياً زوجة أحد ملوك (إسبارطة) الذي خسر ملكه. وهكذا كان اختطاف (هيلين) سبباً في حرب طروادة.

أمَّا هيرودوت، فلم ينسَ دوره كمؤرخ، وفسر تلك الأحداث بأنها نتجت عن عدم إمكان التوفيق بين العالم الأوروبي والعالم الآسيوي الفينيقي - الفارسي، ناسياً أن (أوروبا) تحمل اسم أميرة فينيقية.

أمَّا فيما يتعلق (بإيو) ابنة ملك (أرجوس)، فإن أسطورة أخرى توحي بخلفية تاريخية أكثر واقعية، وتعتبر أن (إيو) كانت إحدى الجميلات التي لفتت نظر الإله (زيوس). وكعادته لم يستطع مقاومة رغبته بها، فاتحد معها ثم حوّلها إلى بقرة تخوفاً من اكتشاف زوجته الرسمية (هيرا) لخيانته لها، ولكن هيرا لم تفتها هذه الحيلة، وطلبت من زوجها أن يكرس لها البقرة، مما اضطر زيوس إلى تلبيته طلبها، ووضعت البقرة تحت تصرفها، وكلفت (هيرا) صاحب المئة عين حراستها، على اعتبار أن ذلك المراقب كان ينام بنصف عينيه، ويبقي النصف الآخر يقظاً للمراقبة، لكن (زيوس) أرسل الإله (هيرمس) الذي حررها من حارسها، ولكن (هيرا) أرسلت لها (ذبابة) البقر التي استقرت على خصرها دون أن تتمكن من التخلص منها، مما جعلها تهيم لأشهر في بلاد اليونان كافة دون أن تتوقف، كما إنها وصلت البوسفور مجتازة الممر الذي سمي "ممر البقرة"، إلى أن وصلت إلى جبل القوقاز، حيث كان بروميتي (Promethée)[3] مكبلاً وسجيناً لمعاقبته، وهو الذي تنبأ لها مصيراً حسناً، ومن القوقاز دخلت إلى مصر، وهناك على ضفاف النيل استعادت شكلها البشري، وولدت ابنها إيبافوس (Epaphos)، لكن (هيرا) كلفت (الكوريت) بإخفائه عن أمه، وهو الذي حكم في مصر عندما أصبح شاباً، وعنه انحدرت سلالة الداناييد (Danaïdes)[4]. كما إنه بالإضافة إلى ذلك، فإن

١- Io: يرتبط الفينيقيون بها بشكل أوسع وفق أسطورة أخرى، نوردها في الفقرة التالية.
٢- Helene: التي لا تفارقها صفة "الجميلة".
٣- Promethée: هو الذي سرق نار الآلهة، ومنحه للبشر، وعوقب لذلك.
٤- Danaïdes: هم سلالة داناوس الهيكسوسي.

(إيبافوس) اقترن بالمصرية (ممفيس)، وولدت له ثلاث بنات من بينهن (ليبيا) التي تزوجها إله البحر بوزييدون (Poseidon)، وكانت ولادة (أجينور) الذي كان ملكاً في فينيقيا، وهو أب كل من (قدموس)، و (فينيكس)، و (سيليكس)، و (أوروبا). تعيدنا هذه الأسطورة مع سلالة (الداناييد) إلى حكم الهكسوس في مصر، ومع (أوروبا) و (قدموس) إلى تأسيس (طيبا) الفينيقية.

على الرغم إذاً من اعتبار (هيرودوت) أن (أوروبا) القارة لا علاقة لها بالآسيويين، ومن بينهم الفرس في عقلية (هيرودوت) الذي أراد استبعادهم، وهم العدو الذي كان دوماً يهدد بلاد اليونان بأكملها في كل مرة، كان يحاول توسيع إمبراطوريته الفارسية. والحروب الميدية بين الفرس واليونان تشهد على ذلك. وإذا ما تمكن هيرودوت من استبعاد الفرس، فإن الفينيقيين هم في صلب الأسطورة والتاريخ.

6-2 (ج) *أوروبا أختَ قدموس والتَسمية*:

من الطبيعي أن يحاول علماء غربيون تفهُّم أصل تسمية الفتاة (أوروبا)، التي ورثت اسمها قارة بأكملها.

يتفق العلماء الغربيون على أن (أوروبا) كانت فتاة فينيقية، وكانت حتماً جميلة، لأن الإله (زيوس) يحب الجمال. وكان لا بدَّ إذاً من التفتيش عن أصل كنعاني (سامي) لتلك التسمية.

إن (أجينور) - أي (كنعان) بالفينيقية - هو والد (أوروبا)، وتعتبر بعض المصادر اليونانية أنه كان ملكاً على (صور). أمَّا بصدد تسمية (أوروبا)، فقد عدّ البعض أنها تعني ذات "الوجه العريض"، وهي صفة عرفت بها (إلهة القمر سيدة الحياة والموت)، والتي عرفت بها أيضاً (عشتروت) الفينيقية. كما يؤكد البعض الآخر أن اسم (أوروبا)، حيث يتم تحليله إلى الاسم المركب أو-روب (Eu-Ropr) من الممكن ترجمته إلى "جيد من أجل المروج"، أو "جيد السقاية". أمَّا النظرية الثالثة فتعتبر أنه يشتق من التعبير السامي إيريب (Ereb)، ومعناه المظلم أو الداكن.

قدَّم التحليل أعلاه الباحث (ج. هيرم)، الذي أشرنا إلى كتابه عن الفينيقيين في بداية هذه الفقرة. وهو يرى أن النظريات المعروضة ليست كافية لبناء القناعة التي تبنت أن أوروبا القارة تقع إلى الغرب من فينيقيا، أي في

المنطقة المظلمة حيث تغيب الشمس؛ أو أن لبنان عبارة عن مروج مروية. وعلى الرغم من ذلك فإن هناك أمراً واحداً أكيداً، هو أن الفينيقيين هم الذين أعطوا لأوروبا تسميتها.

6-2 (د) *فينيقي يؤسس طيبا*:

نذكر هنا أن أشقاء (أوروبا) المخطوفة، ذهب كل واحد من جهته للبحث عنها بتكليف من والدهم ملك صور (أجينور):

توجه الأخ الأول (فينيقس) إلى قرطاجة مروراً (بليبيا)، ثم عاد إلى لبنان ولم يعثر على شقيقته، وسمي الساحل الشرقي للمتوسط، حيث يقيم (فينيقيا) تكريماً له. أمَّا الأخ الثاني وهو (سيليكس)، فقد توجه إلى آسيا الصغرى، وأعطى اسمه (لكيليكيا)، وهو أيضاً لم يعثر على شقيقته.

الأخ الثالث هو تاسوس (Thasos) وصل إلى موقع (أولمبي) في اليونان، حيث أقام تمثالاً للإله الفينيقي (ملكارت)، الذي سماه اليونانيون "هيراكلس الصوري"، ثمَّ احتل الجزيرة التي حافظت على اسمه، وهي جزيرة (تاسوس) الواقعة في شمال البلاد، والتي تحتوي على مناجم ذهب غنية، حتى إن (هيرودوت) كتب أن تلك المناجم، كان لا يزال يملكها فينيقيون في زمنه، وذلك في بداية القرن الخامس ق.م.

أمَّا الأخ الرابع، وهو (قدموس)، فإنه توجه نحو جزيرة (رودوس)، حيث أقام معبداً، ثم عاد إلى (ديلف)، بقصد سؤال بيتي (Pythie) وسيطة الإله (أبولون)، لكي تعلمه عن مكان وجود شقيقته (أوروبا)، ولكن الوسيطة التي تعلم جيداً أن الإله (زيوس) هو مختطفها، تطلب ناصحة أن يتخلى عن مهمة البحث عن أخته، وأن يذهب إلى (بيوسيا) ويؤسس مدينة.

وهكذا كان تأسيس (طيبا) من قبل (قدموس)، وقد روينا بالتفصيل من ضمن الفقرة (6-1) الأحداث التي عاشتها تلك المدينة. وتعليقاً على الأهمية التي اكتسبتها عبر التاريخ اليوناني، نذكر ما كتبه الباحث (هيرم) (ص 209)، والذي يعتبر أن القصة الغرامية بين (زيوس) و (أوروبا) كانت ذات نتائج مهمة غير مرتقبة هي:

> "إن فينيقياً ذهب للتفتيش عن أخته، أسس مدينة من أشهر المدن الهيللينية، حيث ولد كل من (هيراكلس)، و (ديونيسوس)،

و (أوديب)، و (أنتيغون) أي، نصف إله، وإله، وشخصيتان أسطوريتان من أهم ما عرفته بلاد اليونان".

إن مثل هذا الإطراء يتناقض تماماً مع الصفات السلبية، التي أشار إليها كل من (هوميروس)، و (هيرودوت) عن الفينيقيين.

6-2 (هـ) مـا كان يجب تقليدهم للتطور شملتهم الكراهية:

عندما وصل (الدوريون) إلى البلاد قرابة (1200ق.م). وكانوا قبائل بربرية جبلية، فإنهم وجدوا في اليونان حضارة هم غريبون عنها، ورجالاً لهم قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم، وأيقنوا أن ليس بإمكانهم التصرف حيالها وكأنها لم تكن. ووجدوا في البلاد حضارة تفوق بكثير ما يعرفونه، وأناساً منهم من عرف الكتابة والقراءة باستعمال ما عرف في (كريت) وميسين (بالليناير) (A و B)، كما كان بينهم من أتقن بناء القبب، وبناء السفن التي كانوا يقودونها بمهارة. أمَّا الدوريون الوافدون فكانوا يجهلون كل ذلك، ويمكن القول: إنهم كانوا لا يعرفون سوى البيوت الخشبية، والإبحار الذي لم يكن يتعدى الانتقال من نقطة إلى أخرى بمحاذاة الشاطئ (الساحل).

كان إذاً من الصعب عليهم إبطال المهارات المكتسبة والأساطير الإيجية المتعددة المصادر والآلهة، وكذلك ما كان يرويه أمراء البحر (الفينيقيون) و (الميسينيون) عن أسفارهم، وعن البلاد التي أتوا منها، أو التي ارتادوها، وكانت قصصهم تمتزج بخيالٍ يزيدها تشويقاً. وأيقن الوافدون الجدد أن هذا المكان عالماً آخر يثير الإعجاب والدهشة لا يعرفون عنه شيئاً، لأن معلوماتهم لا تتعدى الشواطئ المحيطة ببلاد اليونان. كما دُهشوا بما سمعوه عن العواصم الفينيقية، وعن معابدها وكهانها ونسائها، حيث يتواجد رجال ماهرون وأذكياء بمقدورهم تعليمهم أشياء كثيرة. وعلى هذا الأساس عرفت بداية الحقبة الدورية نوعاً من "الفينيقيومانيا"[1] بلغت أوجها في القرن التاسع ق.م. واعتبرت مصر وفينيقيا أبوين مؤسسين للحضارة، ولم يكن أحد آنذاك يتصور أنهما لم يكونا قد ساهما في بناء ثقافته. فالفينيقيون أسسوا مدينة (كورانتيا)، وعرّفوا اليونانيين بمعدن الذهب، وهم الذين كانوا في خلفية الأساطير عن أبناء (أجينور) ملك صور، وابنه الذي احتل جزيرة تاسوس (Thasos)[2]، والابن الآخر الذي شيّد مدينة (طيبا).

وهذه هي (الإلياذة) في نشيدها الثالث والعشرين "تشيد بجمال ودقة صنع صحن فضي هو أجمل ما عرفته الأرض، لأن فينيقيين أتوا به عبر البحر

١- يعني هذا التعبير المركب: نوعاً من الهوس الإيجابي نحو الفينيقيين وحضارتهم.

٢- تاسوس Thasos: أحد أشقاء (قدموس)، ويذكر مؤلفون آخرون (فيني) (Phinée) عوضاً عنه، انظر الفقرة "6-1(أ)".

الأزرق، وكان هدية الفائز بالمباريات الرياضية، ولأن الصيدونيين المهرة هم الذين شغلوه".

الإعجاب الذي نتحدث عنه تحول إلى كراهية، حين حاول الدوريون ارتياد المسالك البحرية التي تتجاوز بحرهم، ووجدوا أن الفينيقيين سبقوهم إليها، وكانت لهم مراكزهم فيها. حدث ذلك بين القرنين الثامن والسادس ق.م، مما يشير إلى أن اليونانيين كثيراً ما استوردوا من فينيقيا، حتى إنهم استوردوا عدداً من كبار آلهتهم.

6-2 (و) *آلهة الحب والخصب الشرقية تدخل اليونان عبر طريق قبرص*:

(عشتار) البابلية و (عشتروت) الفينيقية وريثتا (إنانا) السومرية، وهي تسميات مختلفة لإلهة واحدة تشرف على الخصب والإخصاب، خصْب الطبيعة وخصوبة البشر. أمَّا تسميتها اليونانية فهي (أفروديت)، وهي أيضاً (فينوس) الرومانية. دخلت إلهة الحب إلى اليونان عن طريق قبرص و (هيزيود) البيوسي وليد منطقة (بيوسيا)، حيث (قدموس) هو الذي روى لنا قصة ولادتها، مضيفاً تلك الولادة إلى مجموعته الأسطورية "ولادة الآلهة"، والتي استلهم لكتابتها الأساطير الشرقية.

أعاد (هيزيود) ولادة (أفروديت) إلى (أورانوس) الإله البدئي إله السماء، وكانت قرينته (جايا) الإلهة الأم الأرض. وُيذكِّر هذان الزوجان البدئيان بإله السماء السومري الذي كان يلقح ويخصب الأرض[1] بمنيه (ماء السماء). وهذا هو (أورانوس)، حين كان مستعداً لمضاجعة قرينته، فاجأه ابنه (كرونوس)، وبواسطة منجل قَدَّ عضو ذكورته، ورماه في البحر. وبما أن ذلك لم يكن بشرياً، فقد تابع دوره الإخصابي حين اجتمعت حوله أنوثة زبد البحر. وها هي أفردويت المرأة الجميلة تخرج من الزبد، وتحملها أمواج البحر نحو جزيرة قبرص لتبلغها عند موقع (بافوس)، الذي هو قريب من مدينة كتيما

١- يقول النص السومري حول زواج السماء والأرض في نهايته: "الأرض الطرية تشبعت بمني السماء الغني، وبالفرح ولدت الأرض نباتات الحياة".

(Ktima) الحالية. ومهما كانت المصادر التي اعتمدها (هيزيود) لرواية ولادة (أفروديت)، فإن (بافوس) تقع على شاطئ قبرص المقابل لفينيقيا، الذي كان يشغل الفينيقيون جزءاً كبيراً منه، منذ القرن الخامس عشر ق.م على أقل تقدير، حتى إن الأسرة المالكة في أوغاريت، كانت تقيم مع قبرص علاقات مصاهرة. وحين قررت مملكة (أوغاريت) نفي أخوي ولي العهد (عميستمر) الثاني لأنهما أساءا إليه، نفتهما إلى قبرص، وفي قبرص أمام محكمة عائلية أقسما اليمين بعدم العودة إلى (أوغاريت).

أمَّا المنفيان فهما ابنا الأميرة الأمورية (أخت - ميلكو) زوجة ملك (أوغاريت) (نَقمعفا). والجدير بالذكر أنهما أقسما اليمين في (قبرص) أمام آلهة من قبرص، مما يدعم علاقات دينية وأسرية بين (أمورو)، و (أوغاريت)، وجزيرة (قبرص).

لم يشك (هيرودوت)، مؤرخ اليونان الأول، لحظة واحدة بأن الإلهة التي اشتهرت بالإغراء كانت أقرب القريبات إلى إلهة السماء الفينيقية، وإلى (عشتار) البابلية. وقد كتب (هيرودوت) فعلاً أن معبد تلك الإلهة في قبرص أسسه الفينيقيون. أمَّا (هوميروس)، فقد أنشد بدوره (أفروديت) (بافوس)، ومعبدها المؤلف من مئة قاعة، وهو المعبد الذي رممه الإمبراطور الروماني (أغسطس) للمرة الأخيرة، ولم تنته الحفريات فيه حتى عام (1973م)، من قبل بعثة بريطانية، وهو معبد ضخم قياساته (132×73) متراً. كل شيء إذاً يدل على أن الإلهة الشرقية تتمتع بأهمية كبيرة في قبرص، التي دخلت العالم الإيجي. وبما أن طقوسها كانت تلقن الجماهير المكبوتة "أسرار" الجنس، فقد لقيت رواجاً كبيراً، مما اضطر اليونانيين إلى إدخالها عالم آلهة (الأولمب)، وأصبحت تلك الإلهة الشرقية من بين مجموعة الآلهة الاثني عشرة، الذين مقرهم جبل (الأولمب).

هكذا فإن (فينيقيا) التي اشتهرت بجمال وذكاء نسائها، قدمت لنا تاريخياً نساءً كانت تتميز بالجمال، وكان لهن تأثيرهن ودورهن في مجتمعهن، مثال (أخت - ميكلو) الأميرة الأمورية التي كان لها تأثيرها في الملك الحثي، يوم كانت (أوغاريت) خاضعة للنفوذ الحثي بعد معركة (قادش)، واقتسام النفوذ على الساحل الكنعاني مع مصر. والمثال الآخر هو

(إزابل) ابنة ملك صور (إيطوبعل) التي كرهتها المرويات التوراتية، وانتقمت منها بأبشع الوسائل. أمَّا (أوروبا) و (أفروديت) فهما مثلان آخران عن التأثير الفينيقي في المجال الرمزي. وبهذا الصدد يكتب الباحث الألماني (جيرهارد هيرن) ما يلي:

"إن الفتاة التي أعطت اسمها إلى قارتنا، ومنحت اليونانيين أيديولوجيتهم، لا تعني سوى محاولة الاعتراف بما قدمه الشرق الأدنى إلى الهيللاد الطقسي، شرف الأنوثة المؤلهة. كما إن أوروبا قد تكون أخت إلهة الحب". (ص 215)

6-2 (ز) *أدونيس الشاب الجميل*:

لم يقتصر اليونانيون على استعارة نموذجهم للجمال الأنثوي من فينيقيا، ولكنهم، إلى حيث دخلت الإلهة الأم (عشتار / عشتروت / أفروديت)، أدخلوا معها الإله الشاب الابن، الذي هو إله الخصب (بعل) الفينيقي، ولقبه (أدون) بمعنى السيد و (أدوني) سيدي، الذي أصبح (أدونيس) باليونانية وهو إله الطبيعة، يموت ويبعث مع خضرة الربيع (كبعل) و (تموز)، ولكن "الكراهية" اليونانية ابتدعت لولادته أسطورة جعلته ابناً (لفينيق) ملك (جبيل)، وهي تروي أن (سميرنا) ابنة الملك تسللت إلى فراش والدها دون علمه وهو نائم، وكان ذلك بناء على نصيحة (أفروديت)، وتمت مضاجعة بينهما. ثم حين علم الملك أنه ارتكب عملاً محرماً دون علمه أراد قتل ابنته لكنها هربت، وحين طاردها أرادت (أفروديت) حمايتها فحوّلتها إلى شجرة آس. ولكن الملك قطعها، وسقط منها وليد، ظهرت (أفروديت) فجأة والتقطته. وضعته في صندوق وسلمته أمانة إلى (بيرسيفون) إلهة العالم السفلي لإخفائه، ولكن هذه الأخيرة عندما فتحت الصندوق ورأت الطفل أعجبت بجماله، ووقعت في حبه، ثم حين أتت (أفروديت) لاسترجاعه رفضت تسليمه، ووقع الخلاف بين الإلهتين، فاحتكمتا أمام الإله (زيوس) الذي قرر أن يقضي (أدونيس) ثلث السنة بقرب (أفروديت)، وثلث آخر بقرب (بيرسيفون) في العالم السفلي، أمَّا الثلث الأخير فيقضيه للراحة. يتفق هذا القرار مع توزع الفصول في عالم المتوسط الشرقي

أدونيس الذي حولته الأسطورة اليونانية من إله زراعي يموت ويُبعث مع خضرة الربيع، ليصبح إلهاً جميلاً وقعت في غرامه كل من إلهة الحب أفروديت وإلهة العالم السفلي بيرسيفون.

واليوناني، وحين يبعث أدونيس من العالم السفلي، يتوافق ذلك مع بداية الربيع، وعودة الخضرة وخصب الطبيعة. هكذا يكون اليونانيون قد تبنوا أسطورة بعل (أدون) الفينيقي بحرفيتها، ورووها على طريقتهم. كما تصوروا للتوصل إلى موت (أدونيس) أن عاشقاً غيوراً من عشاق أفروديت هو الذي حوَّل نفسه إلى خنزير بري وهاجم (أدونيس)، مما سبب موته.

تجدر الإشارة هنا، وبشكل ملفت للنظر، أن اليونانيين حين تبنوا أسطورة (بعل/أدون) الفينيقية جعلوا من جماله ومن صباه منافسة بين إلهتين للاحتفاظ به، كما جعلوا موته نتيجة غيرة أحد عشاق أفروديت، والذي اتخذ شكل خنزير لقتله! هكذا تفقد الأسطورة الأوغاريتية التي سجلها لنا كاتب أوغاريتي - نعرف اسمه من لوحات فخارية - كل عمقها وسمو مغزاها، على اعتبار أن بعل هو الذي عندما يسيطر حر الصيف، ويحترق الزرع ويسود الجفاف، يقبل الموت، وينزل طواعية في حلق موت، لكي يُبعث من جديد مع خضرة الربيع. فتكتمل بذلك دورة الحياة. ونقدم فيما يلي مقتطفات من ملحمة بعل وموت:

"رسولاً (موت) القوي، مفضَّل (إيل) إلى بعل
لكي ينزل في حلقه، الذي هو كحلق أسد الصحراء
وشدق حصان البحر".

يستجيب بعل لدعوة موت:

"بعل يدخل في بطنه، ينزل في حلقه
عندما يحترق الزيتون نتاج الأرض وثمار
الأشجار".
(.....)
"رسالة (بعل) الفائق القدرة، كلمة الأقوى به
الأبطال
تحية لك أيها الإلهي (موت) تحية....
أنا عبدك يا (موت) عبدك إلى الأبد".

الإله زيوس يرمي الصاعقة.

الإله بعل المعبود في كامل الساحل الكنعاني في صراع مع يم إله البحر لتهدئته تسهيلاً للصيد والتجارة. وهو إله العواصف والأمطار يرمي الصاعقة ويهدّ في السماء، كما إنه الإله الذي جابه الإله موت قبل موته هو حين نزل في بطن الأرض، ليبعث من جديد مع خضرة الربيع.

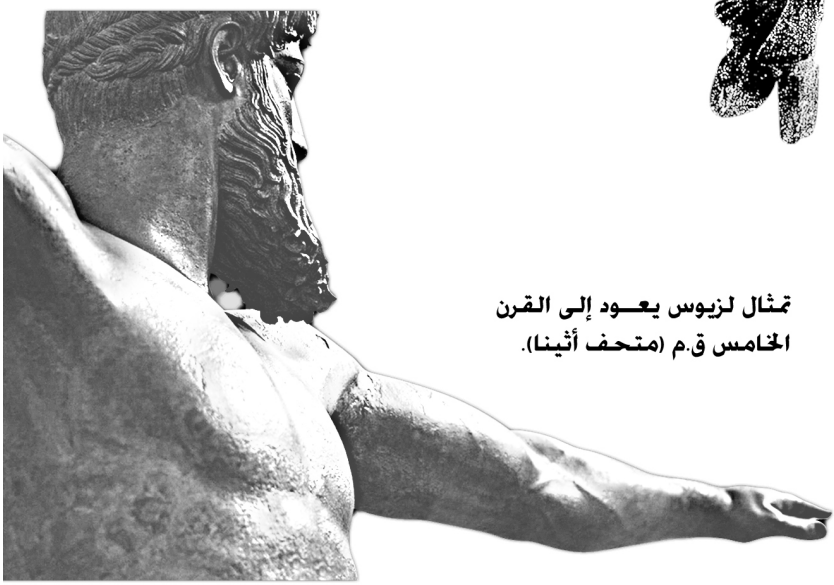

تمثال لزيوس يعود إلى القرن الخامس ق.م (متحف أثينا).

وفي هذه المناسبة، ووفقاً للفقرتين "6-2(و)" و "6-2(ز)"، لا بدَّ لنا من التعليق على أهمية إلهة الحب والخصب، وهي الإلهة الأم (عشتار) و (عشتروت)، وهي في (جبيل) بعلة جبيل، التي كان يبتهل الفينيقيون إليها ويقدمون لها مختلف القرابين. وإن أهميتها وقدسيتها عرفتها مصر الفرعونية، التي لم يتأخر فراعنتها من إرسال التقدمات لمعبدها تكريماً لها. وهي الأم السماوية التي كان يلتجئ إليها المصلون، طلباً للأمان والرحمة. وفيما يلي ابتهال يطلب منها إطالة عمر ملك جبيل:

"فلتعمد بعلة جبيل إلى مباركة (يهوملك)
ملك جبيل ولتجعله يعيش ولتطِلْ
أيامه وسنيه على (جبيل) لأنه ملك عادل".

وبالإضافة إلى ذلك فيمكن القول: إن الإله (إيل) أبا الآلهة والبشر وسيد مجمع الآلهة الفينيقية هو الإله البعيد، كما كان إله السماء (آنو) الأكادي في ما بين النهرين. أمَّا الإله القريب من البشر في بلاد الرافدين فهو (تموز) الأكادي و (مردوك) البابلي. ثم من الأقرب إلى البشر في العالم الفينيقي هو الإله (بعل) ومعه (إيشمون) و (ملكارت)، وهم يشكلون الرموز الإلهية الأكثر أهمية في المعتقدات الشرقية القديمة.

وإذا ما عدنا إلى معتقدات كل من (صور) و (صيدون) و (أرواد) و (جبيل) و (أوغاريت) نلاحظ أن مصائر البشر كانت مرتبطة بصورة عامة بثالوث من الآلهة: الأب (إيل): وهو أبو الآلهة والبشر، والإلهة (الأم)، والابن في كلٍّ من (بعل) و (إيشمون) و (ملكارت). وجميعهم كانوا يموتون ويبعثون في الربيع لكي تكتمل دورة حياة الطبيعة التي كانوا يمثلونها. وبالإضافة إلى ذلك فإن (ملكارت) و (إيشمون) هما إلها شفاء.

وبهذا الصدد، ولأول مرة، بالنسبة لعدد كبير من المصادر المتعلقة بتاريخ المعتقدات التي تعرفنا عليها، لا بدَّ لنا من تقدير الباحث (جيرهارد هيرم) حيث يعلن عن رمزية موت الإله بعل، أشهر آلهة الساحل الكنعاني / الفينيقي وبعثه ما يلي:

"مهما كانت الدورة البعلية مرتبطة بالزراعة، وبتبدل الفصول فإن سيرة الإله (بعل)، أدت عبر الزمن، وعلى أمد طويل، إلى صيغة رائعة لسياقٍ تجريدي اقتصر في النهاية على فكرة إله يضحي بنفسه في سبيل البشرية".

مضيفاً:

"ومن بين جميع ما عرفه الخلق الأسطوري غير اليهودي في الشرق، فقد احتوى هذا الخلق على الفكرة الأكثر خصباً، والتي أعدت، من دون شك، الأرضية الملائمة التي تولدت ونمت فيها المعتقدات المسيحية"."

6-2 (ج) *ديونيزوس الإله الذي اتّهمه اليونانيون بالجنون*:

(ديونيزوس) هو وليد الإلّه (زيوس)، وأمه الفينيقية (سيميلي) ابنة (قدموس). وهو من أدخل الخمر إلى بلاد اليونان، التي لم تعرفه من قبل. وكان الشراب الكحولي في اليونان قبل (ديونيزوس) هو الجعة.

وللتذكير نشير إلى أن النصوص الأوغاريتية تعرف الخمر تمام المعرفة، وكان الآلهة يحتسونها في مآدبهم، في كؤوس من الذهب والفضة. أمَّا التسمية الأوغاريتية للنبيذ فهي "الوين" والوين بالعربية هو العنب الأسود. أمَّا تسميته الشعرية في الملاحم الأوغاريتية فهي "دم الشجرة" أو "دم العنقود". كما يمكن القول إن بلاد الرافدين عرفت الجعة، كما عرفت الخمر في الوقت نفسه، إذ كانت (جيشتيانا) شقيقة (دوموزي)، إلهة الكرمة، وهي التي قدمت نفسها لاقتسام مدّة إقامة شقيقها في العالم السفلي معه. ويعني ذلك أنها كانت هي أيضاً تموت وتبعث في الربيع. أمَّا (ديونيزوس) فهو أيضاً كإله لدم الكرمة، كان يموت ويبعث.

حين أدخل (ديونيزوس) الخمر إلى بلاد اليونان، أُعتُبر كمن يقدم اليوم المخدرات الممنوعة، والتي تسبب السكر الشديد والهلوسة. لذا اعْتُبِر (ديونيزوس) إلهاً شرقياً غريباً، وفي نشوة مسيرة منصّرة جال هذا الإله الشرقي في حوض المتوسط وتوقف في صور. ويقال إنه وصل إلى الهند.

عاد بعد ذلك إلى اليونان، ونشر طقوسه المعتمدة على الخمر والنشوة في جميع أنحاء البلاد، كما نشر زراعة الكرمة، وأصبح بذلك رمز قدرة الطبيعة المسكرة، وإله النسغ الذي يجعل العنب ينمو. كانت تحيط به دوماً آلهة الحقول، كما اعتبر في الوقت نفسه إله الغابات والمياه، إله العنصر السائل الذي هو النسغ، وهو الأصل البدئي لكل ما هو حيّ.

اعتبر (ديونيزوس) في الحقبة الكلاسيكية إله الحياة السعيدة، وإقامة الأفراح. وليس بالإمكان إهمال دوره في المعتقدات (الأورفية)، ومن أسرارها ولادة جديدة (لديونيزوس) بواسطة (سيميلي)، التي كما تقول الأسطورة ابتلعت قلب (زاغريوس) النابض، وهو أحد أبناء (زيوس) و (برسيفون) ابنة (ديميتر)، بعد أن قضى عليه العمالقة (التيتان)، بناء على طلب (هيرا) زوجة (زيوس).

كل ذلك يشير إلى أهمية (ديونيزوس) الذي يتجول في الطبيعة، ترافقه تابعاته من النساء، وعازفو الناي، والجميع في نشوة يؤدون رقصات مسعورة.

إن شخصية (ديونيزوس) اتخذت أهمية وعمقاً كبيرين لدى الرومانسيين الألمان، وفي ما بعدهم (نيتشي) الذين أسسوا فلسفة اعتمدت شخصه ومنجزاته، وهم تحدثوا عن عنصر (ديونيزي) أي (لا عقلاني)، على عكس المبدأ (الأبولوني) المعتمد على العقلانية. واعتُبر هذان القطبان المتناقضان متأصلان في الروح البشرية.

مثل (أفروديت)، فإن (ديونيزوس) والحيوية التي بذلها تابعوه، والنشاط الكبير الذي ولدته معتقداته، اضطر آلهة الأولمب لقبوله في عالمهم، ولكن قبل ذلك نزل إلى العالم السفلي، وعاد بأمه (سيميلي) ابنة قدموس لإدخالها معه في عالم الخالدين الأولمبيين.

2-6 (ط) *هيراكلس الذي أتى من صور وعمريت*:

خلافاً لمعاملتهم السطحية وشبه السيئة للإلهين (بعل / أدونيس) و (ديونيزوس) الذين أتيا من فينيقيا، فإن اليونانيين عاملوا الإله الذي أتاهم من صور وعمريت بشكل أفضل، وهو الإله (ملكارت) الذي كانت مدينة (صور) البحرية والبرية، وكذلك (أرواد / عمريت) تحت حمايته. وقد ازدادت شهرته وأهميته حين انتشرت السفن الفينيقية في كامل حوض المتوسط، وعندما وصلت وتجاوزت "أعمدة هيراكلس"، والتي يُعتقد أنها كانت تسمى أعمدة ملكارت"[1].

ثم حين عمّت شهرة (ملكارت) في العالم الإيجي، أراد اليونانيون أن يجدوا له مكاناً في شجرة الأسرة الإلهية اليونانية. وحين عرفوا أن المؤلف الفينيقي (سانخونياتون) الذي روى ولادة وتسلسل الآلهة الفينيقيين، وحين عرفوا أن والد ملكارت كان ديماروس (Demaros)، فإنهم بكل بساطة اعتبروا أن هذا الأخير يعادل الإله (زيوس)، ثمَّ اختاروا له أُماً هي آلكمين (Alcméne)، وهي زوجة ملك (طيبا) مدينة (قدموس). هكذا أصبح ملكارت (هيراكلس) حين تبناه اليونانيون، ثم جردوه من ملابسه، واكتسى بجلد أسد، وهو الذي نفذ الأعمال البطولية التي ليس لغيره قُدرة على تنفيذها. ومن بين أعماله التي توحي بطبيعته الأصلية القريبة من الإله (بعل) الذي يموت ويبعث، فإن (هيراكلس) نزل إلى العالم السفلي، واستولى على الكلب المخيف سيربير (Cerbére) وحمله إلى (الأرغوليد)، ولكنه اضطر لإعادته إلى العالم السفلي. ومرة ثانية انتصر على الموت، حين أنقذ من العالم السفلي أمه (آلكمين). ومن أنصاف الآلهة الذين عرفتهم الأسطورة اليونانية، كان (هيراكلس) أكثرهم نشاطاً وشهرة. وعلى الرغم من ذلك، فقد اتهمته التقاليد

١- هي التسمية القديمة لمضيق جبل طارق.

السلبية بميول لوطية وبالسكر، وأُسيء إلى سمعته بتحميله أحداث شبه تاريخية شُوِّهت من قبل رواتها.

وإذا ما اعتمد اليونانيون فينيقياً كأساس لذلك البطل، فإنما ذلك يدل كم هم مدينون تجاه هذا الشعب الذي حمل إليهم الحضارة[1]، وهم الذين عمدوا بمحض إرادتهم إلى نسيان أصوله، ولكن مسافريهم ومؤرخيهم القدماء اكتشفوا تلك الأصول.

حين زار (هيرودوت) معبد ملكارت في صور، فإنه وصف سيد المعبد بأنه (هيراكلس التاسي)، لأن (هيراكلس) كانت تتعبد له الجزيرة الفينيقية تاسوس (Thasos)[2]. أمَّا (لوقيان السمسياطي)، المؤلف السوري الذي عاش في الربع الأول من القرن الثاني الميلادي، وأشهر عمل له هو "الآلهة السورية"، فقد كتب أن "معابد الآلهة في (سورية) ليست أقل قِدماً بكثير من المعابد المصرية. وقد تعرفت على الكثير منها، ومن بينها معبد (هيراكلس) في (صور) الذي هو في كل الأحوال ليس (هيراكلس) الأسطورة اليونانية، ولكنه صدر عن ماض موغل في القدم". وقد حاول المؤرخون القدماء خلط الأوراق بالنسبة لأصول (هيراكلس)، فإن (ديودور الصقلي) اكتشف وجود ثلاثة أبطال على أقل تقدير حملوا اسم هيراكلس وهم: (مصري - فينيقي)، و (كريتي)، وابن (آلكمين)؛ ففي كل الأحوال فإن تمثيل البطل (هيراكلس) عمَّ مناطق حوض المتوسط كافة: من (لبنان)، وحتى (جبل طارق)، حيث اكتشف العالم الروماني فارون (Varon) أربعة وعشرين تمثيلاً مختلفاً للبطل الشهير في حوض المتوسط.

وفي توضيح قدمه الباحث (هيرم) عن شهرة وانتشار هيراكلس، فإنه يشبّه كل ما عثر عليه في حوض المتوسط بخصوصه بلوحة جدارية ضخمة، مضيفاً: "إذا ما تمَّ كحت الطبقة السطحية للوحة، فإننا نكتشف أن شاهر الهراوة هو (بعل)، وهو أيضاً (ملكارت) الذي حمل اسماً يونانياً فيما بعد". و نضيف إلى هذا الرأي شخصيّة البطل (جلجامش).

وهكذا فإن اليونانيين مدينون لمنافسيهم أكثر مما يعترفون به، وأهم بكثير من نقل الأساطير التأسيسية وتبني أشخاصها. فإن الحضارة اليونانية مَدينةٌ لمدن الساحل الفينيقي بمنحة جعلت بلاد اليونان تُرسخ أدبها الشفهي يوم تلقت الأبجدية

١- أشار إلى ذلك الباحث (جيرهارد هيرم) (ص 219).
٢- Thasos: في أقصى شمال البلاد.

الفينيقية، وتطلق ما عرف بحقبتها الكلاسيكية التي عمّت عقلانيتها العالم الغربي. وقد تعرض الفصل الرابع من هذا البحث إلى موضوع تبني الأبجدية وانتشار الكتابة.

3-6- معلومات إضافية عن طيبا:

3-6 (أ) *أثر فرعونَي طيبا* (؟):

اعتبرت "التقاليد" اليونانية أن الكتلة الترابية الكبيرة الواقعة إلى الشمال من المدينة هي قبر كل من آمفيون (Amphion) وَ زيتوس (Zéthos)، وهما الأخوان التوأمان اللذان روت قصتهما أسطورة يونانية سنلخصها فيما بعد. أمَّا عالم الآثار اليوناني سبيروبولوس (Spirapoulos)، الذي أنجز حفريات أثرية في الكتلة المشار إليها، فقد وصفها بأنها كانت عبارة عن هرم ترابي مدرج طابقه الأخير بُني بالآجر، وكان يحتوي على قبر فخم تمَّ نهبه سابقاً. وعدد (سبيروبولوس) تاريخ القطع التي عثر عليها بجوار القبر، وهي عبارة عن أواني فخارية وبعض الحلي، حدد تاريخها بحقبة ما عرف بالهيللاديك القديم، أي قرابة (2100ق.م).

وبالإضافة إلى ذلك، فإن عدداً من النصوص الكلاسيكية (القرن الخامس ق.م) تشير إلى علاقة بين تلك المنطقة ومصر. لذا فإن العالم اليوناني (سبيروبولوس) تبنّى فكرة وجود مستعمرة مصرية في ذلك الموقع من بيوسيا. كما إنه من المفيد التذكير بأن تقليداً قديماً أشار إليه (هوميروس)، اعتبر أن التوأمين (آمفيون) و (زيتوس) هما أول مؤسِّسَين (لطيبا). وأمَّا مؤسسها الثاني فهو (قدموس)، الذي يعتبر وصوله من الشرق الأدنى بعد أن كانت (طيبا) المصرية قد دمرت.

أمَّا (الهرم - القبر) المشار إليه أعلاه، فكان كما في مصر مرتبطاً بالشمس. وكأهرامات مصر أيضاً، فإن (طيبا) اليونانية كانت هي أيضاً على ارتباط بمنزل الشمس (الثور)، ولذا فكر عدد من الباحثين بافتراض وجود علاقة بين طقوس الثور في (طيبا)، وبين الطقوس المماثلة في جزيرة (كريت).

تلك الطقوس بقي معمولاً بها في (كريت) عبر ستة قرون، بينما أُبطلت في مصر بمناسبة حلول ملكية الأسرة الثانية عشرة، بعد مدّة قصيرة من حلول العام (2000ق.م)، حين قامت الأسرة الجديدة بحماية (آمون) الإله الضأن. كما إن مختلف الطقوس المرتبطة بالضأن في محيط بحر إيجة، والتي كانت مخصصة للإله (زيوس) تعود إلى تلك الحقبة.

وعن تلك الحقبة يمكن القول: إن (هيرودوت) جمع معلومات عديدة عن توسع الفرعون، الذي سماه سيستوريس (Sestoris) وانتصاراته، وهو فرعون الأسرة الثانية عشرة سنوسريت (Sennousrit). وهذا الاسم حمله عدة فراعنة من تلك الأسرة. كما إنه من المفيد الإشارة إلى أن ما كتبه (هيرودوت) أثار تهكّم الباحثين الهيللينيين المستنكرين لكل علاقة مصرية أو فينيقية، ولم يصدقوا الأساطير التي أشارت إلى الحملات الواسعة التي قام بها أمير فرعوني، هو ميمنون (Memnon)، الذي يمكن إعادته إلى آمينيمحات (Amenemhat)، وهو اسم فرعون آخر من الأسرة XII. كما إن هذين الحدثين اللذين أشارت إليهما الأسطورة، كَسبَا مصداقيتهما عندما تمت قراءة نصوص (ممفيس)، والتي تحدثت عن الانتصارات البرية والبحرية التي حققها كل من الفرعونين (سيستوريس الأول) و (آمينيمحات) الثاني.

3-6 (ب) *أسطورةَ التوأمين*:

أشارت الفقرة "6-1(ي)" إلى زواج التوأمين آمفيون (Amphion) وَ زيتوس (Zéthos)، ومصيرهما السيئ كما أرادته لهما الأسطورة اليونانية. ويمكن التوقع بسهولة أن سوء المصير ذاك سببه ارتباطهما (بطيبا) الفينيقية. أمَّا ما ترويه الأسطورة عن هذين التوأمين، فهو كما يلي:

كان لـ نيكتي (Nyctée) ملك (طيبا) مدينة قدموس ابنة جميلة، تدعى آنتيوب (Antiope).

أمَّا الإله (زيوس) الذي كان كعادته غير قادر على مقاومة جمال الفينيقيات، كما كان الأمر مع (أوروبا) أخت قدموس، ومن بعدها (سيميلي) ابنة (قدموس)، فيعجب بجمال (آنتيوب)، ويتحد معها. وينتج عن ذلك الاتحاد ولادة التوأمين (آمفيون) و (زيتوس). وخوفاً عليهما من غضب والدها تسلمهما إلى رعاة جبل سيتيرون (Citheron)، حيث تمَّت تربيتهما سراً. وسوف تعود الفقرة "7-7(ب)" من الفصل السابع إلى عرض دورهما الحضاري فيما يتعلق بعدالة حكمهما في طيبا، لا سيما ميل أحدهما للموسيقى والعمران، وميل الآخر لحب المصارعة والزراعة.

3-6 (ج) *التأسيس الثاني لـ طيبا*:

إذا ما اعتبر المؤرخون القدماء، وهم على وفاق في ذلك، أن قدموس هو الذي أنجز تأسيساً ثانياً لطيبا التي أُطلق عليها اسم (قدمي) نسبة إلى قدموس، فإن (طيبا) الفينيقية هي التي أشاد بشهرتها الإنتاج الأدبي والمسرحي الذي عرفته الحقبة الكلاسيكية، فأشادت (بطيبا) ذات البوابات السبعة. وقد تعرضت الفقرة "6-1(هـ)" من هذا الفصل إلى مسرحية "الفينيقيات"، والتي تصف حصار المدينة بسبب خلاف الأخوين اللذين لهما حق حكمها بالتناوب.

ويعتقد الباحث بيرنال (Bernal) صاحب كتاب "أتينا السوداء" أن هناك صلة بين تلك الأساطير و (الهيكسوس). وعلى الرغم من أن التقاليد اليونانية تجعل قدوم قدموس في زمن أحدث، فإن "التقاليد" أيضاً تربط بين قدوم داناوس (Danaos) (الهيكسوسي) إلى اليونان، وإدخال الري إليها؛ وتنسب إلى (قدموس) إدخال بعض أنواع الأسلحة، وكذلك الأبجدية، وعدد من الطقوس الدينية. أمَّا (بيرنال) فيرى وفق ما سماه "النموذج القديم" أن الري تمَّ إدخاله قبل ذلك التاريخ، وكذلك إدخال المركبات الحربية والسيوف، والتي وصلت إلى مصر عن طريق الهيكسوس (قرابة 1720ق.م) وأدخلت إلى اليونان بعد زمن قصير.

المباريات الأولمبية
بين الأسطورة والتاريخ

7-1- الأصول الأسطورية للألعاب الأولمبية وارتباطها بالإله زيوس والبطل هيراكلس:

توضيح:

قبل عرض موضوع الأصول الأسطورية للألعاب الأولمبية، الذي هو محض خيال أريد بواسطته إعطاء صفة القدم لبداياتها وبدايات تأسيسها وعلاقتها بالإله (زيوس) منذ طفولته، و (بهيراكلس) مع إخوته الأربعة الذين رافقوه إلى موقع (أولمبي)، نلفت نظر القارئ إلى أن هذه الأساطير لا تشكل حقائق تاريخية أبداً. وقد درج المتوغرافيون اليونانيون حتى أزمنة متأخرة[1] على صياغة أساطير تمكنهم من سرد قصة توحي بأن الحدث يعود إلى أعماق التاريخ، دونما اضطرار لتقديم أي إثبات له، مدّعين بكل بساطة أن الحدث تناقلته "التقاليد"، وهم يروونه علينا اعتماداً على تلك "التقاليد"، وكم من مرة ساعدت التقاليد على سرد "روايات" عبرت عن رغبتهم في أن تكون الأحداث قد جرت كذلك!

وإذا ما عرضنا فيما يلي تفاصيل تلك الأصول الأسطورية، فإنها تفيدنا على أقل تقدير في معرفة ما أراد مبتدع الأسطورة جعلنا نتبناه. إلا أننا في الوقت نفسه نستفيد من عرضه لاقتناص بعض الحقائق التي تفيد بحثنا، وبقيت فاعلة بين السطور.

ولا بدَّ لنا هنا من تقدير وذكر ما كتبه (دوكاربونييز) مؤلف كتاب (أولمبي) عن الألعاب، وفيما يلي ما كتبه في بداية مؤلفه[2]:

> "إن الأصول الأسطورية لـ (أولمبي) وللألعاب الأولمبية، هي محض اختلاق. والمؤلفون القدماء هم الذين ذكروا الأصول الأسطورية للألعاب، وهم الذين غذّوا التعقيد، وهذا هو حال باندار (Pindare) الذي توفي عام (438ق.م)، وحال بوزانياس (Pausanias) (القرن

١- والدليل على ذلك صياغة أسطورة حول (سميراميس) التي حكمت في بابل في القرن الثامن ق.م، وجعلوا منها قائدة عسكرية. حكمت في (2500ق.م) وقد أوردنا نصها في فقرة مستقلة.

٢- Philippe de Carbonnieres في كتابه Olympie من منشورات C.N.R.S عام 1995 و 2005 للنشرة الحديثة.

الثاني الميلادي)، وهما المبلغان الرئيسان عن هذا الموضوع، كما إنهما كذلك لم يعيدا الألعاب إلى البطل نفسه هيراكلس".

1-7 (أ) *إنقاذ زيوس، وثورته على والده*:

تقول الأسطورة اليونانية التي روت ولادة الآلهة، وتوالدها إن الإله (كرونوس) كان آنذاك يحكم الكون، وهو أصغر العمالقة (les Titans) أبناء (أورانوس)، ولكي يحتفظ بملكه، ويتمتع بالسلطة القصوى من دون أن يُنافَس، فإنه كان يبتلع أبناءه بمجرد ولادتهم، فيما عدا زيوس الذي استبدلته أمه (ريا) (Rhéa) بحجر "مقهّط" ابتلعه (كرونوس)، من دون الانتباه لعملية الغش تلك. أُنقِذَ (زيوس) وكان يجب أن يقضي طفولته بعيداً عن (كرونوس)، ولذا تمَّ تسليمه لتربيته، والسهر عليه من قبل خمسة آلهة ثانويين هم الكوريت (Curétes)، إلى أن بلغ زيوس أشده، وثار على والده، وأجبره على استعادة أشقائه وشقيقاته الذين ابتلعهم. وتسلم الحكم بعد ذلك إلى الأبد وتزعم آلهة (الأولمب).

الأشقاء والشقيقات هم:

بوزييدون (Posédon) إله البحر، وَ هاديس (Hades) إله العالم السفلي، وَ هيرا (Hera) شقيقة زيوس وقرينته، وَ ديميتير (Demeter) إله الحبوب والحصاد، وَ هيستيا (Hestia) إلهة حماية الأسرة.

1-7 (ب) *طفولة زيوس*:

أدى (الكوريت) دوراً مهماً في رعاية طفولة زيوس. وحسب الأسطورة، فإن (ريا) والدة زيوس سلمته إلى حورية الماء أماتي (Amathée)، وذلك تحاشياً لخطر اكتشاف وجوده من قبل كرونوس، ولذلك نقلته (أماتي) إلى جبل (إيدا) (Ida) في جزيرة كريت. وكان (الكوريت) كلما أرضعته (أماتي) يثيرون ضجة كبيرة حولها للحيلولة دون اكتشاف (كرونوس) مكانه. كما ترى أسطورة موازية أن (زيوس) ولد في جزيرة (كريت)، وأن (أماتي) هو اسم العنزة التي أرضعته.

أدت جزيرة (كريت) دوراً مهماً في حضارة اليونان. وقد اشتهرت منذ القدم بإنتاج القمح، ولذا يمكن فهم تعبدها (لديميتير) إلهة الحبوب والحصاد، والتي كانت لها أهميتها في معتقدات الجزيرة. كما إنه حسب التقاليد، فإن زيوس ولد في كريت. وفي (كريت) تزوج من (هيرا) قرينته الرسمية، ثمَّ إلى كريت نقل

(أوروبا) من شواطئ (فينيقيا)[1] واقترن بها، فكانت ولادة مينوس (Minos) أشهر ملوك حضارة (كريت) المتقدمة، التي اعتبرت من أساس المعتقدات الدينية اليونانية.

7-1 (ج) *زيوس الطفل مع الكوريت في منطقة أولمبي*:

نقل (الكوريت) الطفل (زيوس) إلى (البيلوبونيز) في بلاد اليونان الجنوبية، وتوقفوا في موقع أولمبي. وتضيف الأسطورة أنهم، أي (الكوريت) الأخوة الخمسة، أرادوا أن يبتهج الطفل (زيوس)، فقاموا فيما بينهم بسباق عدو. وكان ذلك أول سباق عرفته (أولمبي) حسب هذه الأسطورة. والجدير بالذكر أن (هيراكلس) كان أحد الكوريت. ولكي يتم تفريقه عن هيراكلس آخر، وهو البطل الذي أنجز الأعمال الصعبة الاثني عشر، فلُقِّب الأول (بهيراكلس إيدا)، وهو جبل جزيرة كريت، حيث ولد زيوس، وتمَّت رعاية طفولته.

7-2- مؤسسو الألعاب الأولمبية الأسطوريون:

يمكن إعادة تأسيس الألعاب الأولمبية إلى ثلاثة مراجع أسطورية، يعود أحدها إلى هيراكلس (إيدا)، الذي أشرنا إليه في الفقرة السابقة، وهو على علاقة بجزيرة (كريت).

7-2 (أ): أمَّا الأسطورة الثانية المنسوبة لهيراكلس آخر، هو أبلغ شهرة من الأول، فتقول: إنه هو الذي نفذ الأعمال الاثني عشر التي فرضت عليه. ثمَّ يوضح لنا قاموس الحضارة اليونانية أن هيراكلس هذا هو من (طيبا)، وهذه التابعية لطيبا لها أهمية كبرى لا بدَّ من إيضاحها، على اعتبار أن عمريت (الكنعانية/ الفينيقية) كان معبدها مخصصاً للإله (ملكارت) الذي اعتبرته الأسطورة اليونانية مماثلاً (لهيراكلس). و (ملكارت) عمريت اكتشفت له تماثيل عديدة في المعبد، وعلى رأسه وكتفيه جلد الأسد. ولتفريقه عن (هيراكلس) إيدا فإن قاموس الحضارة اليونانية يلقبه (بهيراكلس طيبا)، في منطقة (الإيليد)، التي تابعت الميول

١- تدل علاقة (أوروبا) أخت (قدموس) بجزيرة (كريت) وولادة مينوس ملكها، على صلات وثيقة بين كريت والساحل الكنعاني، وقد عُرض هذا الموضوع بشكل مفصل في الفصل الخامس (الفقرة "5-4").

الرياضية والمباريات. وحين أراد أحد ملوكها (أنديميون) اختيار ولي عهده من بين أبنائه الثلاثة، اختار المنتصر في سباق المركبات بينهم، وهذا ما سنعود إليه في فقرة مستقلة.

2-7 (ب): وعن تأسيس الألعاب الأولمبية، يوضح لنا (دوكاربونييز) في كتابه عن موقع أولمبي، أن الباحثين القدماء في الحقبة الكلاسيكية وما بعدها، لم يكونوا على وفاق. على اعتبار أن الشاعر باندار (Pindare) الذي توفي عام (438)ق.م، والمؤرخ بوزانياس (Pausanias) الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، وهما المخبران الرئيسان عن الألعاب، لم يعيدا التأسيس إلى هيراكلس ذاته. يوافق (دوكاربونييز) على أن أحد المؤسسين هو (هيراكلس إيدا)، أمَّا الثاني فيعتبر من أحفاد الأول، وقدم هو أيضاً من كريت إلى موقع (أولمبي)، وأقام هياكل تكريماً للكوريت الذين رافقوا طفولة زيوس، وهو الذي أعاد النشاط إلى الألعاب.

2-7 (ج): وبالإضافة إلى ذلك، فقد أشار (سترابون) (63-25ق.م) إلى أن (أوكسيلوس) بعد الغزو الدوري (Dorien) أعاد إطلاق الألعاب. وَ أوكسيلوس (Oxylos)، وهو من أحفاد أنديميون (Endymion) ملك (الإيليد)، طُرد من مملكته، وأصبح ملكاً على الإيتولي (Etolie). ويروى أيضاً أنه ارتكب جرماً، وكان عليه أن يقضي سنة نفي في إيليس (Elis) لاستعادة طهارته.

في ذلك الوقت كان أبناء وأحفاد (هيراكلس) ينتظرون شخصاً ذا ثلاثة عيون، كما أشار إلى ذلك الهاتف الإلهي، وهو الوحيد الذي يمكنه قيادتهم نحو المصير المقرر لهم. وهذا هو أوكسيلوس (Oxylos) يصل إليهم ممتطياً حصاناً أعور، وبذلك تكون قد تحققت نبوءة العيون الثلاثة. ثمَّ قادهم (أوكسيلوس) إلى منطقة (الإيليد) التي كان يملكها أجداده، حيث أقام فيها ملكاً حكيماً، ويقال أيضاً إنه أطلق نشاطاً جديداً للألعاب.

7-3- أساطير إضافية:

تتعلق الأساطير السابقة المستعرضة في أهم ما ورد فيها بمنطقة (الإيليد)، حيث (أولمبي) و (إيليس)، وبمنطقة (بيوسي) حيث (طيبا) مدينة قدموس. ولهذه الأساطير قرابة مع (كريت) و (ملكارت/ هيراكلس) الفينيقي الذي يعيدنا إلى عمريت، وكذلك (طيبا) التي تعيدنا إلى قدموس الفينيقي.

7-3 (أ): أمَّا الأسطورة الأخيرة التي نعرضها، فهي التي أعطت دوراً لـ بيلوبس (Pelops)، وهو ابن تانتال (Tantale)، الذي تعتبر التقاليد أنه أتى من آسيا الصغرى. وتجدر الإشارة إلى أن بعض الميتوغرافيين (مؤلفي الأساطير)[1] يعيدون قصته إلى جيل لاحق قد يتوازى مع قدوم الآكيين (Achéens) إلى البلاد قرابة (1600ق.م).

7-3 (ب): يشار في هذه الأسطورة إلى مدينة بيزا (Pisa)، التي كان يحكمها ومنطقتها أوينوماوس (Oinomaos) الذي حمل سراً في قلبه عرفه لدى استشارة الهاتف الإلهي، وهو أنه سيقضي على يد زوج ابنته، لذلك حاول (أوينوماوس) ألا يزوّج ابنته الجميلة (إيبوداميا) (Hyppodamia)، فلجأ إلى الحيلة التالية:

اشترط ملك مدينة (بيزا) على كل شاب يتقدم لطلب يد ابنته أن يدخل معه في سباق مركبات، والمنتصر تكون جائزته (إيبوداميا). وما كان يخفيه أيضاً هو أن مركبته كانت تجرها خيول سحرية، وهو أكيد من ربح السباق، وبهذه الطريقة أعدم عدداً من الشبان الذين لم يكن النصر حليفهم.

وهذا هو بيلوبس (Pelops) يتقدم لطلب يد الفتاة التي أعجبت به بمجرد رؤيته، ولكي لا يخسر المباراة فإنها تطلب من قائد مركبة والدها أن ينشر جزئياً حامل مركبة أوينوماوس، ويتم الأمر. وهكذا تتفكك مركبة (أوينوماوس)، ويلاقي حتفه، ويتزوج بيلوبس (Pelops) من إيبوداميا (Hyppodamia)، ويصبح ملكاً على بيزا (Pisa). وتكريماً لذكرى الملك المتوفى، ولشكر الآلهة على انتصاره، فإنه ينظم ألعاباً جنائزية، أصبحت تقليداً في بلاد اليونان. ونذكر أن (أخيلوس) أقام ألعاباً جنائزية تكريماً لصديقه المتوفى باتروكل (Patrocle)، كما ورد في إلياذة هوميروس، وسنعود لعرض مفهوم هذا التقليد فيما بعد.

١- يمكن التشكيك بكون (Pelops) من آسيا الصغرى، على اعتبار أن الإيليين كانوا يقيمون طقوساً تعبدية في مقامه البيلييون (Pélepion)، وهو مقام بيلويس (Pélops) التعبدي في أولمبي (Olympie)، انظر (Pausanias) الفقرة (7-1).

3-7 (ج): وهكذا فإن الألعاب الأولمبية نظمتها (بيزا) في البداية، ثمَّ بعد دمارها في عام (572)ق.م، تسلَّم (الإيليون) تنظيم الألعاب. ولذلك كان سفيرهم يجوب العالم اليوناني لإعلان الهدنة المقدسة، وذلك إعداداً لبدء الألعاب، ولإعلام جميع المناطق بذلك.

وإذا ما كانت نساء اليونان لا يسمح لهن بحضور المباريات التي أطلقها (بيلوبس) زوج (إيبوداميا)، وتابعتها (بيزا) و (إيليس) بعدها. فإن (إيبوداميا) ابنة الملك المتوفى أسست من جهتها الهيرايا (Heraia): وهي أعياد كانت تقام تكريماً للإلهة (هيرا) قرينة (زيوس)، حيث كانت الفتيات تتبارين في السباق.

3-7 (د): بعد بيلوبس (Pelops) توقفت الألعاب، و (هيراكلس) ابن (زيوس) و ألكمين (Alcmène) وهي إحدى حفيدات بيرسي (Persée)، كانت متزوجة من ابن أوريستي (Eurystée) ملك (أرجوس) (Argos)، وأمه ابنة بيلوبس (Pelops)، ولكن (زيوس) أثناء غياب زوجها، اتخذ شكل الزوج واقترن بها، فكانت ولادة (هيراكلس). لكن (هيرا) (Hera) قرينة (زيوس) الغيورة، عندما قرر (زيوس) أن أول حفيد يولد سوف يكون له مصير ملكي، وسيحكم ميسين (Mycène) في منطقة (الأرجوليد)، جعلت أوريستي (Eurysthée) الأول في الولادة، وحكم فعلاً. وكان على علم بأن (هيراكلس) هو ابن (زيوس) الإلهي، وكان يرتجف أمامه. ولذلك حاول التقليل من شأنه وإهانته، طالباً منه تنفيذ الأعمال الاثني عشر التي اقترن اسمه بها. وبعد وفاة هيراكلس فإنه اضطهد ذريته (الهيراكليد)، وأرغمهم على مغادرة (ميسين)؛ ثمَّ هاجم (أتينا) حليفة (الهيراكليد)، وقُتل أثناء المعركة، وقُدِّم رأسه إلى ألكمين (Alcmène) والدة (هيراكلس)، التي كانت قد لجأت إلى أتينا بعد وفاة (هيراكلس).

3-7 (هـ): عاشت ألكمين (Alcmène) حتى سن متقدمة، بعد أن عادت إلى (طيبا) مدينة قدموس، حيث بقيت حتى وفاتها. عند ذلك نقلها (زيوس) إلى "جزيرة السعداء"[1]، وأصبحت قرينة أحد القضاة الثلاثة في العالم السفلي.

١- جنة المعتقدات اليونانية.

وبتلك الأسطورة تُختتم مجموعة الأساطير التأسيسية للألعاب الأولمبية.

7-4- ما ذكره الباحثون القدماء والمعاصرون عن التأويل التاريخي للأساطير أعلاه، ومحاولة التوفيق فيما بينها:

يعتبر الباحثون القدماء في اليونان أن البطل هيراكلس منفذ الأعمال الاثني عشر يعني ترسيخ ونجاح الهجرة الدورية (Dorienne)، وسيطرتها على الأماكن المقدسة الأولمبية، ويعني ذلك انتصاراً نهائياً لآلهة جبل الأولمب، أي (زيوس) وبقية الآلهة من الجيل الجديد، على الآلهة القدماء (انظر تزعم (زيوس) للأولمب في هذا العرض). وذلك الصراع بين الآلهة في بلاد اليونان يرمز في الواقع إلى مقاومة السكان الأصليين هجرة (الآكيين) إلى منطقة (البيلبونيز)، وهم الذين غزوا المنطقة في القرن الثاني عشر ق.م.

هيراكلس وأيلة سيرينيا

هيراكلس يقضي على أسد نيمي

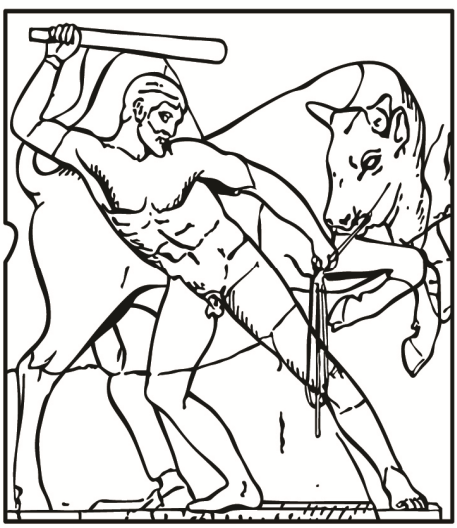

هيراكلس وأسد نيمي

هيراكلس وثور كريت

هيراكلس يقيد ثور كريت

4-7 (أ): أمَّا العمل السادس الذي فُرض على هيراكلس فهو: تنظيف إسطبلات أوجياس (Augias) بأمر من أوريستي (Eurystée) ملك أرجوس (Argos). فقد عمد بغية تنفيذ هذا العمل إلى تحويل نهر ألفي (Alphée). ويعتبر الشاعر باندار (Pindare)[1] أن هيراكلس هو المؤسس الوحيد للمقام المقدس في أولمبي، ومطلق الألعاب تكريماً للإله (زيوس)، على اعتبار أنه عيَّن حدود الموقع الذي كان لا يزال بكراً، كما حدد الحرم المقدس. (باندار) يَنسب إليه بالإضافة إلى ذلك كل المبتكرات التنظيمية المرتبطة بموقع أولمبي (Olympie)، ويتبعه في ذلك بوزانياس (Pausanias) (النصف الثاني للقرن الثاني م وهو مؤرخ وجغرافي)، مع أنه اتبع التقاليد التي تعطي الأفضلية لهيراكلس الكريتي. ويمكن القول إن هيراكلس استمر حتى نهاية العصور القديمة كأحد الآلهة الرئيسين بالنسبة للمنافسات الرياضية.

4-7 (ب): اعتبر الباحثون المعاصرون أن (الكوريت)، وسهرهم على طفولة (زيوس)، والمجيء به إلى (أولمبي)، يمكن أن ترمز إلى الحقبة الميسينية. كما إن أسطورة (بيلوبس) التي توحي بانتمائها إلى المجال المسيني، تشير كذلك إلى الانفتاح نحو آسيا الصغرى، التي هي مكان أصل البطل.

أمَّا هيراكلس فإنه يرمز إلى الاحتلال الدوري (Dorienne)، مشيراً في الوقت نفسه إلى العلاقات المستقبلية مع مستعمرات بلاد اليونان الكبرى، والسيطرة التدريجية على (البيلبونيز)، حيث المنطقة الإسبارطية التي كان قسم من حكامها منحدرين من سلالة قدموس الفينيقي.

وهكذا بعد استعراض الأساطير التأسيسية للألعاب الأولمبية في موقع (أولمبي)، منذ العصر البطولي، يوم كان الآلهة أنفسهم يشاركون البشر حياتهم، ويتسابقون فيما بينهم، مع جميع احتمالات التأويلات التاريخية والإثنية التي ترمز إلى هجرات كل من (الآكيين) و (الدوريين)، وصراعهم مع السكان الأصليين. وقد رمز إلى ذلك أيضاً حلول آلهة الجيل الجديد محل الآلهة القدماء.

١- (باندار) (518-438ق.م).

7-5- موت الأبطال وتأليه بيلوبس والألعاب الجنائزية:

أقامت الشعوب كافة طقوساً مرتبطة بالموت، منذ العصور البالغة القدم. وكانت في بلاد اليونان عبارة عن مباريات تكريماً للمتوفى، أي آغون إيبيتافوس (Agon Epitafos)، بمعنى (مباريات شاهدة). وقد أشرنا آنفاً إلى موت أوينوماوس (Oïnomaos) ملك بيزا (Pisa)، وقيام (بيلوبس) بتنظيم ألعاب جنائزية تكريماً له.

كما ذكرنا عن هوميروس موت البطل باتروكل (Patrocle) في الإلياذة، وتنظيم ألعاب تكريماً له. ولا بدَّ من الإشارة أيضاً إلى أن القرابين والأضاحي والمباريات الرياضية كانت تتم في البداية تكريماً للبطل المتوفى. وأقيمت فيما بعد تكريماً للآلهة التي كانت تقدم لها الألعاب، والتي كانت غايتها استدراج إيجابية الأموات.

وهذا ما شهدناه مع بيلوبس (Pelops)، والذي كان أول من أقام الطقوس الجنائزية، وهو أول من حقق صلة المباريات بالموت. وتكريماً له بعد موته، فإن قبره جعل في آلتيس (Altis) بين معبدي (زيوس) و (هيرا) قرينته، ومقامه هذا في (أولمبي) أطلقت عليه تسمية بيلوبيون (Pelopion). أمَّا ما بقي منه اليوم هو بعض جدار حجري يوحي بمقام تعبدي، وليس بقبر. ولا يمكن تحديد تاريخه. وفيما يلي ما كتبه بوزانياس (Pausanias) أثناء القرن الثاني الميلادي عن ذلك المقام:

> "يوجد في (آلتيس) مقام يسمى (بيلوبيون) كان منذ زمن بعيد موضع احترام تعبدي من قبل (الإيليين)، الذين اعتبروا بيلوبس (Pelops) أعلى رتبة من بقية الأبطال الذين كانوا يُكرَّمون في (أولمبي)، كما كان (زيوس) فوق جميع الآلهة".
>
> يقع (البيلوبيون) إلى يمين المدخل الشمالي لمعبد (زيوس) [.....]، ويمتد طولاً. وهو محاط بجدار حجري، تتزين داخله أشجار وتماثيل، ومدخل تحويطته يقع باتجاه شمس الغروب".

تمَّ تجديد المقام في القرن السادس ق.م، وأصبحت التحويطة المُجدَّدة لحرم المقام مضلعة الشكل، بعد أن كانت دائرية. وتمَّ تزويدها ببوابة فخمة في القرن الخامس ق.م، ويضيف بوزانياس (Pausanias): إن (هيراكلس) هو الذي دشَّن هذا المقام الجنائزي مخصصاً له أضحية سنوية وهي كبش أسود.

7-6- التقاليد تناقلت الأساطير وتعددت التأويلات عنها:

7-6 (أ) *الميتوغرافيين والرواة والأسطورة:*

عبر ثقافة لم تعرف الكتابة ولم تستعملها، كان الرواة هم الذين يروون قصص الأساطير، التي كان يبتدعها (الميتوغرافيون) على مسامع الشعب، شأن "الحكواتي" في بلادنا. وبالطبع فإن الأساطير لم تكن تخلو من خلفية

تاريخية، حوّرتها ومارست ما أوحاه خيالها المُجنح عنها، محمِّلةً إياها، ويمكن القول موجهة إياها نحو ما أراده المؤلف والراوي، الذي يمكنه التدخل أيضاً.

كانت الأسطورة عرضة لتأويلات متعددة أثناء عرضها، وقد يكون ذلك لأسباب مختلفة. أمَّا حين يحاول المؤرخ المعاصر استلهام الحقيقة التاريخية التي تختفي وراء الأسطورة، فإنه يجد حتماً صعوبة في تحديد ذلك، ولا سيما تحديد الحقبة التاريخية التي دبجت عنها الأسطورة، وحين يعجز عن ذلك يلجأ إلى صيغة:

"تعتبر التقاليد" كذا وكذا، من دون تحديد تاريخ للحدث الذي يشير إليه.

وهذا ما شكَّل صعوبة كبيرة أمام الشاعر والمؤرخ الكلاسيكي، وكذلك أمام المؤرخ المعاصر.

وبالإضافة إلى ذلك فهناك تأويلات عديدة عن التفسيرات التي كانت تقدمها التقاليد عن أسطورة واحدة، والتي كان يُغنِّيها إمَّا راويها أو ميول المنطقة التي تبنت قصتها، ورأت أن تتدخل في تفسيرها، أو في تفاصيل حصولها، لأسباب عائدة لها. حتى إن بعض الأساطير كانت تُروى بأشكال مختلفة، ولا سيما فيما يتعلق بخاتمتها، وسنقدم أمثلة عن ذلك.

أمَّا متابعة تأليف الأساطير حتى زمن متأخر نعتبره زمناً تاريخياً معروفاً، ونعرف جميع تفاصيله، فإن الميتوغرافيين لم يتأخروا عن تخيل أسطورة لا تصدق، عن ملكة عاشت في بلاد ما بين النهرين، وقد فاق نجاح الأسطورة المبتدعة الحقيقة التاريخية وتجاوزها، فوصلت إلينا وهذا ما سنقدمه في قصة الملكة (سميراميس) أسطورة وتاريخاً.

6-7 (ب) *تعدد التأويلات التقليدية بالنسبة لحدث واحد في قصة تانتال وعقابه*:

تانتال (Tantale) ملك (ليديا)، في آسيا الصغرى على الشاطئ الشرقي، حيث طروادة وَ إفسوس، وقد يكون ملكاً على فريجي (Phrigie)، وهو أحد أبناء (زيوس) والحورية نيمفا (Nymphe)، جنية إله الماء بلوتو (Plouto). وهذا الملك حسب التقليد الأكثر رواجاً يُعتبر أنه خالف تعليمات الآلهة، ونقل أسرار طقوس الآلهة إلى البشر.

وهنـاك تقليـد آخـر يَتّهمـه بسـرقة شـراب الآلهـة النيكتـار وَ الأمبـرواز (Nectar & Ambroise)، الذي يضمن الحياة الأبدية ليقدمه للبشر.

ويقول تقليد ثالث إنـه أراد اختبـار قدرات الآلهـة علـى اكتشـاف الحقـائق، فدعاهم إلى وليمة لديه، وذبح ابنـه بيلوبس (Pelops)، وقدمـه لهم مطبوخـاً، ولكن الجريمـة كشفها (زيـوس)، وأعـاد هيرميس (Hermes) الابـن بلوتـو (Pelops) إلـى الحياة بعد أن كانت هيرا (Hera) قرينـة (زيـوس)، قد أكلت كتف الابـن المطبـوخ الذي استبدلها الإله بكتف عاجية.

وكما يقول تقليد رابع: إن (تانتال) عُوقب من قِبَل الإلـه لأنـه لـم يعتن بكلـب ذهبي كان مخصصاً لحراسة معبد (زيوس).

أمَّا عقابه فكان:

- إمَّا أن تبقى دوماً كتلة صخرية مهدِّدَة بأن تقع عليه وتسحقه.
- وإمَّا أن يكون فريسة الجوع والعطش، من دون التمكن من تناول مـا يسد رمقه، أو ألا يتمكن من قطـف ثمـار شـجرة تنسـحب أمـام يده كلمـا مـدها لقطفها.

وهكذا عرف (تانتال) تعذيباً أبدياً، بحيث لا يستطيع التوصل إلى ما رغبته.

التقاليد المفسرة للأساطير، تنطبق على عدد كبير من القصص الأسطورية اليونانية.

6-7 (ج) *سميراميس بين الأسطورة اليونانية والتاريخ*:

تعـرَّف اليونـانيون علـى سـميراميس (الملكـة - الأم) فـي نينـوى، التـي حكمت البلاد بعد وفاة زوجها، عندما كان ولي العهد ابنها قاصراً. وكعادتهم نسج اليونانيون عنها أسطورة انتشرت في أنحاء بلاد اليونـان جميعهـا، وفـي إيطاليا.

تروي تلك الأسطورة أن ديركيتو (Derketo) آلهة عسقلان في سورية، ذات الوجه المتناسق الجمال والجسم المماثل لجسم سمكة، عشقت بلا حدود شاباً سورياً وولدت منه ابنة هي (سميراميس).

وحين هجرت الرضيعة وتركتها في الغابة، كان الموت ينتظرها حتمـاً، إلا أن مجموعة من الحمائم تبنتها، وقامت بتغذيتها، وذلك بأخذ ما يلزمها من الحليب والأجبان من مقر الرعاة المجاور.

وحين اكتشفها سيميوس (Simios) رئيس الرعاة، وهو الحارس الرئيس لقطيع الملك نينوس (Ninos)، تمَّ تبني الطفلة من قبل الرعاة. وحين أصبحت صبية فإن (سميراميس) كانت تلفت النظر بالنسبة لجمالها ولطفها وذكائها، مما أدى إلى وقوع أومنيس (Omnés)، وهو أحد جنرالات الملك (نينوس) في غرامها وتزوَّجها. وبعد مدّة قصيرة فإن أومنيس (Omnés) رافق ملكه الذي حكم قرابة (2500)ق.م، حيث كان يقوم بحملة ضد باكتيريان (Bacteriane)[1]، ويحاصر عاصمتها التي كانت منيعة وصعبة المنال كما أسلفنا. وقد طلب (أومنيس) إلى زوجته الانضمام إليه، وهذه هي (سميراميس). ومن دون تردد تتصور استراتيجية لمحاصرة المدينة، وهاجمت المدينة المحصنة على رأس فرقة سورية، وجعلت النصر من نصيب فرقتها المحاربة.

ومثل تلك الشجاعة والذكاء حازا إعجاب الملك (نينوس)، ما أدى إلى رغبة الملك أن يطلب من قائده (أومنيس) التخلي عنها ليتزوجها الملك. وهددّه بالموت في حال عدم القبول. وهذا هو (أومنيس) في حالة يأس، كانت نتيجتها أن يفضل الموت على التنازل عن زوجته الحبيبة، فشنق نفسه. وهكذا أمكن زواج (سميراميس) من الملك (نينوس)، وأنجبت له ابناً هو نينياس (Ninyas). ولدى وفاة الملك كان ابنه قاصراً لكي يتولى الحكم، فخلفت سميراميس الملك على عرش (نينوى). وبدأت الأسطورة تنسج الأحداث، التي تخللتها البطولات والشجاعة والذكاء، وهي التي بنَّت بابل كما تقول الأسطورة، وجعلت منها المدينة المثلى.

جعلت من بابل المدينة النموذجية في الشرق، بأسوارها المنيعة وشوارعها العديدة وحدائقها المعلقة، وهي التي نالت إعجاب العالم القديم بأكمله.

وفي كل مرة، وأمام كل مدينة لا يعرف مؤسسها، أو كل منشأة مجهولة التأسيس، كانت تُنسب لـ (سميراميس)، وذلك نظراً لاتساع شهرتها.

بعد ذلك، أرادت سميراميس توسيع إمبراطوريتها، لذا شنَّت حروباً في أماكن بعيدة، فأخضعت أمم آسيا، كما نالت إعجاب مصر، وهذا هو كاهن (آمون) يتنبأ لها بأنها سوف تقضي عندما يتآمر عليها ابنها.

١- باكتيريان (Bacteriane): هي المنطقة الواقعة إلى الشمال من أفغانستان، والتي كانت عائدة للإمبراطورية الفارسية بين القرنين السادس والرابع. والتي احتلها الإسكندر بين عامي (329-327ق.م)، وعاصمتها باكترس (Bactres).

استقرت بعد ذلك في (أثيوبيا)، كما حملت السلاح ضد سكان الهند، ولكنها جرحت وهزمت في تلك المعركة، وعلمت في الوقت نفسه بعد هزيمتها بأن ابنها يحاول اغتصاب السلطة.

ومن دون انتظار، تنازلت له عن إمبراطوريتها، واختفت بعد ذلك.

ويعتقد البعض أنها تحولت إلى حمامة (وألهت)، وتضيف الأسطورة اليونانية: إن سميراميس ليست سوى إلهة تُماثل من دون شك (عشتار) السورية، والتي قورنت فيما بعد مع (أفروديت) اليونانية.

تلك الأسطورة اليونانية التي نسجها خيال الميتوغرافيين اليونان، والتي إن دلت على شيء، فإنها تدل على مدى إعجاب اليونان بقائدة مثل سميراميس، نسبت إليها أعمال فذة، وبنت إمبراطورية شاسعة أورثتها لابنها على الرغم من خيانته لها، لأن الأمومة هي التي انتصرت فيها.

تلك هي الأسطورة التي نشرها اليونانيون عن سميراميس، والتي أرادوا لها أن تحكم في الألف الثالث قبل الميلاد. يدل ذلك على إيمانهم بقِدم حضارة كل من عسقلان حيث ولدت، وكذلك قِدم حضارة ما بين النهرين حيث حكمت. ولا يمكن إغفال ما ذكرته الأسطورة عن بابل، عاصمة العالم القديم، المدينة الأعجوبة التي جعل منها الإسكندر الكبير عاصمة إمبراطوريته. ومن الممكن أن تكون الأسطورة قد نُسجت بعد فتح الإسكندر، وبعد تعرف المكدونيون واليونانيون على عاصمة مثل بابل، لم يكن بإمكانهم تصور مدينة تماثلها. ولا بدَّ من تقدير خيال مبتدع الأسطورة، الذي جعل مجموعة حمائم في الغابة تقوم بتغذية الرضيعة، ثمَّ جعل منها قائدة حربية وبانية إمبراطورية. وقد أشرنا إلى أن الأسطورة أمكن تأليفها ونشرها في الحقبة الهلنستية، أي بعد فتح الإسكندر بدءاً من عام (334)ق.م، مع العلم أن هيرودوت (480-420ق.م) زار بابل، وكتب عنها، ونستبعد أن يكون هو الذي ألهب خيال المؤلف.

6-7 (د) *حقيقة سميراميس التاريخية*:

لم تكن سميراميس تلك الشخصية التي عرفتها الأسطورة اليونانية؛ أمَّا اسمها الحقيقي فهو (سامورامات)، وهي شخصية تاريخية ورد اسمها على نصب تذكاري آشوري، يشير إلى أن سيدة القصر هي الملكة "سامورامات" (Sammuramat). كما إن نقشاً آخر على تمثال الإله (نابو) كان يحمل هذا الاسم.

و (سامورامات) كانت زوجة (شمسي - أدد) الخامس (823-811ق.م)، ووالدة (أدد - ناراري) الثالث (810-783ق.م). ولما كان هذا الأخير قاصراً عند

وفاة والده، فإن أمه مارست الملكية على بابل، و (سميراميس) الاسم الذي أطلقته عليها الأسطورة اليونانية، هو الذي حافظت عليه ذاكرة الأجيال.

ويمكن القول: إن الأسطورة نُسجت بعد قرابة خمسة قرون، بعد التاريخ الحقيقي لحكم (شمسي - أدد) الخامس أو ابنه، حين كان من السهل بالنسبة للميتوغرافي اليوناني أن يطلق لخياله العنان. وجميلة هي الأسطورة التي رواها عن "سميراميس"، محافظاً بواسطتها على التقاليد الشفهية التي عرفتها بلاد اليونان، وكانت غنية بهذا الصدد. ففي تلك الأساطير التي وصلتنا عن آلهة اليونان وأبطال اليونان، جمال وشاعرية تستحقان التقدير، وتجعلان من الخلفية التاريخية التي أدت إلى ابتداع الأسطورة صعوبة بالنسبة لباحث جدي.

6-7 (هـ) *الإمبراطورية الفارسية ومنطقة آسيا الصغرى*:

عُرفت المنطقة الواقعة على الشاطئ الشرقي لبحر إيجة تحت تسمية (أيونيا). وكانت أثناء الحروب الميدية تحت الحكم الفارسي.

يعتبر اليونانيون في أسطورة إشغال المنطقة أن جد (الأيونيين) كان شقيق جد (الآكيين)، وهما ابنا (كزوتوس) الذي حكم في المنطقة الشمالية من (البيليبونيز)، وساعد (الأتينيين) في حربهم ضد تراس (Thrace). وبناء على رغبة (الأتينيين) أصبح ملكاً عليهم، وعند ذلك سميت (أيونيا). ولدى هجرة السكان اليونانيون إلى آسيا الصغرى عبر التاريخ، انتشر هؤلاء المهاجرين في آسيا الصغرى في كل من إفسوس (Ephése) بشكل خاص، وَ بيرين (Priène) وَ ميليت (Milet) وَ ساموس (Samos)، وكانوا يعتبرون جزءاً من الكونفيدرالية المؤلفة من 12 مدينة، وعرفوا تحت تسمية أيونيين من قبل جيرانهم الشرقيين، ومنهم الآشوريين، الذين كانت تلك المنقطة تابعة لإمبراطوريتهم قبل بناء الإمبراطورية الفارسية. ويمكن القول: إن تلك الحقبة التي مارس الآشوريون حكمهم فيها نقلوا إليها أخبار ملاحمهم. ولا يستبعد أن يكون بعض السكان الأيونيين، والتجار اليونانيين، قد تعرفوا آنذاك على (جلجامش)، وأعماله البطولية المجيدة، مما أوحى لهم بشخصية (هيراكلس) اليوناني؛ وهذا ما أشرنا إليه في عرض ممارسة المصارعة، وأعمال البطولة في ما بين النهرين من قبل الأموريين أجداد منطقة (أمورو) على الساحل الكنعاني، حيث (عمريت)

وبطلها ملكارت، الذي قارنه اليونان كذلك (بهيراكلس)، واقتران اسم ملكارت بهيراكلس الذي حسب الأسطورة التأسيسية للألعاب الأولمبية، كان أحد مُرافقي طفولة (زيوس) في كريت، الذين انتقلوا معه إلى موقع (أولمبي) كما روينا في الفقرة "7-1(ج)".

7-6 (و) *أدونيس والأسطورة اليونانية*:

(أدونيس) هي التسمية اليونانية (الأدون تعني السيد)، وهو بعل الكنعاني. واعتباراً من الصيغة (أدوني، وتعني سيدي) أصبحت يونانياً (أدونيس)، حيث دخل (أدونيس) بلاد اليونان عن طريق قبرص. ومن الطبيعي أن تؤلف عنه أسطورة يونانية تروي قصته، وتُدخل عليها بالطبع بعض التعديلات.

تقول الأسطورة اليونانية: إن (أدونيس) هو ابن ملك قبرص، وأمه ميرا (Myrrha) التي أحبت والدها الذي كان يدعي أن ابنته هي أجمل من (أفروديت)، مما أغضب الآلهة. وفي ليلة ما تسللت (ميرا) إلى فراش والدها وكانت المضاجعة. ولما عرف ملك قبرص ما حدث طرد ابنته، وهامت في الغابة، فأشفقت عليها (أفروديت) وحوّلتها إلى شجرة. ثمَّ بعد ولادتها التقطت أفروديت المولود، وسلمته للإلهة بيرسيفون (Perséphone) لتربيته، وقد أُعجبت ملكة العالم السفلي بجماله، ورفضت إعادته إلى (أفروديت) التي هي أيضاً وقعت في حبه، فشكت أمرها للإله (زيوس)، الذي قرر أن يبقى أدونيس مع (بيرسيفون) ثلث السنة، والثلث الثاني مع (أفروديت)، أمَّا الثلث الثالث فله الحق أن يختار بين الاثنتين.

أثار حب الإلهة (أفروديت) لأدونيس غيرة آريس (Arés) إله الحرب عشيقها، أو غيرة أبولون (Apollon)، وفقاً لرواية ثانية، ولذا فإن أدونيس هوجم من قبل خنزير بري أرسله أحد الإلهين، وقضى (أدونيس) بسبب جرح أصابه، فبكت (أفروديت)، ثمَّ ألهبت قصته خيال الشعراء، فتصور بعضهم أن دمه تحوّل

إلى شقائق النعمان حين تشربته الأرض[1]، بينما تحوّل دمه إلى الحُمرة في الورود البيضاء، وهكذا قضت شاعرية الميتوغرافيين والشعراء وخيالهم على عمق قصة (أدونيس)، وهو (بعل) الكنعاني و (دوموزي) السومري و (تموز) الأكادي، الذي يمثل دورة الطبيعة وموت الزرع مع موته، وليبعث من جديد في خضرة الربيع، وعودة الحياة إلى خصوبة الأرض بزرعها وأشجارها.

7-7- تأصل المباريات الرياضية في عقلية فينيقيي اليونان وملوك الإيليد:

إذا ما كانت الأساطير اليونانية تتجاوز مفهوم التاريخ، أو تحوره لأسباب عديدة، إلا أنها في بعض الأحيان تروي قصة تدل بالنسبة إلينا على حقائق، نحاول اقتناصها لدى قراءة بعض الأساطير. وما يعنينا هنا هو أننا نكتشف لجوء فينيقيين من (طيبا) مدينة (قدموس) من منطقة (الإيليد)، حيث (بيزا) و (إيليس) هما منظمتا الألعاب الأولمبية على التوالي، في (أولمبي) من المنطقة نفسها، وفيها نكتشف أنهم درجوا على اللجوء إلى المباريات الرياضية، بقصد تسهيل اتخاذ القرار من أجل تولية الحكم، واختيار الصهر المفضل. وعن هذا الميل الذي يمكن اعتباره متأصلاً في عقليتهم، نقدِّم فيما يلي ما يدعم هذا الاتجاه.

7-7 (أ) ***أندِميون*** (Endymion) ***واختيار ولي عهده عن طريق المباريات بين أبنائه:***

(أنديميون) هو ملك منطقة الإيليد (Elide) حيث تقع (أولمبي). وحين كان عليه اختيار خلف له من بين أبنائه، فإنه قرر أن يكون ولي العهد هو الذي ينتصر في سباق المركبات الذي ينظمه. ربح السباق ابنه إيبيوس (Epeios)، وهو الذي تولى الحكم. ونحن نعلم أنه منذ ملكية (أنديميون) كانت الألعاب الأولمبية تقام على شرف (زيوس) الأولمبي، وكان يُحرم دخول الحرم المقدس لمن يحمل سلاحه، كما كانت تُحرم الحروب أثناء الألعاب.

7-7 (ب) ***أومفيون*** (Amphion) ***والمصارعة:***

عندما أحب زيوس الفينيقية آنتيوب (Antiope) ابنة ملك (طيبا) الجميلة، كما أوردنا ذلك ضمن الفقرة "6-1(ط)"، لدى عرض مصير سلالة قدموس، أنجبت

١- شقائق النعمان: وهي الزهرة الأولى التي تتفتح في الربيع، وتموت بسرعة.

(آنتيوب) توأمين، هما: زيتوس (Zethos) و (أومفيون). وحكم التوأمان في (طيبا) بحكمة، وأقاما سور المدينة. وتروي الأسطورة أن (أومفيون) كان يحب الموسيقى، حيث كانت أحجار السور تتخذ أماكنها المحددة على جدار السور بمجرد أن يعزف على قيثارته.

أمَّا زيتوس (Zethos) فكان يفضل التمارين الرياضية العنيفة والمصارعة. وتجدر هنا ملاحظة أن فينيقيي الأسطورة اليونانية لم ينسوا شغفهم بالرياضة والمصارعة، أسوة بما عرفه جدهم الأموري (مارتو)، الذي روت قصته أسطورة سومرية، وكانت هدية انتصاره في المصارعة الجماعية في عيد المدينة زواجه من ابنة إله المدينة (انظر الفقرة "1-3(ب)").

7-7 (ج) *ملك بيزا والسبان*:

أشرنا أعلاه إلى أن مدينة بيزا (Pisa) كانت مسؤولة عن تنظيم الألعاب الأولمبية، يوم كان أوينوماوس (Oïnomaos) ملكاً عليها، وكانت ابنته الجميلة إيبوداميا (Hyppodamia) بلغت سن الزواج، وتدافع الشبان لطلب يدها.

أمَّا ملك (بيزا) والدها، فقد كان يكتم سراً تلقّاه في معبد ديلف، مفاده أنه سيقضي على يد صهره زوج ابنته. ولكي لا يظهر بمظهر الرافض لزواج ابنته، كان يشترط على طالبيها الدخول معه في سباق مركبات، وتكون ابنته من نصيب المنتصر، وإلا فالموت ينتظره. تلك هي الحيلة التي ابتدعها معتمداً على امتلاك أحصنة سحرية سريعة تجر مركبته. وقضى بسبب ذلك عدد من الشبان، ثمَّ حين أتي بيلوبس (Pelops) أعجبت به (إيبوداميا)، وطلبت سراً من قائد مركبة والدها أن ينشر جزئياً حامل المركبة. وهكذا تفككت مركبة الملك أثناء السباق، وقضى بسبب ذلك. وتزوج (بيلوبس) من (إيبوداميا)، وهو الذي أطلق ألعاباً جنائزية تكريماً للملك المتوفى.

7-7 (د) *مباريات وألعاب في أرجوس* (Argos):

داناوس (Danaos) ابن بيلوس (Belos) الذي اعتبرته الأسطورة اليونانية توأماً لـ آيجيبتوس (Aegyptos)، ير[مز بالنسبة لليونان لوجود قرابة بين (بيلوس) ملك صور، وبين مصر. وإذا ما تزامن وجودهما في مصر الفرعونية، فإن ذلك يعيدنا إلى حقبة وجود الهكسوس في مصر. وسوف يتضح ذلك أيضاً في قصة

بنـــات (دانـــاوس)، وهـــن الداناييـــد (Danaïdes)، وعـــددهن خمســـون. تضـــيف أسطورتهن أنهن كن يُتقنَّ حفر الآبار وأعمال الري. وتبعن والدهنَّ حين غادر مصر، وجئن إلى (أرجوس)، لكن شباناً من مصر، وعددهم خمسون، قدموا من مصر للانتقام بحجة الزواج، وعليهنَّ التخلص منهم. لذلك أخفت كل ابنة منهنَّ سيفاً قصيراً. نفذت البنات مؤامرتهنَّ ليلة العرس، ما عدا إحداهنَّ، لم تقتل عريسها المدعو لينسي (Lyncée).

تمَّ زواج (الداناييد) بعد ذلك من شبان من أرجوس (Argos)، الذين نفذوا ألعاباً ومباريات لكسب ودهنَّ، ولتسهيل اختيارهنَّ. وهنا أيضاً يتم اللجوء إلى المباريات.

إلا أن سعادتهنَّ لم تدم طويلاً، فإن (لينسي) الذي لم يُغتال، انتقم منهنَّ وقتلهنَّ جميعاً. وتقول الأسطورة: إنهنَّ نزلن إلى العالم السفلي. وكان عقابهنَّ ملء الماء في براميل ليس لها قعر، وفي ذلك عقاب دائم لهن.

وهنا أيضاً تخلصت الأسطورة اليونانية من هجرة فينيقية حملت إليها فن حفر الآبار وري الأراضي، وهذا ما تعترف به الأسطورة، حيث تشير إلى الماء في عقابهن.

7-7 (هـ) *نينوى وسباق المركبات*:

عرضت الفقرة "1-3(ج)" من الفصل الأول ما ورد في ملحمة جلجامش عن سباق المركبات في بلاد الرافدين، ونستكمل هنا موضوع تلك المسابقات في محاولة مناقشة تاريخه.

نحن نعلم أن الملك الآشوري (آشوربانيبال) (668-627ق.م) أسس في عاصمته (نينوى) مكتبته الشهيرة، وجمع فيها عدداً كبيراً من النصوص القديمة السومرية والبابلية والآشورية، وكان يطلب من جميع تابعيه في الإمبراطورية الآشورية تزويده بنسخ عن اللوحات القديمة التي كانت تحتويها معابد ومكتبات الإمبراطورية، ومن تلك النصوص كانت ملحمة (جلجامش)، التي عُرفت بنسخة (نينوى)، وذلك النص يعود حتماً إلى تاريخ هو أقدم من حكم (آشوربانيبال)، وإن كانت الملحمة الشهيرة عَرفت أصولاً سومرية وبابلية قديمة، وانتشرت في معظم أنحاء العالم القديم، فقد كان لـ (آشوربانيبال) الفضل بالاحتفاظ بأكمل نص عن الملحمة.

كما إنه لا بدَّ من الإشارة إلى أن (عشتار) الأكادية حلَّت محل (إنانا) السومرية منذ العصر الذي حكم فيه (سرجون الكبير) الأكادي، وأن عدداً كبيراً من النصوص البابلية القديمة يعود إلى القرن السابع عشر ق.م.

وهكذا يمكننا القول: إن سباق المركبات عرفته بلاد ما بين النهرين، ووعدت الإلهة (عشتار) (جلجامش)، بقصد إغرائه، بمركبة فخمة، وخيول سريعة تتفوق في سباق المركبات. وقد أوردنا في الفقرة "1-3(ج)" المشار إليها أعلاه أقوال الإلهة (عشتار) المغرية في توجهها إلى (جلجامش)، والتي تغالي في وصف المركبة التي تقدمها له، وخيولها الأخدرية السريعة. وعن المركبات الحقيقية الاحتفالية أو الحربية، فإن النقوش البارزة الآشورية مثلت لنا (آشوربانيبال) على عربة الاحتفالات، كما نثبت رسم المركبة الحربية الآشورية التي لا ينقصها التناسق والمتانة والخفة.

7-8- موقع أولمبي والتاريخ:

8-7 (أ) *التعريف بموقع أولمبي* (Olympie):

من يلقي نظرة على موقع (أولمبي)، كما مثلته أمامنا الكتب الأنيقة المختصة، يجد أمامه مجموعة متناسقة من الأبنية الجميلة ذات الطراز اليوناني القديم، تزينها الأعمدة التقليدية، وتتخللها أشجار مظللة، يرويها نهران هما (ألفي) و (كلاديوس)، ويشرف عليها جبل كرونيون (Kronion).

ومن أهم الأبنية، بالإضافة إلى أبنية ممارسة الرياضة والتمارين المعدة لخوض المباريات، وعلى اعتبار أن الموقع بكامله يعتبر مكاناً مقدساً لإقامة الطقوس المرافقة للألعاب[1] الأولمبية، نعدد الأبنية مع بيان أرقام الدلالة عليها: (راجع الصفحة "2-3" من الملحق الملون).

5- مشغل المثّال الشهير فيدياس (Phidias)، المكلَّف بإعداد التمثال العملاق (لزيوس)، الذي يتصدر معبده وارتفاعه 13 متراً.

6- حمامات يونانية وحوض ماء وفندق روماني.

10- البوابة الرومانية.

12- معبد الإله زيوس.

13- هيكل (بيلوبس)، أحد مطلقي الألعاب الأولمبية، ويسمى (البيلوبيون).

16- معبد الإلهة (هيرا)، قرينة (زيوس).

١- يرفض المؤرخون الجديون تسمية ألعاب، ويعتبرون أننا أمام طقوس دينية، تليها مباريات تكريماً للآلهة، وليست ألعاباً كما درجنا على استعمال التعبير المعاصر.

17- بناء طقوس تكريم حوريات الماء، المرتبط باسم هيرود الروماني.
21- بيت كنز حفظ التقدمات.
22- الستاديوم.
25- ميدان سباق الخيل والمركبات.

الملاحظة الأولى التي تستوجب الإشارة إليها هي أن المجموعة التي يشتمل عليها موقع أولمبي هي خليط من الأبنية تعود إلى الحقبتين اليونانية والهلنستية الرومانية، بدلالة الأرقام (2.6، 10، 17).

8-7 (ب) *مراحل إشغال الموقع*:

بغية الحكم على مراحل إشغال موقع (أولمبي)، وتكوين فكرة عن قِدم بدء الألعاب لأولمبية في ذلك الموقع، لا بدَّ من الاعتماد على الحفريات الأثرية التي جرت في الموقع، مع الإشارة إلى أن أنقاض أولمبي تمَّ تفحصها سطحياً، ولأول مرة عام (1829م) من قبل بعثة فرنسية برئاسة موري (Morée). ونَقلت البعثة من الموقع بعد موافقة الحكومة اليونانية، عدة مستطيلات تزيينية من تتويج معبد (زيوس) إلى متحف اللوفر.

تلا ذلك فيما بعد، ما بين الأعوام (1875-1881م) وبين (1906-1909م)، وكذلك (1936-1941م)، حفريات كاملة من قبل بعثة ألمانية. ثمَّ اعتباراً من عام (1925م) بعد تعزيل سطح الموقع، عَثرت الحفريات على آثار إشغال تعود إلى الألف الثاني قبل الميلاد، ولكنها معزولة عن الطبقات العليا بطبقة ترسبية، تشير إلى فيضان يعود إلى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد.

لا بدَّ من الإشارة إلى أن وجود المقام التعبدي يعود إلى عصور لاحقة، بدلالة تقدمات أعيدت إلى الألف الأول ق.م (برونز وآنية فخارية).

إن أول منشأة معروفة في الموقع هو هيكل يعود إلى القرن الثامن ق.م، تمَّ اكتشافه تحت الطبقة التي كانت تشكل مطعماً قديماً. واعتبرت التقاليد (دون أي دليل) أن الألعاب الأولى جرت في عام (776ق.م)، وهذا ما سوف نناقشه ونشكك في صحته، لأنه لا يعتمد إلا على "التقاليد". ويمكن القول إنه اعتباراً من منتصف القرن السابع (650ق.م) وما بعد، تمَّ بناء معبد (هيرا)[1]، وإعداد الستاديوم الأول.

١- مما يدل على أن ما يشير إلى بناء معبد (هيرا) في منتصف القرن السابع لم يكن بناء نهائياً، وقد يكون منشأة صغيرة تشتمل على هيكل للتقدمات، مما يستوجب إعادة بنائه في القرن السادس ق.م.

وسوف نعود فيما بعد لتوضيح أدق عن تطور البناء ضمن حرم (أولمبي) المقدس في الفقرة (7-11) ومتفرعاتها.

7-8 (ج) *ما تَمَّ إنجازه في القرن الخامس*:

تمَّ في القرن الخامس قبل الميلاد بناء معبد الإله (زيوس)، وهو أكبر معبد في الموقع، أبعاده (64.12×27.68 متر) وارتفاعه عشرون متراً، وأُعد لاستقبال التمثال الضخم الذي أعده المثَّال الشهير فيدياس (Phidias)[1]. ويمثل الإله جالساً يمسك رمزاً للنصر بيده اليمنى، وصولجاناً بيده اليسرى. ويبلغ ارتفاع التمثال (13) متراً، وفي القرن الخامس أيضاً، تمَّ إعداد (ستاديوم) جديد في موقع (أولمبي) يحل محل الستاديوم القديم.

عاش (فيدياس) أثناء حكم (بيريكليس) وحزبه الديمقراطي. وقد تسلَّم بيريكليس (Perikles) رئاسة الحزب عام (460ق.م)، وكان عمره آنذاك 30 سنة.

وبما أن المثَّال الشهير هو الذي كُلِّف من قبل (بيريكليس) بالإشراف على بناء (البارتينون) في (أتينا)، وإعداد تمثال الإلهة أتينا (Athena)، وبما أن (فيدياس) هو الذي كُلِّف كذلك بالإشراف على بناء معبد (زيوس) الذي سبق أن وصفناه أعلاه، ولا سيما إعداد تمثال الإله (زيوس) المخصص لمعبده، فنحن أمام احتمالين:

الاحتمال الأول: البارتينون في (أتينا)، بُني قبل معبد (زيوس) في (أولمبيا).

والاحتمال الثاني: معبد (زيوس) وتمثاله، أقيما قبل (بارتينون) (أتينا).

نتبنى الاحتمال الثاني، معتبرين أنه منذ عقوده الأولى (20-30) سنة بلغت أعمال (فيدياس) شهرتها، وبذلك كُلِّف بصرف النظر عن عصر (بيريكليس) بإعداد تمثال (زيوس). ومن المحتمل أن يكون قد كُلِّف بذلك قرابة عام (455ق.م)، وهو في سن 25 سنة على أحسن تقدير؛ وأن البارتينون وضعت حجر الأساس فيه عام (447ق.م)، ودشِّن عام (438ق.م) مع تمثال الإلهة (أتينا)، أي بعد مضي (9) سنوات دامت فيها الأعمال.

بما أن معبد (زيوس) لا يقل أهمية عن (البارتينون) بالنسبة لضخامته، لذا يمكن القول: إن بناءه مع التمثال دام قرابة (10) سنوات، وهذا يعني أن البناء دُشِّن في أولمبيا عام (455)ق.م، وأن سن (فيدياس) آنذاك كان (35) سنة.

١- فيدياس Phidias (480-431ق.م): عاش في عصر بيريكليس (Perikles).

التاريخ (450-455ق.م) هو التاريخ الأكثر دقة، وهو مطابق للقرن الخامس ق.م، على اعتبار أن التاريخ ذاته تمَّ فيه تجديد الستاديوم، وقد يكون ذلك وفق مقاييس نظامية أفضل. فهذا يعني أن المباريات الأولمبية في الموقع حدثت في أحسن الأحوال قرابة (450ق.م)، وليس عام (776ق.م) كما حددت "التقاليد". و "التقاليد" هو التعبير الذي يسمح بصورة عامة بتقديم تواريخ صعبة التدقيق، تداولتها التقاليد وليس التاريخ.

وأخيراً في الحقبة الهلنستية، فإن موقع أولمبيا تمَّ تزويده خدمة للمتبارين بمنشآت أكمل، تابعت تطورها في الحقبة الرومانية، حيث تطورت المباريات وأصبحت وقفاً على الممتهنين وحدهم.

لم تتقلص الألعاب في (أولمبيا) أثناء المرحلة الأولى من الإمبراطورية الرومانية، لكنها بدأت بالاضمحلال أثناء النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، حين تمَّت المحافظة على قدسية الموقع، ببناء سور لحماية وسطه من الغازين الجرمانيين.

ثم وضعت المسيحية حدَّاً للألعاب. ففي عام (393م)، تمَّ الاحتفال بآخر الألعاب الأولمبية، حيث إنه في السنة التالية أمر الإمبراطور تيودوس (Theodos) بإغلاق المعابد كلها.

ملاحظة: العرض أعلاه يدعم التشكيك في بداية الألعاب. وسنعرض ذلك بالتفصيل فيما بعد.

7-9- مدن أخرى غير أولمبي مارست المباريات الرياضية:

المدن المعنية هي ديلف (Delphes) وَ نيمي (Nemée)، حيث تغلب هيراكلس على أسد تلك المدينة، وكذلك (كورانت). تضاف إليها ألعاب منطقة (الآتيك) متأخرة الألعاب الأتينية، على شرف الإلهة أتينا (Athena).

7-9 (أ) *الألعاب الديلفية*:

عُرفت تحت تسمية الألعاب (البيتية) نسبةً إلى بيتي (Pythie)، الوسيطة التي كانت تنقل إرادة الإله أبولون (Apollon) إلى المتوجهين إليه.

وكانت تُقام كل أربع سنوات، احتفالاً بذكرى انتصار (أبولون) على الثعبان بيتون (Pyton). أمَّا أسطورة خلق الثعبان (بيتون)، فهي أن (هيرا) قرينة (زيوس) اكتشفت خيانة زيوس لها مع ليتو (Leto)، وهي ابنة أحد العمالقة البدئيين. فطلبت من الأرض أن تلد ثعباناً مخيفاً مكلفاً بملاحقة ليتو (Leto) باستمرار. وبفضل إله البحر بوزييدون (Peséidon) نجحت (ليتو) بالاختباء، وأنجبت أرتيميس وَ أبولون (Artémis) و (Apollon). وهذا الأخير نما إلى قامة الشاب البالغ في غضون أربعة أشهر، وذهب إلى ديلفي (Delphes)، فوجد الثعبان المخيف الذي يلاحق والدته وطارده. وحين التجأ الثعبان إلى المعبد رماه بسهامه، وحفظاً لذكرى ذلك الانتصار أسس (أبولون) الألعاب (البيتية)، واتخذ لنفسه لقب (أبولون) (البيتي). وبما أن الإله (أبولون) كان يشجع الموسيقى والفنون بشكل خاص، فقد عرفت (ديلف) مسابقات غناء ورقص.

9-7 (ب) *ألعاب نيمي* (Nemée):

نحن نعلم أنه من بين الأعمال الاثني عشرة التي كانت مفروضة على (هيراكلس)، كانت مهمة القضاء على أسد (نيمي)، ولذلك فقد أُسست ألعاب في ذلك الموقع من قبل هيراكلس، أو من قبل أدراست (Adraste)، وهو أحد القادة السبعة الذين حاصروا (طيبا)، وتمكن من العودة إلى أرجوس (Argos) بسبب السرعة التي يتمتع بها حصانه آنيون (Anion). وتلك الألعاب كانت تقام كل سنتين.

9-7 (ج) *ألعاب كورانت الإيسَمية*:

عُرفت تحت تسمية الألعاب الإيستمية (Isthmique)، بمعنى البرزخية. وكانت تُقام كل ثلاث سنوات قرب (كورانتيا) على خليج (سالونيك). ويقال إنها أُسِّسَت من قبل سيزيف (Sisiphe) ملك (كورانتيا) تكريماً لـ (ميليسرت)، الذي سقط في البحر مع أمه إيبو (Ipo)، وهذه الأخيرة هي ابنة قدموس التي تمَّ تأليهها تحت تسمية (Leucothéa)، أي الإلهة البيضاء. وابنها (ميليسرت) الذي يحمل اسماً يذكر بملكارت، أصبح هو أيضاً إلهاً بحرياً تحت تسمية باليمون (Palémon).

يروى أيضاً أن الألعاب أُقيمت للمرة الأولى من قبل إله البحر (بوزييدون) وإله الشمس (هيليوس)، عندما عقدا اتفاقهما على امتلاك البرزخ من قبل الأول،

والأكروكورانت (Acrocorinthe) من قبل الثاني. كما إن هناك رواية أخرى تعتبر مؤسس الألعاب البرزخية هو تيزي (Thésée).

7-9 (ز) *ألعاب على شرف الإلهة أثينا* (Athena):

كانت تلك الألعاب ذات صبغة سياسية أو دينية بشكل رئيس، وأهمها ألعاب الباناتيني (Panathenée)، التي كانت تجمع كل سنة يونانيي المنطقة من أجل إقامة طقوس الإلهة (أتينا) بشكل جماعي، من شأنه إظهار ودعم سلطة مدينة (أتينا) ووحدتها في الحقبة الكلاسيكية. في ذلك الاحتفال كان الوافدون إلى (أتينا) من مختلف الجهات، يدعمون بمشاركتهم وحدة اليونان الكبرى.

فيما يخص ألعاب أتيني (Athénée)، روت الأسطورة أن الرياضي الكريتي أندروجي (Androgée) ابن مينوس (Minos) ملك كريت، هو الذي انتصر في ألعاب أتيني (Athénée)، مما أغضب مدينة (أتينا)، وأضرّ بتفوقها ومجدها، لذلك، وبناء على تحريض ملك المدينة، تمَّ اغتيال البطل المنتصر من قبل منافسيه الخاسرين. لذا، وعقاباً للمدينة، أرسل الإله (زيوس) المجاعة والطاعون إلى أتينا. كما نتج عن ذلك أيضاً توجيه مينوس (Minos) ملك كريت حملة عسكرية ضد (الآتيك). ولوضع حد للوباء والمجاعة الذي استفحل في منطقتهم، فإن أهالي (أتينا) استشاروا وسيط الإله، وأدى ذلك إلى اضطرارهم إلى إرسال مجموعة (7 شبان و 7 بنات) من أتينا سنوياً إلى جزيرة كريت، يخصصون لالتهامهم من قبل (المينوتور) الوحش الذي كان سجين المتاهات الشهيرة في جزيرة كريت. أمَّا المينوتور فهو مولود شاذ نتج عن حب ملكة (كريت) لثور جميل أهدي لزوجها، ونتج عن ذلك ولادة الوحش المذكور (انظر الفقرة (5-2) من الفصل الخامس).

ملاحظة: لا بدَّ من الإشارة هنا إلى أن هذه الأسطورة تعيدنا إلى حقبة الملك (مينوس)، الذي حكم في القرن الرابع عشر ق.م، وطبعاً لم تحدث آنذاك أي ألعاب في بلاد اليونان!

7-9 (هـ) *ألعاب على شرف إسكليبيوس إله الشفاء كما كان ملكارت عمريت*:

كانت مدينة إيبيدور (Epidaure) في منطقة الأرجوليد (Argolide) تحتوي على معبد مخصص (لإسكليبيوس) إله الشفاء، الذي هو أيضاً يقيم في معبد، وله وسيط ينقل إرادته ليبلغها لمستشاريه. ونحن نعلم أن (عمريت) حفظت في معبدها تماثيل للطبيب المصري المؤله إيمحوتب (Imhotep). وفي بعض النصوص المقتضبة نشهد شكر الإله الشافي (ملكارت) لأنه "استمع" للراجي. وهناك شكر لإله شاف في عمريت اسمه (شاد - رفأ) أو (شداد رفأ). ومن الصعب نظراً للعدد القليل من النصوص الفينيقية المتوافرة في عمريت التأكد فيما إذا كانت هذه

التسمية هي صفة لملكارت كإله شفاء. وإذا ما كانت في اليونان، أي في أرجوس (Argos)، تقام ألعاب على شرف الإله الطبيب (إسكليبيوس)، فلماذا لا تقام ألعاب مماثلة لملكارت في عمريت، الذي هو إله بطولة عاد له اليونانيون مع (هيراكلس)، وهو إله شفاء في معبد يحيط به حوض مقدس ذو مياه شافية بفضل ملكارت؟

7-10- الجمال والطيبة والألعاب الأولمبية:

7-10 (أ) *باحث فرنسي يصف لنا أولمبي:*

عندما يحدثنا (فيليب دوكاربونيير) عن الألعاب الأولمبية في كتابه الأنيق أولمبي (Olympie)، الصادر عن مركز البحوث الفرنسية (CNRS)، نقرأ في مطلع كتابه ما يلي:

- إن موقع (أولمبي) هو مكان الرياضة كاستعراض وكطقس ديني، والموقع هو "مقام مقدس". وإنه بفضل الآلهة، ومن أجلهم، فإن الجمال يتجسد سواء أكان ذلك في تمثال، أم في سباق، أو مباراة.
- ملايين الحجاج كانوا يتوافدون لعبادة (زيوس) الجالس على عرشه على امتداد الحقبة، وبقية الآلهة كانت تمثل بلاطه.
- أمام الإله (زيوس)، وتكريماً له، كان الرياضيون المتبارون يؤدون قسمهم. وبنوره كانت الألعاب تجمع اليونانيين الأحرار الآتين إلى اليونان من أراض عديدة وبعيدة، حيث تزدهر الثقافة والمعتقدات والعادات الهيللينية، وهؤلاء هم:

  - الدوريون من البيلوبونيز، ومن "اليونان الكبرى".
  - والإيونيون من آسيا الصغرى.
  - والأتينيون وحتى اليونانيون ذوي أصولٍ من المستعمرات، من (الكريمي) أو من (أفريقيا)؛ جميعهم يأتون لكي يتأملوا.

يتابع المؤلف بهذا الأسلوب الرنان ذاته، مؤكداً أن الجميع يأتون للتباري بروح "كورتوازية رياضية لائقة"، على الرغم من خلافاتهم أو كرههم، إذ إن كل

واحد كان يشعر أنه "هيلليني" يشاطر الجميع نظراته إلى المثل الأعلى، الذي هو "الجمال والطيبة"[1] المتجسدان في المتبارين.

أمَّا تعليقنا على هذا التقديم الجميل للألعاب الأولمبية، فإنه يقدم لنا صورة عن بلاد توسعت، وأصبحت لها مستعمرات في آسيا الصغرى، وفي أفريقيا والكريمي (Crimée)[2]. ويحق لنا أن نتساءل إذا ما كنا أمام إمبراطورية يونانية لم تحدث إلا بعد فتح الإسكندر المكدوني، واعتبار اليونانيون بأنهم ممثلوه، أم أننا قبل فتح الإسكندر، فيما عرف بالحقبة الكلاسيكية، مع مغالاة تريد منا نسيان الحروب الميدية؟

حين اشترك تيرون (Theron) ملك (سيراكوزا) لأول مرة في الألعاب الأولمبية، سمح للمستعمرات اليونانية الاشتراك فيها، وقد تمَّ ذلك. كما حاولنا بصعوبة تحديد تاريخ تلك الدورة، التي انتصر فيها ملك (سيراكوزا) من جزيرة صقليا، والتي احتل اليونان جزءاً منها، بينما كان الجزء الآخر من نصيب الفينيقيين. وقد ألهب انتصار ملك (سيراكوزا) قريحة الشاعر باندار (Pindare)، الذي ألف قصيدة فخمة يمجد ذلك الانتصار. وباعتقادنا أنه بعد جهد حسابي لمحاولة التوفيق بين حياة الشاعر ومدّة حكم ملك (سيراكوزا)، اعتمدنا قرابة عام (400ق.م)، أقيمت فيه أول دورة شاركت فيها (سيراكوزا). ويعني ذلك أيضاً أننا أمام بداية من المحتمل أن تكون قد توسعت حتى بلوغ ما وصفه لنا الباحث (دوكاربونيير) الذي قدمنا نصه أعلاه بعد فتح الإسكندر.

7-10 (ب) *متى تبنى اليونان شعار الجمال والطيبة*:

ونحن نقول اليوم إذا ما احترمنا الأولويات "الحق والخير والجمال"، لماذا إذاً وضع اليونانيون الجمال في مطلع شعارهم؟

كان المفكرون اليونانيون يعتبرون أن جمال الأجسام هو مكمل لمظهر النبل الأخلاقي. ومثل هذه النظرة المثالية هي ذات أساس تفكير أرستقراطي كما كان أفلاطون يذكر بها باستمرار. وهي التي بقيت حتى حلول الإمبراطورية رمزاً للإنسان الكامل.

عاش أفلاطون بين عامي (427 و 347ق.م). وكان ينحدر من أسرة نبيلة وثرية، وهو أول الفلاسفة. ولد في (أتينا)، وشهد سحق مدينته بنتيجة حربها مع إسبارطة في عام (404ق.م). واعتباراً من ذلك التاريخ دخل أفلاطون في مرحلة

١- Kalos Kagatos باليونانية.

٢- الكريمي: شبه جزيرة على البحر الأسود تابعة لأوكرانيا (؟).

جديدة من حياته، متجهاً نحو تفكير جديد أطلق عليه تسمية الفلسفة، أي "حب الحكمة"، متبعاً بذلك توجيهات معلمه (سقراط)، الذي كان أيضاً من مواطني (أتينا)، وأراد بدوره المساهمة في إصلاح المواطنين، مطلقاً تفكيراً لا يخضع للمظاهر بغية التوصل لمعرفة ماهية الأشياء على حقيقتها، وهي تشمل بناء المواطنين الذين يعيشون في المدينة. وأسس من أجل ذلك مدرسته الأكاديميا. وكان أرسطو من تلاميذه.

عاش أفلاطون في مدرسته، واستقبل الشبان لتدريبهم بشكل جماعي في مشاركة فعالة وفاعلة؛ تلك كانت مهمة بناء عقولهم، وأمَّا أجسادهم فكانت تتكفل بها المؤسسة الرياضية.

ونحن نعلم أن أتينا عرفت أول (جمنازيوم) في داخلها[1] في القرن الخامس ق.م، حيث كان الرياضيون يتمرنون لخوض المباريات. وكان الشبان البالغون إيفيب (Ephèbes) في القرن الرابع ق.م يقضون في (الجمنازيوم) مدّة سنة للتدرب على استعمال السلاح.

واعتباراً من نهاية الحقبة الكلاسيكية، أصبح (الجمنازيوم) يؤهل في الوقت نفسه العقل، كما يؤهل الجسم.

أمَّا شبان (أتينا) الذين تطلَق عليهم تسمية (إيفيب)، فهم الذين تعدوا سن الثامنة عشرة، ولا يمكن اعتبارهم صبياناً ولا رجالاً، أي إنهم ليسوا من عداد الرجال (Andres) بعد. وكان عليهم اجتياز مرحلة ضرورية تشتمل على تمارين مقاومة جسدية، واحتفالات دينية. وتدريجياً يمكن القول إن نظام (الإيفيبية) تحول إلى خدمة عسكرية. وكان الشبان في أتينا يمضون في (الجمنازيوم) معظم أوقاتهم، حيث يستمعون إلى المحاضرات التي كان يلقيها الفلاسفة والخطباء. وكانوا في الوقت نفسه يمارسون التمارين الرياضية. وفي القرن الثالث ق.م، كانت مدرسة التدريب تقتصر على شبان الأُسَر الغنية. أمَّا في القرن الثاني وفي الثلث الأخير منه قرابة (130ق.م)، فقد قُبِلَ الأجانب في مدرسة الشبان.

أخيراً بعد هذا العرض المفصّل عن مدارس تدريب الشبان على فضائل جمال العقول وجمال الأجساد، فمن الصعب اعتبار تبني هذا المفهوم قبل نهاية القرن الخامس ق.م، في الحقبة التي عَرفت الفلاسفة والتفكير الفلسفي. كما إنه ليس من الصعب التصور، نظراً للحروب المتواصلة بين المدن

١- قبل ذلك كانت المراكز المماثلة تقام خارج المدن، وبعد فتح الإسكندر أصبحت إقامة جمبازيوم في مدينة ما من المستعمرات إثباتاً بأن المدينة بدأت هلنستها.

والأحلاف المتعددة قبل الحقبة الكلاسيكية، أن العقول لم تكن منفتحة للتفكير بمفهوم الجمال، كما أُريد لنا أن نتقبل. ويمكن القول: إن ممارسة استعمال السلاح، وممارسة الحروب، يبعد حتماً عن مفهوم الجمال، بل أدى إلى بناء عضلات المحارب بخوض الحرب بنجاح، مع التذكير بالحروب الميدية التي تلتها حروب (البيلوبونيز) بين (أتينا وإسبارطة). ولا بدَّ من التذكير أيضاً بأن المدن والجزر اليونانية - كما أشرنا إلى ذلك آنفاً - كانت تقاويمها مختلفة، وأعيادها مختلفة، وتعيش معزولة الواحدة عن الأخرى، ولم يكن هناك اتصال فيما بينها إلا عبر الحروب الداخلية. فكل ذلك لا يساعد على الاعتقاد بأن الألعاب الأولمبية كانت تشارك فيها البلاد كلها، منذ الحقب النظرية التي حاول بعض المؤرخين فرضها علينا، لأن ذلك كان يخدم نظراتهم المثالية إلى تاريخ بلادهم، الذي لم يكتب إلا بعد محاولة السيطرة على الماضي وفقاً لرغباتهم، وخدمة لوطنيتهم. وما يساعد على ذلك نوع من العنصرية التعصبية التي أصابت اليونانيين القادة والمؤرخين والباحثين بعد انتصار الإسكندر، حين اعتبروا أن كل من هو غير يوناني، بربري وغير متحضر! ومثل هذا الغرور القومي الشاذ سوّغ لهم كتابة تاريخهم بالتوافق مع تلك النظرة، وتبعهم إلى أبعد من ذلك مؤرخو القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حين ابتدعوا (النموذج الآري) لكتابة تاريخهم. وهذا ما بحثه بتوسع المؤلف بيرنال (Bernal) في كتابه "أثينا السوداء"، الذي أوردنا آنفاً مقتطفات ممَّا ورد في دراسته لذلك الموضوع.

7-10 (ج) *اليونانيون ومعاملة النساء*:

كانت التقاليد اليونانية القديمة تفرض على النساء العيش في نظام "حريمي"، بحصرهن في الطابق العلوي من المسكن، أو في جناح خاص خلف البناء الرئيس يصعب الوصول إليه من قبل الغرباء عن البيت.

في ذلك المقر كانت النساء تعيش وتعمل: يغزلن، وينسجن، ويمارسن الخياطة والتطريز. وهن اللواتي كن يقمن بتربية الأطفال حتى سن دخول المدرسة في سن السابعة، وتربية البنات في بيت الحريم (Gynecée) حتى زواجهن.

7-10 (د) *تدرج الطفل بعد سن السابعة*:

بعد سن سبع سنوات كان الطفل يوضع تحت تصرف الدولة لتعليمه، والأطفال المعنيون هم أبناء الأغنياء والوجهاء، الذين كانوا يخضعون لتعليم جماعي، حيث يتدرجون ضمن مجموعات حسب تقدم السنين، ويشرف عليهم معلمون ومناظرون وحاملو السوط لعقاب التلاميذ. كان التلميذ حتى سن 12 سنة يرتدي "الشيتون"، وهو قميص من الصوف يصل حتى الركبة. بين سن (12-16) يصبح صبياً، والفتيان بين سن (16-20) هم الذين كانت (إسبارطة) تعتمد على

تحويلهم إلى جنود يتقنون فن الحرب. بينما كان الأكثر أهمية في (أتينا) التوصل إلى جمال الجسم المؤدي إلى الجمال الداخلي.

هكذا كانت قاعات الرياضة (الجمبازيوم) تشهد تمارين الفتيان، سواء في (إسبارطة) أم في (أتينا)، لبناء جمال أجسادهم، بينما في (الجمبازيوم) نفسه كان الرجال يتمرنون استعداداً للمباريات.

7-10 (هـ) *بين عزل النساء، وجمال أجساد الفتيان:*

من نتائج عزل النساء حصرهن في المهمات البيتية. ومن نتائج المغالاة في بناء جمال الأجساد لدى الفتيان حبٌّ ذلك الجمال. يضاف إلى ذلك ضيق أراضي البلاد لتحقيق كفاية سكانها، مما أدى إلى ضرورة تحديد النسل، أو الهجرة. كما إن قضاء الفتيان لأوقات طويلة يؤدون فيها التمارين الرياضية عراةً، بحضور أبطال ورجال يستعدون للبطولة، من شأنه أن يخلق بين الجيلين إعجاب الفتى بمن يسعى لتقليده، وإعجاب الرجل الناضج بجسد الفتى، الذي هو قيد البناء. كل ذلك شجّع العلاقات الجنسية الذكورية. وقد اعتبر (أرسطو) أن ذلك سوغ لـ (اللوطية) في بلاد اليونان، وشُرِّع لها، وسمح بها تحاشياً لتزايد السكان. على اعتبار أن البلاد كانت تنقصها المناطق الزراعية، مما نتج عنه هجرات في محاولة لإقامة مستعمرات خارج البلاد.

ويمكن القول: إن اللوطية كانت في كل الأحوال منتشرة بين كل طبقات المجتمع اليوناني. وخلافاً لما عرفته بقية الشعوب، فإن اليونانيين كانوا يتقبلونها وكأنها فعل طبيعي يمكن البوح به من دون مواربة.

وبالإضافة إلى ذلك فإن تلك الممارسة الجنسية كانت تُعتبر في بلاد اليونان علاقة حب بين رجل وفتى تستوجب شعوراً يفوق الصداقة.

7-10 (و) *معلومات إضافية عن اللوطية قدّمتها جزيرة كريت:*

هذه هي جزيرة (كريت) تقدم لنا وصفاً عما يحدث عندما يقع رجل في حب صبي أو فتى جميل. عند ذلك كان يُبلِّغ حبه لأهل الصبي، وتتم عند ذلك عملية اختطاف. يتظاهر عند ذلك أهل الصبي بالدفاع عن فتاهم، لكنهم في النهاية يسمحون بذلك. تماماً كما كانت تُختطف العروس من قبل الفارس (الشركسي)، ويتظاهر أهل العروس بملاحقته، ولكن من دون جدوى.

عند ذلك كان الصبي المُختطَف في (كريت) يقضي مدّة شهرين مع عاشقه، يتذوق متعة العلاقة الجنسية. ويعاد بعد ذلك إلى أهله مرفقاً بهدايا، وبخاتم مكرَّس للإله (زيوس). تلي ذلك مأدبة وتضحية (لزيوس)، ثمَّ يطلب من الفتى المعشوق إذا ما كانت لديه شكوى من معاملة عاشقه له أن يدلي بها، فتتوقف العلاقة عندما تكون هناك شكوى، وتستمر في حال العكس.

يَعتبر المعلقون اليونانيون أن الصفات الأخلاقية "للمعشوق" هي التي كانت توجه اختيار العاشق لفتاه، أكثر من الصفات الجسدية. وهكذا فإن الفتيان كانوا يقدرون "شرف" اختيارهم، وتستمر معاملتهم بتكريم، كأن يمنحون أماكن مفضلة في قاعات الرياضة وفي المآدب العامة.

كان الفتى يرتدي اللباس الذي أهداه له عاشقه، وبذلك يتميز.

وتستمر معاملته بحفاوة وتكريم عندما يصبح راشداً، وتنطبق عليه عند ذلك صفة (لكينوس) بمعنى "شهير" أو "مُنصَّر". كما إن هؤلاء الفتيان يطلق على عشاقهم تسمية (فيليتير)، التي تشمل معنى الصداقة.

7-10 (ز) *شخصيات يونانية مارست اللوطية، وشعراء الغزل الغلماني:*

نحن نعلم أن الشاعر آناكريون (Anacreon) خصص للصبيان قصائده الغزلية؛ أمَّا باندار (Pindare) (518-438ق.م) الذي كان ينشد دوماً الأبطال المنتصرين في المباريات الرياضية، فإنه توفي ورأسه على كتف معشوقه، الذي كان يتلو عليه قصائده الشخصية في تمجيد الأبطال.

أمَّا أجمل قصائد تيوكريت (Theocrite)[1] فكانت هي أيضاً تتعلق بالغزل الغلماني. وليس البشر أو الشعراء هم وحدهم شغفوا بجمال الفتيان، فإن آلهة اليونان هم الذين أعطوا المثل للبشر:

* فهذا هو (زيوس) سيد الآلهة، يتحول إلى نسر ليختطف غانيميد (Ganymède)، وهو فتى من آسيا الصغرى، حيث شغف (زيوس) بجماله، وتحول إلى نسر ليحمله إلى الأولمب (جبل الآلهة)، ليصبح في عالم الآلهة ساقياً يساعد هيبي (Hebe')[2] ابنة (زيوس)، في سكب النيكتار (Nectar)[3] شراب الآلهة الضامن للحياة الأبدية.

١- Theocrite (310-250 ق.م) صاحب مجموعة (غراميات).

٢- Hebe' ابنة الإله (زيوس).

٣- Nectar: شراب الحياة الأبدية، ولا بدَّ الإشارة إلى أن بلاد الرافدين عرفت أساطيرها شراب وطعام الحياة الأبدية.

بعد وفاة البطل هيراكلس، نقله الإله زيوس إلى جبل الأولمب، مقر الآلهة، وتزوج من هيبي ابنة زيوس حل محلها كساقٍ للآلهة، الفتى جانيميد الذي وقع الآلهة كافة في غرامه، وهو الذي أعجب جماله الإله زيوس وحول نفسه إلى نسر لاختطافه ونقله إلى جبل الأولمب

هيبي ابنة الإله زيوس، وهي التي كانت مكلفة بتقديم طعام وشراب الآلهة على جبل الأولمب ضماناً لمحافظتهم على الحياة الأبدية

بعد ذلك يبقى (غانيميد) وحده ساقي الآلهة بعد زواج (هيبي) من (هيراكلس)، وقبوله في عالم الآلهة.

* أمَّا (هيراكلس) نفسه فقد أحب هيلّوس (Hyllos)[1] لجماله. وكذلك (أبولّون) هو أيضاً أحب ياسانت (Hyacinthe)[2]، مما أثار غيرة زيفير (Zephir)[3] لتفضيل (أبولون) جمال (ياسانت) عليه، وهو الذي انتقم من (ياسانت) حين نفخ على القرص الذي رماه (أبولون) حين كان يلعب مع (ياسانت)، وحوّل مجراه بحيث أصاب جبين (ياسانت) الذي سال دمه وروى الأرض. ومن شدة حزن (أبولّون) لوفاته، فإنه حوَّل الدم إلى زهرة حمراء تحمل رسم أول حرف من اسم (ياسانت). بالنسبة للفتى الجميل (ياسانت) كان الآلهة يتنافسون للتقرب منه، وكان المفضّل لدى (أبولّون).

* ومن الطبيعي بعد ذلك أن يُقلّد البشر تصرف الآلهة، أو أن العكس صحيح، إذ إن البشر هم الذين ابتدعوا الأساطير التي تجعل الآلهة تقلدهم لإراحة ضمائرهم. حتى الرجال الأكثر جدية، عرفوا أنفسهم هذا

١- Hyllos كان المفضل من قبل (هيراكلس).
٢- Hyacinthe الفتى المفضل من قبل الإله (أبولّون).
٣- Zephir الفتى الجميل الذي كان يبشر برطوبة الربيع، ويتحد مع آلهة الخضرة التي تلد الثمرة.

النوع من الصداقة "الحميمة"، وإن (أرسطو) اتُّهمَ بأنه وليف هيرمياس (Hermias) من آتارني (d' Atarnée).

7-11- التشكيك في عام (776ق.م) لبداية الألعاب الأولمبية:

إن الإشارة إلى (هيراكلس) وصِلته تلك مع بيلوبس (Pelops) تدل على أن الأساطير في (أولمبي) تتلاقى فيما بينها، على الرغم من تضاربها الظاهري، أو تفرعها في ذلك العالم المتعدد الروايات.

وإذا ما حاز (بيلوبس) تكريماً تعبدياً من قبل (الإيليين)، فلاعتقادنا أنهم حافظوا على الطقوس الفينيقية، التي كانت تُكرّم الأجداد، وتقدم لهم القرابين. وإن أوغاريت درجت على دفن الأجداد المتوفين في باحة المنزل الأُسَري. وكشفت الحفريات في أوغاريت عدداً كبيراً من تلك المدافن الأُسَريّة.

7-11 (أ) *مباريات ومنافسات*:

يوضح أستاذ التاريخ القديم في جامعته (ليون II) في كتابه (تفسير التعابير القديمة اليونانية) المنشور عام (1972م)[1] أن العالم اليوناني لم تكن فيه ألعاب، ولكن كانت هناك فقط مباريات (ومنافسات). وبطبيعة الأمر فإن تلك المباريات كان لها مظهر جماعي، بسبب وجود المتفرجين الذي كان ضرورياً. ولكن ما هو أساسي بالنسبة للمتنافسين هو التوصل إلى الانتصار.

تُنظَّم المباريات دائماً بمناسبة عيد ديني. وبعض المباريات لم تكن سوى لقاءات طقسية، فمثلاً عندما كان فتيان من (إسبارطة) يحاولون الاستيلاء على الأهداف الموضوعة على هيكل الإلهة أرتيميس (Artemis)، بينما كان رفقاء لهم يحاولون منعهم من ذلك بضربهم بالعصي، كان ذلك يعني إقامة طقوس للخصومة، وطقس دخول الفتيان عالم البالغين (طقس إدخال).

كما إن مسابقة الرقصة الحربية المنظمة عبر أعياد (أتيني)، كانت هي كذلك مخصصة لأعضاء معينين من أهالي (أتينا).

أمَّا ما وصف مراراً بالمسابقات البانهيللينة (panhellenique)، فإننا هنا أمام تسمية حديثة، حاولت تجاوز فكرة المباريات والمسابقات الطقسية المحلية التي كانت كل منطقة تنظمها من دون غيرها، لذلك أُطلِقت تسمية ألعاب هيللينية

1- Lexique d'antiquités grecques (Claude Vial) (كلود فيال).

عامة، أي (بانهيلينيك)، على الألعاب التي لم تكن ألعاباً في عرفهم. وينطبق ذلك على مسابقة في زمن (أولمبي)، و (ديلف)، و (وأيسم)، و (نيمي)، التي كانت في عرف اليونانيين مباريات مقدسة، أي (Hieroï). وعرفت البلد مسابقات نظمت على نموذج (أولمبي) في (ديلف) سميت إيزولمبيك (isolympiques)، أو إيزديليفك (isodelphique). وكان ذلك في القرن الثالث ق.م. كل ذلك يعني أن ما سمي بالألعاب التي اعتبرت بانهيلينيك (panhellenique) أي شاملة، ابتدعها خيال ورغبات باحثين حديثين، أرادوا إعطاء بلاد اليونان وحدة لم تتحقق منذ ذلك الوقت.

7-11 (ب) *تنظيم الألعاب ومتطلباته*:

كان لكل مباراة تاريخها الخاص، متضمنة الاحتفالات المرافقة. وكان المنتصر على ميدان المباراة في (أولمبي) يعلن اسمه واسم أبيه والمدينة التي يمثلها، ويستقبل بعد ذلك كبطل في بلده، يتغنى الشعراء بانتصاره. وبعضهم كان يُقام له تمثال يحمل اسمه، ويشير إلى النصر الذي حققه.

كان تنظيم المباريات يتطلب مساهمة من يُعرفون بالأرغونتيت (Argonthètes)، وهم الحكام (القضاة). وكان المرشحون للاشتراك في الألعاب من الرياضيين يتقدمون منهم. وكان عليهم قبول أو رفض المتقدمين وتسجيلهم ضمن مجموعة الرياضيين الكبار والشبان الصغار الذين كان يحق لهم الاشتراك في مباريات خاصة بهم. بعد ذلك يعود المقبولون إلى مدنهم للاستعداد. وكان ذلك يتم قبل شهرين من بدء الألعاب الرسمية.

7-11 (ب-1) كانت المباريات الأولمبية تشمل إمَّا:

- سباق بواسطة المركبات تجرها الخيول، أو سباق خيول يمتطيها الفرسان، ولكن الأغنياء وحدهم هم الذين يملكون خيولاً لهذه الغاية.
- أو رياضة العدو على الأقدام، والمصارعة، ونوع من الملاكمة (البانكراس)، وهي لكم بالأيدي العارية، والأقدام، وأخيراً المجموعة الخماسية بينتاتلون (pentathlon).
- أو مباريات فنية إبداعية: موسيقية ومسرحية.

ثم إعداداً لاستقبال الوافدين إلى الموقع المقدس والمتفرجين، كان الإيليون يكلفون (مناديين) من قبلهم من موقع (أولمبي)، ويجوبون العالم الإيجي معلنين

"الهدنة المقدسة". وكان يتم في الأوقات التي كانت الألعاب فيها تشمل جميع مناطق ومدن البلاد. واعتباراً من القرن الرابع ق.م، كانت (أولمبي) ومنطقتها تستوجب الدخول إليها من دون أي سلاح[1].

7-11 (ب-2) بعد عودة الرياضيين المقبول اشتراكهم:

تبدأ المباريات، مع الذين تمَّ تسجيلهم رسمياً، بتقديم عدد من الأضاحي والاحتفالات الدينية على شرف الآلهة: (زيوس)، و (كرونوس)، وغيرهما من الآلهة. وكان مقام بيلوبس (Pelops) أيضاً في (أولمبي)، كما أشرنا آنفاً. ويجهل الباحثون تفاصيل الاحتفالات الدينية. كان (الإيليون) هم الذين يقيمون الطقوس مع من لُقبوا بالتيور (theores)، وهم الوفود القادمة من المدن المشاركة في الألعاب، وبينهم قضاة وكهّان، ومعهم مَن تمَّ اختيارهم للاشتراك في المباريات من المواطنين.

كانت جميع الوفود تستقبل من قبل المدينة المنظِّمة، وتتخذ أماكنها. وكان يترأس كل وفد مسؤول، يتلقى من المدينة مساعدة نوعية لتغطية مصاريف الوفد أثناء إقامته في (أولمبي).

7-11 (ب-3) تسجيل المقبولين للاشتراك في الألعاب:

إن تسجيل المقبولين للاشتراك في المباريات كان للتأكد من عودتهم وحقهم في خوض المباريات. وبهذه المناسبة، وبكل بساطة، علينا طرح موضوع ذي أهمية، مفاده أن المنظمين كانت لديهم سجلات مكتوبة، منذ عام (776ق.م) السنة التي اعتبرت كبداية للألعاب الاولمبية. وبالطبع فإن هذا السؤال يقتضي تعرف اليونانيين على الأبجدية، وتبنيها وتطويرها صوتياً، لكي تتلاءم مع لغتهم، ونشرها وانتشارها. وهل كان ذلك ممكن الحدوث منذ عام (776ق.م)؟

7-11 (ب-4) التعرف على الأبجدية:

نحن نعلم أن اليونانيين تعرفوا على الأبجدية الفينيقية قرابة عام (700ق.م). ولم يتعد استعمال الكتابة آنذاك بعض الجمل القصيرة، والمسجلة على حوامل صلبة خزفية أو خشبية. وينقلنا ذلك إلى حتمية التعرف على الحُقب التاريخية الحقيقية لانتشار الكتابة، والتوصل إلى استعمالها في الحياة اليومية. وسنعود إلى تفاصيل ذلك في مكان آخر.

7-11 (ب-5) الكتابة والمجموعة الهوميرية:

أمَّا عن نقل المجموعة (الهوميرية) الإلياذة والأوديسة من الذاكرة الشفهية إلى الكتابة، واعتبارها وصلت إلينا مكتوبة منذ القرن السابع ق.م، هي أيضاً تساؤلات علينا الإجابة عنها، مع الإشارة إلى أن مجموع أبيات الشعر المنسوبة

١- من قاموس الحضارة اليونانية، تأليف (G. et M. F. Rachet) من منشورات (Larousse)، عام (1988م) ص (187-189).

(لهوميروس) يبلغ (16+12)=28 ألف بيت شعر سداسي المقاطع. وهذا أيضاً سنعود إليه في تفاصيل كافية.

7-11 (ج) *الشاعر باندار والألعاب*:

عاش باندار (Pindare) في نهاية القرن السادس ق.م. وكانت ولادته عام (518ق.م). ومن بين أعماله قصيدة تُمجد الفارس المنتصر في سباق الخيل في (أولمبي)، وهو هيرون (Hieron)[1] ملك (سيراكوزا). ويُستنتج من القصيدة التي وصلتنا عنه حماساً وإعجاباً كبيرين بالبطل الشاب المنتصر. ومطلعها يُمكن من الحكم على حماس الشاعر، وإعجابه بالملك المنتصر حين ينشد:

[.....]

أي روحي، هل تبغين إنشاد الألعاب؟

فلا تبحثي في السماء الخالية

عندما يسطع نور النهار، عن

نجم أكثر إشعاعاً من الشمس

ولا تأملي احتفالاً بفرحة

أعظم مجداً من أولمبيا!

من هنا انطلق الرجل الذي

رددت اسمه آلاف الأصوات

إنه يلهم عبقرية الشعراء

الذين توافدوا لإنشاد وليد

كرونوس في بيت (هيرون) السعيد [.....]

7-11 (ج-1) اشتراك ملك سيراكوزا في الألعاب:

يعني آنذاك تبعيتها لما سُمي (باليونان الكبرى). ويعتبر الباحثون تفسيراً لاستعمار اليونان لجزء من جزيرة (صقليا) في سيراكوزا، ومن بينهم المؤلف

١- حكم هيرون (Hieron) سيراكوزا، قبل دونيس القديم (Denys)، الذي خلفه.

شامو (Chamoux)[1]، الذي روى إشغال تلك الجهة من الجزيرة. ووفق التاريخ "التقليدي" بأن أحد الكورنتيين المسمى آركياس (Archias) تمركز على صخرة في موقع (سيراكوزا)، وطرد منه السكان الأصليين، ثمَّ توسع داخل الأراضي، وكان ذلك عام (733ق.م).

تقع صخرة (سيراكوزا) المختارة على الشاطئ الشرقي من جزيرة صقليا. وكانت آنذاك (قرطاجة) قد تمركزت قبله على كامل الرأس الغربي لمثلث الجزيرة.

7-11 (ج-2) دور الملك دونيس:

ثمَّ على الرغم من هجرة أعداد من اليونانيين إلى الجزيرة بسبب ضيق الأراضي في بلدهم، ونقص الأراضي الزراعية، فإن (سيراكوزا) لم تصبح مدينة ذات أهمية إلا على يد الحاكم دونيس (Denis)، الملقب بـ (دونيس) القديم الذي حكم بين عامي (407 و 367ق.م)، وهو الذي بعد بناء عدد كبير من السفن الحربية، واستئجار عدد كبير من المرتزقة من الجنسيات كافة، حاول طرد القرطاجيين، والاستيلاء على كامل الجزيرة، ولكنه لم يتمكن من ذلك.

7-11 (ج-3) التحول نحو التجارة:

توجهت مدينة (سيراكوزا) بعد ذلك نحو التجارة، وأصبحت مركزاً تجارياً مهماً. كما إن بلاط (دونيس) وميله إلى الأدب جذب عدداً من الشعراء والفلاسفة، ومن بينهم (أفلاطون) و (أريستيب)، آملين أن يجدوا فيه الشخصية التي يمكنها توحيد اليونانيين، للوقوف ضد الهجمات (الميدية)، ولكنهم صُدموا لأن تابعيه لم يكونوا مواطنين، بل رعايا محكومين باستبداد.

ومن المفيد الإشارة إلى أن أتينا منحته جائزة في مسابقة تأليف دراماتيكي في أعياد (ديونيسوس) في عام (367ق.م)، وهي السنة التي حدثت فيها وفاته.

7-11 (ج-4) متى عاش بطل سيراكوزا:

وبالنسبة لـ (هيرون) الذي حكم قبله، واستحق مديح الشاعر (باندار) بمناسبة مباراة (أولمبي) لسباق الخيل، حاولنا العودة إلى السجلات التي تحدد حقب حكم كل من (جيلون، وهيرون، ودونيس) القديم، والابن في (سيراكوزا). وعمدنا إلى اللجوء لفرضيات وحسابات بغية التوفيق بين المدّة التي عاشها

١- في كتابه (La Civilisation Grecque) من منشورات (Arthaud) لعام (1983م).

(باندار)، والمدّة التي حكم فيها (هيرون)، وتوصلنا إلى عمر تقريبي (باندار) قرابة 60 سنة عندما ألف قصيدته لتمجيد الحاكم (هيرون). ومثل هذا النقص في المعلومات والتواريخ المفيدة لكل محقق ومؤرخ، شكا منه أيضاً مؤلف كتاب "اليونانيون وشرق المتوسط"[1]، وشكك في كتابه الضخم بعدد كبير من التواريخ التي اصطلح على تبنيها معظم الباحثين، وصعوبة التأكد من صحتها والبناء عليها.

والباحث (بوران) ليس الوحيد، فإن باحثاً آخر لم يكتف بعرض كل ما هو محرف في تاريخ اليونان القديم، ولكنه أوضح أسباب ذلك التحريف المتعمد. وهذا ما أطلعنا عليه القارئ العربي في الفصل الثالث. وليس من المستغرب أن يستنكر جهد هذا الباحث من قبل مَن حَرَّفوا، وباحثنا هو مؤلف كتاب "أثينا السوداء". ويتألف الكتاب من ثلاثة أجزاء، يستعرض الجذور[2] (الأسيو - أفريقية) للحضارة الكلاسيكية.

ومن المفيد استكمال موضوع التشكيك في عام (776ق.م)، بربطه بفقرة انتشار الأبجدية، وبدء الألعاب.

7-11 (ج-5) كانت المباريات بطيئة التطور:

تعرض الباحثان فينلي (M. I. Finley) وَ بليكيت (H. W. Plekkt)، وهما اختصاصيان في الألعاب الأولمبية القديمة، في كتابهما عمّا سمياه "الألف سنة الأولى من الألعاب الأولمبية بدءاً بالعام (776ق.م) (؟) وحتى (261) ميلادية"، وهو الكتاب الذي نشر بالإنكليزية في عام (1976م)، ونقل إلى الفرنسية في عام (2004م)[3].

وعلى الرغم من تبنيهما في عام (776ق.م) لبدء المسابقات، ولا نقول الألعاب، فقد أشارا إلى مسابقات ركض على مسافات مختلفة، ومباريات مصارعة وملاكمة بقبضتين تلتف حولهما أشرطة من الجلد، ونوع آخر سمي البانكراس (Pancrace)، الذي هو نوع من المصارعة والجودو وبعض الملاكمة، الذي كان يعتبر أقل عنفاً من الملاكمة.

وقد اعتبرا أيضاً سباق المركبات، أو سباق الخيل، وقفاً على النبلاء، الذين وحدهم كانوا يملكون الأحصنة والمركبات. وذكّرا بشبه تهكم أن البلاد أدخلت في عام (500ق.م) سباقاً لمركبات يقودها رجال جالسون، ويجرها بغلان، وتقرر صرف النظر عنها في عام (444ق.م)، على اعتبار أنها لم تكن تقليدية، ولم تكن

١- تأليف (CLAUDE BAURAIN) من منشورات PUF 1997.
٢- تأليف (Martin BERNAL) من منشورات PUF 1997.
٣- صدر عن دار نشر بيرّان (Perrin).

نبيلة كما أشار إلى ذلك المؤرخ بوزانياس (Pausanias)، الذي عاش في منتصف القرن الثاني الميلادي.

أمَّا آخر مباراة، وهي التي كانت تختتم الألعاب، وكانت ترمز إلى نهاية الهدنة بين المناطق، كانت عبارة عن مصارعة مسلية للجمهور بعد مشاهدته لعدد من المباريات والمسابقات الموصوفة أعلاه. وكانت عبارة عن لقاء مصارعين يحملان بعض أسلحتهما: الخوذة والترس وكسوة حماية الفخذين. ثم تأكيداً لبطء تطور الألعاب، وبطء تنوعها، فإن المؤلفين يعرضان جدولاً يشير إلى ما جمعاه من معلومات تقليدية عن تواريخ بدء بعض المسابقات ونوعها، والمدينة التي نظمتها، أو مدينة المنتصر فيها. ومن شأن هذا الغموض بين المدينة المنظمة ومدينة المنتصر أن يؤكد الصعوبة، وعدم الدقة في تبني محتوى الجدول بشكل يبعده عن التشكيك. كانت الألعاب كما أشرنا إلى ذلك بطيئة التطور، وإن مباراة واحدة لا يمكن أن تعتبر بداية "ألعاب أولمبية" بصفة الجمع، منذ عام (776ق.م). وإنه ليس من الممكن التحدث عن "ألعاب" في وقت لم تتم فيه سوى مسابقة ركض على مسافة 200م في (أولمبي)، وذلك حين لم يكن فيها أي ملعب لذلك!

ونقدم فيما يلي الجدول الذي عرضه الباحثان (فينلي)، و (بليكيت):

نوع المباراة	سنة بدئها	المدينة المنظمة، أو مدينة المنتصر
سباق 200متر	776 ق.م	الإيليد
سباق 400متر	724 ق.م	الإيليد
سباق 4800متر	720 ق.م	إسبارطة (Spartc)[1]
المباراة الخماسية	708 ق.م	إسبارطة
المصارعة	708 ق.م	إسبارطة
الملاكمة	688 ق.م	سميرن (Smyrne)[2]
سباق مركبات	680 ق.م	طيبا
سباق خيل	648 ق.م	كرانّون (Crannon)[1]

١- Spartc: مدينة المنتصر حتماً، لأن إسبارطة لم تنظم الألعاب.

٢- Smyrne: من المستبعد أن تكون هذه المدينة، أو بطلها قد شارك في الألعاب.

نـــوع المبـــاراة	سنة بدئها	المدينـــة المنظمـــة، أو مدينـــة المنتصـــر
بـــــانكراس	648 ق.م	سـيراكوزا (Syracuse)[٢]
سـباق 200م فتيـان	632 ق.م	الإيليـــد
المصـارعة (فتيـان)	632 ق.م	إســـبارطة
الملاكمـة (فتيـان)	616 ق.م	ســـيباريس (Sybaris)
ســباق بالـدروع	520 ق.م	هيرايـــا (Heraia)[٣]

ومما يؤكد نقص المعلومات أن الجدول أعلاه اعتمد على التقاليد التي استفاد منها المؤلفان، للدلالة على بطء التطور.

ومما يلفت النظر أنهما ينتقلان بعد ذلك من عام (520ق.م)، نهاية الجدول أعلاه، إلى عام (396ق.م)، وبعد ذلك إلى عام (200ق.م)؛ مما يؤكد النقص الكبير في المعلومات أمام من يريد تقديم بحث جدي عن الموضوع.

ورد في الجدول أعلاه إقامة سباق مركبات في طيبة عام (680ق.م)، ونحن نعلم أن إدخال سباق مركبات يجرّها بغلان في عام (500ق.م)، وأن إلغاءها عام (444ق.م)، من شأنه التشكيك في عام (680ق.م) أعلاه. وبالطبع فإن مباراة وحيدة في أولمبي عام (776ق.م)، يوم لم يكن هناك ملعب، لا تشكّل ألعاباً أولمبية. ويضطرّنا ذلك التعمق في بحث تواريخ إعداد البنيات التحتية في (أولمبي)، وإقامة المنشآت المُكمِّلة لتنفيذ الألعاب.

7-11 (د) *البنيات التحتية لممارسة الألعاب، والمنشآت المكملة في أولمبي:*

اعتباراً من عام (776ق.م)، الذي تمَّ تبنيه لبدء الألعاب، وبعد مرور قرابة قرنين، لم تتوافر في (أولمبي) أي تجهيزات، لا للمتبارين ولا للمتفرجين. وكانت هناك فقط منطقة جميلة ذات أشجار، ومياه وصفناها آنفاً، واعتبرت مقدسة لأنها خصصت للإله (زيوس)، وزودت آنذاك بتحويطة تحدِّد حرمها. وضمن هذا الحرم كان يوجد هيكل بسيط مخصص (لبيلوبس)، وهو أحد المؤسسين الأسطوريين للألعاب. كما كان هناك هيكل (لزيوس) كانت تجري بقربه المباريات، فيما عدا سباق الخيل، الذي كان يتم في المنطقة التي أصبحت فيما بعد ميداناً لذلك السباق.

١- Crannon: من منطقة تيساليا، مدينة المنتصر.

٢- Syracuse: لم يكن يحق لها في عام (648ق.م) الاشتراك في المسابقات، انظر الفقرة "7-11(ج)".

٣- Heraia: في منطقة الأركاديا.

كان ذلك حال موقع أولمبي حتى عام (570ق.م)، وكان لا بدَّ من انتظار قرنين آخرين لكي تصبح الألعاب بعد ذلك هيللينية عامة (بانهيللينيك)، أي قرابة (370ق.م). تلك المعلومات التي أشار إليها المؤلفان (فينلي)، و (بليكيت) تثير دهشة كل باحث جدي أمام المغالاة، لاعتبار عام (776ق.م) بداية للألعاب الأولمبية، التي كان من حقنا أن نشكك فيها كما فعلنا آنفاً. راجع الصفحة "2-3" من الملحق الملون.

7-11 (د-1) متى بوشر بالبناء في أولمبي؟

إن أول بناء عرفته (أولمبي) هو معبد الإلهة (هيرا) قرينة (زيوس)، وكان ذلك أثناء منتصف القرن السادس، أي قرابة (550ق.م)، كما إن أول ملعب (ستاديوم) تمَّ إعداده إلى جوار المعبد وإلى الشرق منه. وتمَّ تزويده بسطح مائل بردم اصطناعي على أحد جوانبه لجلوس المتفرجين، تمَّ تجديده في منتصف القرن الخامس (أي قرابة 450ق.م)، وأخيراً تمَّ نقله في القرن الرابع نهائياً قرابة (100متر) نحو الشرق، وهو الملعب الذي نراه اليوم في موقع (أولمبي).

7-11 (د-2) هل ملعب عمريت هو ألأقدم؟

إذا ما اعتبرنا أن ملعب (أولمبي) تمَّ إعداده في أحسن الأحوال في بداية القرن الرابع، أي قرابة (390ق.م) وبمقدار فرق (60) سنة قبل الإسكندر وتحرك والده (فيليب) نحو بلاد اليونان قبله.

ومن جهتنا حين يتم تبني فكرة أن تجديد معبد عمريت الأخميني، قد تزامن بناؤه مع شق ملعب عمريت، معتبرين أن فينيقيي (عمريت)، و (أرواد) لم ينسوا إنشاء ملعب لهم، يوم كان يتم استخراج الصخر من حوض المعبد، من قبل العمال المحليين، ويمكن القول إن العمل في الملعب كان أسهل من العمل الذي نفذ في المعبد.

يعيدنا ذلك إلى بداية الحكم الأخميني على الساحل، ونحن نعلم أن الأخمينيين قاموا بتجديد معبد صيدا عام (525ق.م). ثمَّ في حال الافتراض أن تلك المرحلة عَرفت على الساحل إرضاءً للأهالي واحتراماً لآلهتم، ويمكننا تقديم زمن حكم (داريوس) الأول (521-486ق.م)، وهو الملقب يونانياً من قبل أعدائه "بالملك الكبير"، يمكننا اعتبار أن (داريوس) الأول ربما أمر بتجديد معبد (عمريت) بين عامي (510 و 490ق.م) يعني ذلك أن ملعب (عمريت) سبق ملعب (أولمبي) بنحو 100 سنة.

7-11 (د-3) فيما يخص تطابق قياسات الملعبين:

لا بدَّ هنا من التساؤل عن تفسير تطابق القياسات بين الملعبين، وهي كما يلي:

القياس	ملعب عمريت	ملعب أولمبي
الطول	225م	213.75م
العرض	30م	29.60م

يمكن تفسير الفروق البسيطة بسبب اختلاف وحدات الطول بين البلدين، أمَّا عن تسويغ تطابق القياسات، فليس أمامنا سوى فرضية ممكنة التصديق مفادها، أن فينيقيي (أرواد) الذين كانوا على علاقة مع فينيقيي (الإيليد)، و (طيبا) البيوسية، هم الذين نقلوا إلى (الإيليين) في موقع (أولمبي) قياسات ملعب (عمريت)، وتمَّ تقليدها على هذا الأساس.

المسافة في (أولمبي) بين خط الانطلاق، وخط الوصول كان مقدار ستمئة قدم، تعادل في (أولمبي) 192.24متراً. وهي المسافة التي تمَّ تبنيها اليوم لمئتي متر.

7-11 (د-4) الفرضية الثانية: ملعب عمريت متأخر عن المعبد:

وهذا الرأي هو المعتمد بكثرة في مديرية الآثار والمتاحف بدمشق، إذ يحدد الدكتور مقدسي تاريخاً للملعب (قرن رابع - ثالث ق.م)، أي بين عامي (399 و 201ق.م) مع تأكيده للمؤلف بعد محاضرته في متحف (اللوفر) في باريس بتاريخ (2007/12/7م) أن الملعب هو (هلنستي)، أي بداية القرن الثالث قبل الميلاد.

كما يتبنى (صليبي) التاريخ نفسه، بين القرنين (رابع - ثالث ق.م)، بدلالة اكتشاف آذان جرار روديسية، وسرج في الموقع.

أمَّا (محمد رئيف هيكل)، فلا يحدد تاريخاً للملعب، ويقارنه مع ملعب (إيليس)، ويقصد (أولمبي) على الأرجح مع فارق بسيط في الأبعاد، مضيفاً إلى أنه عثر فيه على جِرار مختومة روديسية، وأجزاء جِرار ضخمة عليها صلبان، وعلى سرُج مختلفة. تلك هي المعلومات التي توافرت لدينا بواسطة ما صلنا عنهم.

أمَّا الباحث الرياضي الدكتور (لبيب بطرس)، فهو تبنى بالتناسب مع حماسه لموضوع الرياضة القرن الخامس عشر ق.م، بالنسبة للمدينة، وتزامن الملعب مع وجودها.

ثمَّ في عودة إلى كون ملعب (عمريت) هلنستياً، أثناء الحكم السلوقي، يمكن الاعتبار أن التأثير الهلنستي في الساحل السوري، كان قد بدأ في المرحلة الأولى من القرن الثالث ق.م، واستمر عبر حكم أنطيوخوس الثاني (كالينتوس) (260-246ق.م). وكانت آنذاك قوة السلوقيين في كل من (أنطاكية) على العاصي،

و (سلوقيا) على دجلة، و (لأويديسا) أي اللاذقية، و (أفاميا) تعتمد على المنطقة السورية، وإلى تلك الحقبة يمكن هلنستياً إرجاع تأسيس (ملعب عمريت)، إذا ما تبنينا المرحلة السلوقية الهلنستية لإقامته. يمكن إذاً على هذا الأساس إرجاع ملعب عمريت إلى منتصف القرن الثالث ق.م.

يتضح هنا أمام المدافعين عن تزامن ملعب (عمريت) مع تجديد معبدها الأخميني، مما يعني إعادته إلى قرابة (490ق.م) الفقرة "7-11(د-2)" أعلاه. وإن هناك ضرورة للاهتمام الجدي والدقيق لموضوع تحديد تاريخ أقرب لحقيقة إعداد ملعب (عمريت) بشكل أدق من تعبير (قرن رابع، ثالث ق.م)، واستعمال الطرائق الحديثة والأحدث التي تلجأ إليها العلوم الأركولوجية للتوصل إلى ذلك.

مع التذكير بأن باحثين جديين، وموضوعيين ومنهم (فينلي)، حددوا لملعب (أولمبي) بداية القرن الرابع ق.م، أي قرابة (390ق.م) وفق أفضل الحالات، أي قبل الإسكندر.

وسوف نحاول عبر الفصل التاسع من هذا البحث، القيام بدراسة أدق (لأرواد)، ولمدينة (عمريت)، مشيرين إلى مراحل وجودها وتبعيتها (لأرواد)، أو استقلالها عنها، من دون إغفال العودة إلى موضوع الملعب إذا ما اقتضى الأمر ذلك.

7-12- ما تبناه الباحث الرياضي الدكتور لبيب بطرس عن أولوية الفينيقيين في نشر الألعاب الأولمبية في اليونان:

حفاظاً على ذكرى الدكتور (لبيب بطرس)، الذي فارقنا بعد نشر كتابه عام (1997م) في بيروت، فيما يخص موضوع: نشوء الآلهة - أبطال الرياضة في الميثولوجيا الفينيقية، واعتمادها في بلاد الإغريق.

ينطلق الدكتور لبيب بطرس من ستاديوم مدينة عمريت الواقع قرب معبد تتوافر له المياه طبيعياً، والإله المعبود (ملكارت) إله بطولة وشفاء.

1- يؤكد الباحث، بالاعتماد على آراء الجغرافي البريطاني ريتشارد بوكوك (Richard Bokocke)، الذي زار الموقع عام (1745م)، والعالم الفرنسي إرنست رينان (Ernest Renan)، في عام (1860م)، أن الملعب الذي كشفت عنه حفريات عمريت، مقابل جزيرة (أرواد) عاصمة المملكة الفينيقية القديمة، أنه ملعب فينيقي بالتأكيد، وكان ذلك كما يوضح (لبيب بطرس) قبل التعرف من قبل المنقبين على ستاديوم موقع (أولمبيا).

على اعتبار أن الحفريات الأثرية في موقع (أولمبيا)، لم تبدأ إلا عام (1875م)، وأن ستاديوم (أولمبيا)، المشار إليه لم تُعرف أبعاده إلا عبر حفريات (1937م)، وقد أشار إلى ذلك الباحث إيميل كونز (Emil Kunze) في عام (1967م). لذا فإن ستاديوم عمريت بقي منسياً، ومجهول الارتباط بموضوع الرياضة، وإن أهالي المنطقة اعتبروه مقلعاً للحجر الرملي، الذي تعددت مقالعه على الساحل، لاستخراج أحجار البناء.

2- عن قِدم تاريخ عمريت والستاديوم التابع لها، فيشير (لبيب بطرس) إلى أن معظم النصوص القديمة التي تتضمن وصف المدن الفينيقية، لا تزال مفقودة، وأن نصاً فرعونياً عن حملة تحتمس الثالث (1504-1450ق.م)، أشار إلى موقع (قرت - مرت)، أو (قرت - أمروتا) إلى الشمال من الساحل الفينيقي، وتنطبق هذه التسمية مع أمروت، وأمورو (Amuru)[1]، التي وردت في نصوص الأسرة الثانية عشرة الفرعونية قرابة (1786-1991ق.م)، وهذا كتبه أيضاً الباحث ويليام وارد (William Ward).

3- والجدير بالذكر أن الباحث (أرنست رونان)، لاحظ في تقريره عن زيارته للموقع عام (1745م)، أن عمريت حافظت على طبيعتها الفينيقية، ولم يعثر فيها على أي نص يوناني، أو لاتيني روماني، واستنتج من ذلك أن عمريت لم تتم أعادة بنائها في حقبة الإمبراطورية المكدونية للإسكندر، وبقيت على وضعها الفينيقي ما قبل الفتح.

4- أمَّا (موريس دونان)، و (نسيب صليبي) اللذان أنجزا حفريات نظامية في تل عمريت، اعتباراً من عام (1954م)، فقد عثرا قُرب المعبد على كسر فخارية، وأثاث جنائزي يعود إلى النصف الأول، من حقبة البرونز الوسطى (2100-1900ق.م)، وإلى النصف الثاني من الحقبة نفسها (1750-1900ق.م). واستنتجا من ذلك أن عمريت عرفت سكانها الفينيقيين (أي الأموريين)، منذ نهاية الألف الثالث ق.م، قرابة عام (2100ق.م).

5- بعد الفتح الإسكندري، أطلقت على عمريت تسمية (ماراتوس) (Marathos)، وسميت جزيرة أرادوس (Arados)، وهنا يقارب الدكتور

١- Amuru: بمعنى الغرب، وهي التسمية التي عُرف بها ساحل ما سمي ببلاد (أمورو).

(لبيب بطرس) بين تسمية ماراتوس الفينيقية، وَ ماراتون (Marathon)[1] الموقع اليوناني المعروف. ويعتبر أن التسمية اليونانية تمَّ تبنيها تيمناً بـ (ماراتوس/عمريت). واعتمد إثباتاً لهذا الرأي على ما كتبه (دانكر) (Dunker)، موضحاً أن "تسمية (ماراتون) تعادل تسمية (ماراتوس)، أي (عمريت) في (كريت)، و (ماراتوس) الواقعة على الشاطئ الفينيقي قرب أرادوس (Aradus)، كما إن ساقية نبعها في (ماراتون) سميت (ماكاريا) (Macaria)، تكريماً لهيراكلس. يعني ذلك أنها تحمل اسم (ملكارت)، الذي حوّله اليونانيون فيما بعد إلى (ميليسيرت) (Melicertes)، و (ماكار)".

يلتقي رأي (دونكر) هذا مع ما كتبه براون (Brown) عن الموضوع نفسه، أمَّا باندار (Pindare) (518-438ق.م)، وهو الشاعر المولود في (بيوسيا)، حيث (طيبا) مدينة قدموس هي العاصمة، فقد كتب أنه في: (ماراتوس) (هيراكلس) تنظم ألعاباً على شرف (هيراكلس - ملكارت)، وكانت جائزة المنتصر فيها كأساً فضية، وجرت تلك الألعاب أثناء القرن الخامس ق.م.

6- يعتبر لبيب بطرس، أن عمريت كانت مزدهرة عبر الحقب القديمة، وكانت مسرحاً لاحتفالات يطلقها المعبد، حيث تبدأ الطقوس بممارسات رياضية، تكريماً للإله (بعل)، ووجود (ستاديوم) بجوار المعبد ذي المياه المتوافرة، والمخصص للإله (ملكارت)، الذي رأى فيه اليونانيون تماثلاً مع (هيراكلس)، هو دلالة على أن الاحتفالات الدينية في فينيقيا، كانت تشتمل على مباريات رياضية تكريماً للآلهة.

7- يعتبر لبيب بطرس مستنتجاً، بما أن الألعاب الأولمبية التي كان يمارسها اليونانيون، كانت ترافقها طقوس دينية. فهذا يعني "على ما يبدو" (؟) كما يقول لبيب بطرس، إن الألعاب الأولمبية في اليونان، أوحت بها الألعاب الفينيقية.

8- كما يضيف بأن أبعاد ستاديوم عمريت، تنطبق على أبعاد ستاديوم موقع (أولمبي). ففي عمريت يبلغ الطول 220 متراً والعرض 30 متراً، بينما يبلغ طول ملعب (أولمبي) 213.75 متراً وعرضه 29.60 متراً. أمَّا أماكن المتفرجين في أولمبي فهي عبارة عن سطحين ترابيين مائلين يحيطان بالملعب من جهتيه وعلى طوله، ونظراً لطبيعة الأرض في عمريت التي هي صخرية رملية، فإن الملعب العمريتي يحيط به مدرجان بعشر درجات من كل جهة، وبارتفاع 60 سم حُفرا في الصخر الرملي في كامل الجهة الشمالية، بينما استكملت الجهة الجنوبية بأحجار مثبتة في الأماكن التي لم يتوافر فيها الصخر الرملي.

١- Marathon: موقع في منطقة الآتيك حيث تقوم العاصمة (أثينا)، وفيه تمَّ انتصار اليونانيين على جيش (داريوس) الفارسي، التي عُرفت بمعركة (ماراتون)، وكان ذلك على أراضي ماراتون المستنقعية في بداية القرن الخامس ق.م، عام (490ق.م).

ويلتقي المدرجان في الشرق فيما بينهما على شكل قوس لتشكيل مدخله. كان يتسع الملعب لقرابة (11200 متفرج)، بمعدل 40 سم لكل شخص، وفي الجهة الجنوبية والشرقية من الملعب توجد بقايا أبنية تابعة للمعبد، قد تكون بلا شك الأماكن المعدة لتدريب الرياضيين. واللعبتان الأشهر هما (الجيمبازيوم)، و (الباللیسترا)، وفق التسميات اليونانية، التي عرفتها الألعاب الأولمبية فيما بعد.

9- يخالف لبيب بطرس دراسة (دونان) عام (1954م)، حين اعتبر أن أول استعمال لمعلب عمريت، تمَّ للمرة الأولى أثناء القرن الثاني الميلادي (؟)، أي في الحقبة الرومانية (حفريات (1954م) ص 204).

ويضيف بطرس أن ألعاب (عمريت) تضمنت كذلك مسابقات بحرية، على اعتبار أن (رونان) عام (1860م)، تعرف على بعد 700م من ستاديوم (عمريت)، على موقع ملائم لذلك (سباحة، وتجديف)، وأطلقت البعثة الفرنسية على تلك المنطقة تسمية سيريكيو (Cirque)، وهي عبارة عن (ميدان) رملي تحيط به أكمات من الرمل تغطي منشآت قديمة. ويقول بطرس إنه لدى زيارته المنطقة في عام (1971م)، شاهد شاحنات تنقل رمال الموقع الذي استعمل كمصدر رملي، ويأسف لأنه لم يتمكن من إجراء أي شيء لمنع ذلك.

10- أمَّا معبد (عمريت)، فيعتبر العالم جورج كونتينو (Conteneau) في كتابه عن الحضارة الفينيقية (ص 141)، أنه يعود إلى القرن الخامس عشر ق.م، وهو مشابه لمعبد (جبيل) الذي يعود إلى الألف الثالث ق.م، ويعيد (جورج كونتينو) بناء معبد (عمريت) إلى القرن الثامن ق.م، ويعيده (دونان) إلى القرن السابع. وبما أن المدينة كما عَرض آنفاً (لبيب بطرس) تعود إلى القرن الخامس عشر ق.م، فيستنتج أن المعبد في شكله الأخير لا بدَّ أن يكون قد بني مع المدينة، أي أنه هو أيضاً يعود إلى القرن الخامس عشر[1]، وهذا خطأ.

11- في عام (1881م)، اكتشف الباحث كلومول - غانو (Clumol - Ganneau) أثناء مهمته في فينيقيا، وفلسطين (نصباً في عمريت) يمثل الإله بعل الكنعاني، الذي قورن لباسه مع بعل فينيقيا الشمالية، والذي تشبه وضعيته ما عرف به بعل الأوغاريتي منذ القرن السابع عشر ق.م. ووجد على نصب بعل في عمريت كتابة فينيقية مؤلفة من سطرين، لم تُمكن من قراءة اسم الإله. واعتبر دوسّو (Dussaud) أن نصب عمريت يمثل الإله ملكارت، وهو الإله الذي يرفع (هراوة) بيده اليمنى، وتضغط يده اليسرى على شبل أسد. أمَّا دونان فقد اعتبر أن هذا التمثيل لملكارت يعود إلى

١- ولكن (دونان/ صليبي) يُشيران إلى أن المعبد الحالي، يعود إلى الحقبة الأخمينية. وقد بُني فوق معبد أقدم منه، كما جرت العادة من قبل الأخمينيين، باحترام الأماكن المقدسة للبلاد التي يحتلونها.

القرن الرابع ق.م، ويعيدها موسكاتي (Moscati) إلى القرن التاسع. أمَّا (كلود شيفر) الذي بدأ حفريات أوغاريت منذ بدايتها عام (1929م) وحتى عام (1974م)، وهو مكتشف نصب بعل ذي الصاعقة، فهو يعيده إلى القرن الرابع عشر ق.م.

وأمام هذا التباين في تحديد تاريخ نصب بعل العمريتي، يستنتج (لبيب بطرس) أن مدينة عمريت القديمة شملت احتفالات دينية، أدى فيها معبدها دوراً مهماً في تنفيذ الطقوس اللازمة، ويستنتج بسرعة قوله: "هكذا العلاقة بين ممارسة العبادة والرياضة" الذي كان معمولاً بها في الألعاب الأولمبية، والإيستمية (isthmiques)، والبيبتية (pythiques) في (ديلف)، والنيمية نسبة إلى نيمي (Nemee) كانت موجودة في فينيقيا قبل اليونان (؟)، وإن الألعاب الأولمبية يبدو أنها استوحت من الألعاب الفينيقية.

12- يعتبر الدكتور (لبيب بطرس)، أن بناء وعمران المدن القديمة، كان يتم بالتزامن مع بناء المعبد، وهذا صحيح. وقد تبنى مدينة ما حول معبد فرض نفسه، ولا سيما إذا ما كان الموقع يتميز بوجود مياه شافية، وإله شفاء كما في عمريت. ويتابع (لبيب بطرس) محاكمته بإعطاء مثال هو معبد ملكارت صور، الذي أقيم بالتزامن مع المدينة، منذ عام (2750ق.م). مما يسمح له بإعادة بناء معبد عمريت إلى القرن الخامس عشر ق.م، وهنا يُقدم لنا الحجة التالية: إذ ما أخذنا بالحسبان العلاقة التي كانت تقوم دوماً بين المعبد والرياضة بسبب المسابقات الرياضية التي كانت تقام تكريماً للإله بعل، وإلا كيف يفسر وجود الملعب بجوار المعبد؟ ولذا فإن ملعب عمريت يعود إلى حقبة بناء المدينة، أي إلى القرن الخامس عشر ق.م[1](؟).

تعليقنا: من الصعب القول إن المعبد في شكله الأخير، كما حاول دونان وصليبي تجميع أجزائه المبعثرة، والتوصل إلى الشكل المعروض في نتائج الحفريات المنتهية عام (1974م). ومن المحتمل أن مرحلة سابقة عرفها بناء المعبد، هي التي رافقت بناء المدينة في القرن الخامس عشر ق.م. أمَّا الملعب الذي يعتبره الدكتور لبيب بطرس معاصراً لبناء المدينة، فليس لدينا أي دليل على تلك المعاصرة، مع أن المحاضر الأستاذ ميشيل مقدسي يؤكد أثناء محاضرته في متحف اللوفر في باريس، بتاريخ (2007/12/7م) أن الملعب هلنستي الانتماء، وهنا

١- من الصعب التحقق من نصب بعل في عمريت بالاستناد إلى كل هذه الاستنتاجات، مما يتطلب تحقيقاً إضافياً.

أيضاً لا إثبات على ذلك. وسوف نتابع في الفصل التاسع مناقشة تلك الموضوعات، ونحاول متابعة التطورات التاريخية للمعبد والمدينة.

13- لم يعثر في عمريت على أي أثر عمراني يوناني هيللينـي، أو روماني ولا سيما فيما يتعلق بالمعبد، وبملعب المدينة. والذي تمَّ حفره بشكل بدئي في صخر المنطقة، كما إن مدخل الملعب بالنسبة للرياضيين لم يتم بناؤه على شكل قوس، كما هو الحال في مدخل الرياضيين في ملعب (أولمبي)، الذي أعيد تاريخه حسب ما أشار إليه الباحث الألماني كونز (Kunze)، إلى القرن الثاني قبل الميلاد.

14- ورد في إلياذة هوميروس أن احتفالات جنائزية رافقت وفاة البطل باتروكل (Patrocle)، صديق (أخيليوس)، تضمنت منافسات رياضية. وكانت الجائزة آنذاك كأساً فضية مصنوعة في صيدون (الإلياذة XXIII الأسطر 740-751). ومنذ حرب طروادة، وقبل بدء الألعاب الأولمبية في اليونان على أقل تقدير لدى تأليف الإلياذة في القرن (الثامن - السابع ق.م)، يمكن القول إن فينيقيا كانت متآلفة مع الألعاب، ومع كؤوس المكافآت للفائزين، مما لا يستبعد أن تكون فينيقيا في عمريت، وغيرها من المدن الرئيسة قد مارست المنافسات الرياضية، التي أطلقها الأموريون على الساحل، بعد أن كانت هناك بدايات كان مطلقها (مارتو) الأموري، صاحب الأسطورة الجميلة التي أشرنا إليها آنفاً (انظر "(1-3)ب").

15- ملكارت إله بطولة، كما هو إله شفاء، وتكريماً لملكارت كانت تقام في عمريت منافسات رياضية تسوغ وجود الملعب إلى جانب المعبد، وهذا ما يراه الباحث لبيب بطرس. وإننا لا نرى ضرورة لربط اسم ملكارت بهيراكلس، الذي باسمه نظمت الألعاب الأولمبية فيما بعد. وليس مهماً أن يعتبر اليونانيون أن الإله ملكارت يماثل هيراكلس اليوناني.

تعليق أخير:

نشر الدكتور (لبيب بطرس) الاختصاصي بشؤون الرياضة كتابه على نفقته الخاصة، وضمّنه معلومات ضخمة عن الرياضة، تغطي الحقب الفينيقية وتأثيرها في بلاد اليونان، والحقبة اليونانية والفارسية والهلنستية والرومانية.

إن هذا العمل تطلب منه جمع معلومات عن المراحل التي أشرنا إليها كافة، وهو جهد كبير لا بدَّ من شكره على توثيقه. مع الملاحظة أنه من الصعب في سوق الاستنتاجات التاريخية، والمزج بما هو قبل اليونان والمرحلة الكلاسيكية، ثم الهلنستية، وبعدها الرومانية، مع الإشارة إلى أن هذه الاستنتاجات اعتمدت على حدس المؤلف، أكثر من اعتمادها على تسلسل المراحل التاريخية، وتداخل علاقاتها، والتفاعل فيما بينها. مما يوحي ببعض التسرع من قبل المؤلف بتأكيد قناعته الخاصة، وعرضها بحيث ينقصها البناء المؤدي لتلك القناعة. وفي كل

الأحوال، فإن له الفضل، فهو أول من أثار هذا الموضوع عن الفينيقيين، وأثرهم في نشوء الألعاب الأولمبية. وهو مشكور على إطلاقه البحث في هذا الموضوع الذي أدى بالنتيجة إلى الاهتمام بمعبد عمريت، وبالملعب في عمريت، وكان أحد أسباب الدراسة التاريخية التي نطلقها عن الموضوع المثار من قبل (لبيب بطرس)، مع تكرار شكره وتقدير جهده، وشكر المهتمين بعمريت وملعبها الذين ستكون لهم حصة مسوغة في إهداء هذا الكتاب.

العالم الفينيقي
والمعادن كسلعة تجارية

8-1- تقديم العالم الفينيقي من قبل شاعر قديم وشاعر معاصر:

في هذا البحث عن العالم الفينيقي افتتح المؤلفون الثلاثة[1] كتابهم باستعارة جملة كتبها الشاعر اليوناني باندار (Pindare) (518-438ق.م)، وهي: "أوجَّهُ إليك هذا النشيد عبر البحر الرمادي كأنه سلعة فينيقية".

كما يستعيرون نصاً آخر، عن الشاعر الفرنسي بول فاليري (Paul Valery)، يتحدث عن: "هذا الفينيقي الشجاع الذي لم يتوقف عن معالجة مشكلات الإبحار في أعماق روحه ودونما فاصل كأن في نفسه يتحرك المحيط".

8-1 (أ) *التوصل إلى معرفة علمية*:

عبر عرض موضوع كتابهم، يوضح المؤلفون: إن الفينيقيين يمكن عدّهم موجهين للتأثيرات بين الشرق وجزيرة (كريت)، و (ميسين) والغرب. ومن الصعب تحديد مكانتهم في شبه الجزيرة اليونانية بالنسبة لليونانيين أنفسهم. ومع أن كل تأثير فينيقي لم يكن يعني حضوراً دائماً، إلا أننا نجد أن بعض الباحثين مثل بيرارد (V. Berard) دافع في عام (1894م) عن وجهة نظر سعت لإبراز العناصر الشرقية، أي الفينيقية في بعض طقوس منطقة الـ (أركاديا) من الـ (البيلوبونيز) (Peleponese)، والتي نجدها في الشمال من منطقة (أكايي)، وَ الأرغوليد (Argolide) في الشرق، وتلك المنطقة لم تتأثر بسبب الهجرة الدورية (Dorienne)، التي عرفتها البلاد، وكانت تجمعات قراها تُمثل وحدات مستقلة، ولم تُشكل مملكة أركادية. كما كانت تلك المنطقة تمارس تربية الحيوانات، وزراعة الحبوب في الوديان الخصبة، كما مارست الصيد بكثافة. في الأعوام الخمسين والستين الأخيرة، عَرفت الحفريات الأثرية في عدة مناطق رواجاً في كل من كيتيون (Kition) في قبرص، و (Mogador) في المغرب، وَ مويتي (Moyté) في صقليا، وجبل سيراي (Sirai) في سردينيا، وكذلك في توسكانوس (Toscanos) في

١- المؤلفون الثلاثة لكتاب العالم الفينيقي "هم (غراس)، و (رويّار)، و (تيكسيدور)" تحت عنوان: (L'Univers Phenicien) الصادر عن دار نشر (Arthaud) لعام (1978م).

الأندلس، وجميعها قدمت معلومات ذات أهمية عن استقرار الفينيقيين في تلك المناطق.

كما إن الحفريات في الأندلس سمحت للمرة الأولى باكتشاف عدد متزايد من المراكز الفينيقية المعروفة. والجدير بالذكر أن اكتشافات السنوات الأخيرة أكدت وجود "منطقة فينيقية" مشابهة لما عرفه (لبنان) و (سردينيا). كما إن فريقاً ألمانياً تمكن في عام (1987م) من تقديم عدد من الملاحظات فيما يخص المساكن الأولى في قرطاجة، كما في صور.

وبالتوازي عمدت التحقيقات الإيطالية إلى دراسة ما يتعلق بما سمي توفت (Tophet) في كل من موتيي (Motyé) وتارّوس (Tharros)، بقصد تفهم أعمق لما تمَّ تقديمه من ضمن الحفريات الفرنسية في قرطاجة بهذا الخصوص.

أمَّا بالنسبة لبدايات المساكن الفينيقية وتطورها، فإن الحفريات لم تقدم لنا حتى اليوم إلا معلومات مشتتة قليلة، وكان الفضل فيها للبحوث الألمانية والأسبانية في الأندلس. ولا يزال النقص في المعلومات قائماً في معرفة تسلسل طبقات التمركز عبر الزمن في المواقع التي تعنينا. وحتى اليوم بقيت المعلومات الفينيقية مقتصرة على تجميع القطع المختلفة المكتشفة، ومحاولة تصنيفها. وهناك دراسات إيطالية متقدمة نوعاً ما عن الحلي الفينيقية والنصب، وكذلك الخزفيات. ومع الأسف فإن معظم تلك الدراسات تقتصر على المكتشفات القرطاجية.

أمَّا النقوش المكتوبة، والتي تفيد تلك المرحلة، فلم تكن تتعدى كتابات مقتضبة، أو مؤلفة من عدة أحرف في معظم الأحيان، وذلك على كسر من الأواني الخزفية. ولا بدَّ من الإشارة إلى أن النقش الكتابي المكتشف في موقع نورا (Nora) في (سردينيا)، والمعروف منذ (1774م)، قد نوقش كثيراً من قبل العلماء الغربيين، وقُرِّر ألا تؤخذ بالحسبان سوى الأواني الحاملة للكتابة التي نفذت محلياً، وليس الأواني المماثلة المستوردة، والحاملة للكتابة نفسها. وبذلك وعبر الزمن، وبتقويم المكتشفات، يمكن إعداد جدول تاريخي (كرونولوجي) لتواجد الفينيقيين في المناطق المتوسطية، ومعرفة ما قدموه لتلك المناطق.

أمَّا بالنسبة للآنية الخزفية الفينيقية، فإنها لا تمثل في تطور واختلاف نماذجها مراحل تاريخية محددة. كما عرفت ذلك الآنية اليونانية، نظراً لنقص المصادر الأخرى، لذلك لا يمكن الاعتماد عليها في إعداد الجدول الزمني المشار إليه. وبصورة عامة، فإن الأواني اليونانية التي يعثر عليها في المواقع الغربية إلى جانب آنية فينيقية محلية، تفيد كثيراً في تحديد تاريخ الوجود الفينيقي في المنطقة. وبدلالة كل ما أشير إليه أعلاه فإن "معرفةً" تخص الفينيقيين قيد الإعداد، وسوف تمكّن من تقديم مراحل أدق للتاريخ الفينيقي. ومن الممكن كما يعتبر اختصاصيو اليوم تشكيل مثل هذه الجداول بين القرنين الحادي عشر والسادس قبل الميلاد، وذلك بصرف النظر عن المعلومات القرطاجية.

8-1 (ب) عن الهوية الفينيقية:

يمكن القول إن سكان الساحل الشرقي المتوسطي، ولا سيما في وسطه وجنوبه، كان أكثرهم منذ الألف الثالث من الكنعانيين، وهم الذين أطلق عليهم اليونانيون فيما بعد تسمية الفينيقيين.

كان غنى السهول على الساحل الكنعاني حافزاً كبيراً للإنتاج الزراعي، والتصدير بحراً نحو الشمال، ولدينا أمثلة عن تجارة بحرية أوغاريتية مع المملكة الحثية منذ القرن الرابع عشر ق.م، وطلب تصدير حبوب إلى المملكة الحثية تحاشياً لمجاعة في تلك المنطقة.

وكانت سمعة الساحل الكنعاني، بالنسبة لغناه بالأسماك، كما ذكرت ذلك النصوص المصرية عن مدينة صور:

"المدينة أكثر غنى بالأسماك منها بالرمال".

كما إن تقريراً مصرياً آخر يشير إلى إرسالية إلى مصر مؤلفة من 35 سلة من الأسماك. ولا بدَّ من التذكير بأن مملكة صور كانت تمتلك أسطولاً بحرياً كبيراً، وهي من المختصين بفن تجفيف الأسماك وحفظها.

ومنذ الثلث الأول للألف الثالث ق.م، عرفت مصر تحت حكم (سنفرو)، أول ملوك الأسرة الرابعة قرابة (2700ق.م)، وصول أربعين سفينة كنعانية محملة بأخشاب الصنوبر. واعتبر ذلك حدثاً فريداً استوجب تسجيله في المحفوظات الفرعونية. وتلك العلاقة التجارية مع جيبالا (جبيل) أكدتها المكتشفات الأثرية في كل من (مصر) و (جبيل).

وبالإضافة إلى جبيل، كانت كل من مدن: أرواد، وبيريت (بيروت)، وَ صيدون، وَ صور، وَ عكا، تُشكِّل مراكز عمرانية مهمة زراعياً وتجارياً.

كما يمكن القول إنه عبر الألف الثاني قبل الميلاد وحتى غزوات "شعوب البحر"، كانت المدن الساحلية الكنعانية على علاقات تجارية مع كل من منطقة الفرات (ماري)، ومصر، وجزيرة كريت. وقد قدم هذا البحث بعض التفاصيل التي تثبت أهمية علاقة الساحل الكنعاني مع جزيرة (كريت)، والتي تمثل بوابة العالم الإيجي بالنسبة لذلك الساحل. وشمل هذا العرض الفصل الخامس.

إذاً قرابة (1200ق.م)، أدت غزوات شعوب البحر إلى زوال الممالك الساحلية، فعرفت (أوغاريت)، و (سيميرا)، و (تل كزل) هذا المصير. وجبيل، وصور هُجرتا جزئياً. وبعد ذلك بزمن قصير، فإن بعض التجمعات السكانية الساحلية، تمكنت من النهوض، وبرزت أسماء (أرواد)، و (سيميرا)، و (جبيل)،

و (بيريت)، و (صيدون)، و (صاريفتا)، و (صور)، وأصبحت جميعها مألوفة في الحوليات والمحفوظات الآشورية، وكذلك في النصوص الفرعونية.

وبالإضافة إلى وضوح الوثائق الآشورية، والمصرية فإن المؤرخ اللاتيني جوستان (Justin)، الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، يشير في مؤلفه "ملخصات تاريخية" (XVIII,3.5)، إلى نهوض المدن الفينيقية بعد غزوات شعوب البحر، و (صور) بشكل خاص. ويقول إن الفينيقيين، وهم أهل صيدون من دون شك، بعد أن تمَّ احتلالهم من قبل الملوك العسقلانيين، أي الفلسطينيين. أبحروا نحو صور، وأسسوا المدينة قبل سنة واحدة من سقوط طروادة، ونحن نعرف اليوم التاريخ التقريبي لهذا الحدث أي (1200-1180ق.م).

أمَّا الجغرافي سترابون (Strabon)، الذي عاش بين (63ق.م و 25م)، فقد أشار في كتابه (XVI) المخصص لبلاد الرافدين وفلسطين وبلاد العرب، إلى أن مدينة أرواد[1]، تمَّ تأسيسها وفق "التقاليد" في زمنه من قبل المهاجرين من صيدون (XVI,2.3). وإن العملات الصادرة عن (صور)، و (صيدون) تؤكد على ما يظهر خلافات بين البلدين، عن (صيدون هي أم صور)، أو (صور أم صيدون). فقد أثبتت نصوص اللعنات المصرية، التي قصد إدخال الرعب إلى قلوب الأعداء بواسطة "السحر"، وإبعاد شرورهم. وهي تعود إلى القرنين التاسع عشر والثامن عشر ق.م. وقد تضمن كتاب "فلسطين والتاريخ القديم الحقيقي"، فصلاً خاصاً يتعلق بممالك وإمارات الساحل الكنعاني، مما يثبت نموها وارتيادها البحر منذ ذلك التاريخ.

1-8 (ج) *ما ذكره عن فينيقيا والفينيقيين كتّاب ومؤرخو اليونان القدماء*:

(هيرودوت)، و (سترابون)، و (بلين)، و (جوستان)، الذين عاشوا بين بداية القرن الخامس (480ق.م)، والقرن الثاني الميلادي، كتبوا عن الفينيقيين مكررين المعلومات التي حصلوا عليها، ومشيرين إلى وطنهم الأصلي، وذلك لا أهمية له في هذا البحث.

أمَّا (هيرودوت) فقد علم عبر زيارته (لصور)، عام (450ق.م)، أن تأسيس المدينة مضى عليه 2300 سنة (II,44)، وهذا يعني أن المدينة تأسست عام (2750ق.م)، من قبل من أتوا من (إرتيريا) على البحر الأحمر.

١- من الصعب تصور مدينة في (أرواد)، لا تعتمد على الشاطئ المقابل، في كل ما ينقصها في مجال تسهيل حياتها اليومية، إذ كانت تتوافر في عمريت مياه كافية، ولا تنقصها الأراضي الخصبة المجاورة لها. كما إن اعتماد (سترابون) على التقاليد، هل يعني أنه لم يقم بزيارة محلية إلى المنطقة؟

وإذا ما اعتبرنا نص (هيرودوت)، فذلك يشير إلى أن هجرة حدثت عبر العصر البرونزي القديم، في زمن ممالك المدن المحصنة في ما بين النهرين، وسورية، والساحل المتوسطي وذلك عام (2200ق.م)، حيث عرفت مدن الساحل تدميراً، واضطرابات ظهرت معالمها في طبقات (تل رأس شمرا أوغاريت).

8-1 (ر) *تل رأس شمرا وحملة الأطواق*:

تل رأس شمرا: هو التل الوحيد الذي يحمل عبر طبقاته، التي تراكمت على مر الزمن حتى ارتفاع 17م، يحمل تاريخ الساحل بأكمله[1]، منذ العصر النيونيتي (7000-6500ق.م)، وحتى زوال المملكة على يد شعوب البحر عام (1185ق.م).

حين تأكدت أهمية تل (رأس شمرا - أوغاريت)، وبدأ اكتشاف معالم المدينة العلوية في قصورها، ومعبديها، وأحيائها، ومكتباتها، ومرفئها. عند ذلك نفذت البعثة الأثرية، سبراً وصل إلى قاعدة التل، وكشف عن مختلف طبقاته، وعن محتوياتها الجزئية، وتواريخها. وهكذا ارتسمت أمام الباحثين صورة كاملة عن تل (رأس شمرا)، ومن بين طبقات التل عَثرت البعثة الأثرية برئاسة (كلود شيفر) على طبقة تدل على دمار المدينة، التي سبقتها، وقد خلت تلك الطبقة من المعالم الحضارية، مما يدل على هجر التل في مدّة زمنية بدأت قرابة (2200ق.م)، حين وصلت إلى الساحل هجرة أمورية، عرفتها بلاد الرافدين، وكان (حمورابي) من أبنائها.

استقر الأموريون على الساحل المتوسطي، في (رأس شمرا، وعمريت، وسيميرا)، و (تل كزل) كما تابعوا توزعهم على الساحل اللبناني - الفلسطيني. عرف تل رأس شمرا آنذاك إشغاله من قبل المهاجرين الجدد، ودلت الآثار في الطبقة التي سبقت (أوغاريت)، على أن سكان المدينة الأقدم، قد برعوا في فن التعدين الذي نقلوه إلى العديد من المناطق، وعلّموه للسكان المحليين، وذلك حين كانت سفنهم ترتاد تلك المناطق تفتيشاً عن فلزات المعادن، وعوضاً عن نقل خامات المعدن إلى بلدهم، كانوا يستخرجونه محلياً، ويعودون بسبائكه إلى بلدهم، وقد لقبهم العالم (كلود شيفر) "بحملة الأطواق"، على اعتبار أنهم هم الذين نشروا استعمال الأطواق، التي كان يعثر عليها من ضمن الأثاث الجنائزي، في القبور العائدة لتلك الحقب التاريخية (1700-1500ق.م)، والأطواق هي عبارة عن حلقات مفتوحة من البرونز، كانت تزين رقاب من يحملونها، وينتهي طرفاها عادة بكتلتين كرويتين تزيينيتين.

قدم (كلود شيفر) مكتشفاته عن الأطواق في أوغاريت، وما عَثر عليه من أطواق في قبور مناطق المتوسط، وما وصل منها إلى أعماق أوروبا الجنوبية والشرقية، مخصصاً لذلك أحد كتب مجموعته، التي أطلق عليها تسمية أوغاريتيكا

١- تل (رأس شمرا): هو الوحيد الذي مكّن من ذلك على اعتبار أن العواصم الكنعانية الأخرى على الساحل، بنيت مدنها فوق المدن التي سبقتها، ولم يكن بالإمكان التعرف على مراحل إشغال الموقع.

(Ugaritica)، والمؤلفة من عدة أجزاء، والجزء الثاني لعام (1955م)، هو الذي تضمن دراسة وافية عن (حملة الأطواق)، انطلاقاً من أوغاريت.

رسم طوق برونزي

الأطواق: ويعتبرها قاموس لاروس غاليّة سلتية، مما يدعم انتشارها الأوروبي.

ولا يمنع أن يتم الانطلاق من مدن فينيقية أخرى، لم يكن بالإمكان إجراء حفريات كاملة فيها، كما في تل (رأس شمرا) المنفتح للتعريف بجميع مراحل إشغاله، وذلك كما أسلفنا بسبب قيام المدن الحديثة فوق المدن السابقة.

والغريب في ذلك أننا لم نعثر بعد (كلود شيفر) على باحث آخر، يؤكد أو ينفي نظريته عن نقل التعدين إلى المناطق المتوسطية والأطلسية، حيث كانت تتوافر المناجم المعدنية، ولم نعثر منذ زمن طويل في المراجع التي راجعنا محتواها كافة، عن حملة الأطواق وكانت مفاجئة سارة، حين عثرنا في كتاب "العالم الفينيقي[1]" وهو الوحيد من بين عدد كبير من المصادر التي بين أيدينا، الذي من ضمن مواد المبادلات التجارية، تحدث عن المعادن وعن مصادرها، ونشر خريطة شملت حوض المتوسط بكامله، مع امتداد نحو الأطلسي على شواطئ كل من أسبانيا، وفرنسا، وبريطانيا.

كان للمعادن في العالم القديم دورها الحضاري، ذي وجهين: الوجه الإيجابي حين يخدم الحياة اليومية للبشر ويسهلها، والوجه السلبي حين كان يتحول إلى سلاح يشجع على الحروب، ويوهم صاحبه بأنه لا يُقهر. ونحن نعلم أن انتشار معدن الحديد اعتباراً من القرن الثاني عشر ق.م، وإنتاج السلاح بواسطته وبأسعار رخيصة، سهّل امتلاكه من قبل مجموعات بشرية غير متحضرة، ومكّن من مهاجمة مراكز العالم القديم وتدميرها، وذلك ما حدث في المملكة الحثية. وعلى الساحل الكنعاني، وقبل ذلك وبعده، كانت المعادن: النحاس، والقصدير، والحديد، والرصاص، وبالطبع الفضة، والذهب من السلع التجارية التي لم تخفَ على الفينيقي، والذي فتش عن فلزاتها واستخرجها، وتاجر بسبائكها. ونُثبت في بداية هذا

١- (L'Univers Phenicien) تأليف (M.GRAS) و (P.ROULLARD) (J-TEXIER) من منشورات (Arthaud) لعام .(...19).

الفصل خريطة تمثل مواقع مصادر المعادن، التي كان على الفينيقيين الإبحار نحوها، كما نشرها كتاب "العالم الفينيقي"، الذي أشرنا إليه في بداية هذا العرض.

8-2- المواد والسلع المفضلة في العالم القديم:

في المرحلة التي تعنينا هنا، العالم القديم هو عالم شرقي المتوسط، ووادي الرافدين، ووادي النيل. تلك العوالم كانت سبَّاقة إلى بناء حضارة متفوقة، عرفت بالإضافة إلى تحقيق احتياجات شعوبها، إنتاج حاجات تثبت حذلقة ومهارة صنع حرفيين، عرفوا كيف يشكلون أجمل ما صنعته يد الإنسان من ألبسة مزركشة ومتعددة الألوان. وكان أشهر ما توصل إليه الساحل، هو ابتداع الأرجوان الأحمر والأزرق، ولا يمكن نسيان ما تداوله العالم القديم من حلي، وروائع العاج وتخريمه، أو استعمال الأحجار الكريمة، حيث حققت نبل جمالها. كل ذلك على سبيل المثال، وليس الحصر، كان يشكل المواد والسلع المرغوب بها، والمعدة للتداول في أعلى المستويات الاجتماعية، وأصبحت بالتالي الهدايا الثمينة التي كان يتلقاها الملوك من قبل الخاضعين، تشكل جزية مكملة لما كان يفرضه المنتصرون.

8-2 (أ) *أشهر تجار العالم القديم*:

عرفت الحقبة الآشورية القديمة في بلاد الرافدين (1974-1735ق.م)، وهي التي سبقت بناء الإمبراطورية، تجارة برية نشطة تمركزت في منطقة (الكابادوس) الأناضولية، وأسست فيها سوقاً تجارية ضخمة في موقع (كانيش) تحت تسمية (الكارو)، وهو (الرصيف)، حيث كان يتمركز التجار، والذي عنى فيما بعد "جماعة التجار"، أو "حي التجار"، ويديره رئيس الكارو، أي (الوكيل التمكاري)، وهو موظف ذو مرتبة عالية، كان يسهر على إدارة المركز، وعلاقته مع القصر في (آشور)، ومع التجار المستقلين، كما كان يسهر على التجارة الدولية.

كل ذلك يدل على دقة وسلامة التنظيم الإداري الآشوري. يشهد بذلك العثور على (21000) لوحة في (كانيش)، تمثل الوثائق التجارية، التي تمَّ تداولها. وهي تشكل محفوظات المركز، الذي كان يُدير أيضاً عدة مراكز تابعة له في بلاد الأناضول، والمملكة الحثية.

أمَّا العنصر البشري الثاني الذي اشتهر بالتجارة البحرية والبرية، ولا سيما البحرية القريبة والبعيدة، هم (فينيقيو) ساحل حوض المتوسط الشرقي، الذي لم يكتف بالمساحلة في عملياته التجارية، بل مارس الإبحار إلى مسافات بعيدة، منذ أزمنة يلفت النظر قِدمها، حين نعلم أن مدينة (جبيل)، وجهت إلى مصر منذ عام (2700ق.م)، (40 سفينة) محملة بخشب الصنوبر، تمَّ ذلك أثناء حكم (سنفرو)، من الأسرة الرابعة.

كما كانت السفن الفينيقية ترتاد مرافئ (قبرص)، و (كريت)، و (كيليكيا)، وقد وصلتنا عن تلك الرحلات معلومات صدرت عن مملكة (أوغاريت)، وقد روى ذلك كتاب "أخبار أوغاريتية وموسيقى من أوغاريت"[1]، وهو يطلعنا على بعض أخبار سفن (أوغاريت)، و (جبيل)، و (صور) في القرن الرابع عشر ق.م، أمَّا المواد والبضائع المتبادلة آنذاك، فهي:

الطحين، والزيت، والألبسة الصوفية، والأواني، والأسلحة، والمعادن وكذلك كما ورد في النصوص، منسوجات سُلمت إلى مدينة (أشدود) الفلسطينية. وقد أشارت النصوص إلى تسليم كمية من الفضة إلى أشخاص، هم طواقم سفن من (أرواد)، وذلك لقاء تأديتهم خدمات بحرية، بتكليف من أوغاريت.

8-2 (ب) *ملوك آشور والغنائم والهدايا التي تلقوها من الساحل الفينيقي*:

* كان الملك الآشوري (شمسي - أدد) (823-811ق.م)، قد فرض الجزية على شمال الشاطئ السوري، وعلى مملكة آرام الدمشقية، إلا أنه حتى قبل وفاته، وحين قويت دمشق، رفضت هي، وملوك الشمال، والسامرة في الشمال الفلسطيني دفع الجزية لذلك فإن (أدد - نيراري) الثالث، الذي تولى الحكم بعد والده (شمسي - أدد)، توجه إلى المنطقة في السنة الخامسة من حكمه، وترك لنا النص التالي مشيراً إلى رد فعل الممالك المعنية، حين سمعت بتحركه:

"ملوك بلاد هاتي (ويقصد الشمال السوري) حين أصبحوا أقوياء، كانوا قد رفضوا تقديم هداياهم إبان حكم والدي (شمسي - أدد)، ولكن بريقي الرهيب أطاح بهم.

(....) عند ذلك سقطوا على قدمي، وفرضت عليهم عائدات، وجزية يرسلونها إلى آشور، وتلقيت منهم ذلك.

ويضيف:

"ثم طوقت مريء[2] (دمشق)، وتلقيت منه 100 وزنة ذهب، و 1000 وزنة فضة"

كما يضيف في نص آخر للسنة نفسها:

"في سنة واحدة أخضعت تحت قدمي بلد (أمورو)، وبلد هاتي (الشمال السوري)، وحددت لهما للمستقبل العائدات والجزية".

ويشير أيضاً إلى أنه تلقى من ملك دمشق:

"2000 وزنة فضة، و 1000 وزنة نحاس، و 2000 وزنة حديد. وبعد تلقي جزية (السامرة)، و (صور)، و (صيدا)، يشير إلى أنه ذهب إلى البحر الكبير، وأقام له

١- تأليف قاسم الشواف، صدر عن دار طلاس في دمشق، عام (1999م).

٢- مريء: هو لقب عرف به ملك دمشق الآرامي آنذاك.

صورة في (أرواد)، ثم صعد إلى جبل لبنان، وقطع 100 جذع أرز لاحتياجات قصره ومعابده.

ثم بعد ذكره إخضاع بلد (أودومو)، وبلد (فلسطو) يعود إلى ذكر خضوع ملك دمشق الذي سلّمه:

"2300 وزنة فضة، و 20 وزنة ذهب، و 200 وزنة شبه (برونز)، و 5000 وزنة حديد، وألبسة مزركشة متعددة الألوان، وكتاناً، وديواناً مطعماً ومرصعاً بالعاج، وأرزاقاً وممتلكات من قبله، لا تحصى."

أمَّا تغلات فلصّر الثالث (745-727ق.م)، وفي السنة الثامنة من حكمه عام (737ق.م)، سجلت محفوظاته حملة على الشمال السوري، ومملكة (حماة) على العاصي، والمدن التابعة لها على شاطئ البحر (....). وضمّها إلى مناطق آشور (....)، يشير بعد ذلك إلى استسلام (عسقلان)، واحتلال (غزة)، التي فرّ ملكها إلى مصر. مضيفاً أنه سلب من غزة:

"[....] وزنة ذهب، و 800 وزنة فضة من السكان." يعود بعد ذلك في نص آخر يتحدث عن ملك (غزة):

"سلبت ممتلكاته وآلهته، وأمرت بصنع تماثيل لآلهتي العظام أسيادي، وتمثالاً ملكياً من ذهب لي، وأقمتها في قصر (غزاتو)، واعتبرتها آلهة لبلدهم، وفرضت عليهم [..].

يكمل نص آخر، ما فرضه على غزة:

"ذهب وفضة، وألبسة مزركشة، وكتاناً."

حين تولى (سرجون الثاني) (721-705ق.م) أمِلَ ملك (غزة) التحرر من سلطة (آشور)، بمساعدة جنرال مصري، وتشجيعه. ولكن سرجون قبض على ملك (غزة)، وهرب أمامه الجنرال المصري إلى مكان مجهول. "كما إن السامرة اتفقت مع عدو (؟)، وتمنعت عن تسديد العائدات، ولكن (سرجون) حاربهم، وأسر منهم (27280) شخصاً مع مركباتهم، فأخذ منها (200) مركبة وضمّها لجيشه، وخصص البقية للاستعمال في آشور[1].

في عام (701ق.م)، حاصر سنحريب (704-681ق.م)، حزقيال ملك (أورشاليمو) في مدينته الملكية، كعصفور في قفص[2]، وسلخ مدناً من بلده وسلمها إلى ملك غزة. ويضيف النص:

"أمَّا هو (أي حزقيال) فإن بريق سيادتي الرهيب، أخافه فأرسل بعد مغادرتي إلى (نينوى) مدينة سيادتي، المرتزقة وجنود النخبة الذين جلبهم إلى مدينته الملكية لدعم مقاومتها، والذين اتخذتهم كفرقة مساعدة.

١- لدينا هنا النص الوحيد، الذي يشير إلى المركبات كغنائم حرب.

٢- في عام (701ق.م)، ورد ذكر (القدس للمرة الأولى، ولم تكن لها أهمية المدن الأخرى، وقد ناقش هذا الموضوع كتاب: فلسطين التاريخ القديم الحقيقي)، لقاسم الشواف. صدر عن دار الساقي، عام (2006م)، (انظر ص 228).

أرسلهم مع 30 وزنة ذهب، و 800 وزنة فضة، و (إثمد) نفيس، وكتل كبيرة من العقيق الأحمر، وأسرّة من الأبنوس، والبقس والعاج، وأشياء أخرى، وهي تعد كنز ثمين. وأرسل بناته ونساء من قصره، ومنشدين ومنشدات، وأوفد رسولاً على حصان لتسليم الجزية وتقديم الولاء وقبول التبعية."

ويشار في نص آخر إلى الهدايا السابقة، مضافاً إليها:

"ألبسة مزركشة متعددة الألوان، وكتان، وأرجوان أزرق وأحمر، وأوان من البرونز وَالحديد وَالنحاس وَالقصدير، ومركبات، وتروس ورماح ودروع، وسيوف من الحديد وسهام، ومعدات قتال بأعداد كبيرة."

يتبين من العرض أعلاه، بأن المعادن بمختلف أنواعها، سواء أكانت ثمينة، كالذهب والفضة، أو المعادن التي يتوزع استعمالها بين صنع الأسلحة، أو الأواني المختلفة، تلك المعادن هي التي كان الملوك يحملونها إلى عواصمهم، بالإضافة إلى الألبسة الاحتفالية المزركشة والمتعددة الألوان. وبما أننا في العالم الفينيقي فأقمشة وألبسة الصباغ الأرجواني الأزرق والأحمر، كما ورد ذكر الكتان، الذي كان أقل انتشاراً مما كان عليه في مصر. أمَّا الآنية الذهبية، والفضية، وكذلك الأسرة المرصعة بالعاج، أو المنحوتات العاجية، وكل ما تمَّ تصميمه وصنعه يحوز إعجاب ناظره ويثير فيه رغبة الامتلاك، كان من المقتنيات التي تقدم إلى الملوك.

8-2 (ج) *التواجد الفينيقي حيث مناجم المعادن ومنتاجها*:

إن مواقع مناجم المعادن المختلفة كانت في أساس حركة المبادلات التجارية في حوض المتوسط، ولا بدَّ من الإشارة إلى إن الاستقرار الفينيقي في مناطق المتوسط كان أكثر كثافة في المواقع حيث تتوافر مناجم المعادن.

وكما أوضحنا في الفقرة (8-1) فيما يخص "حملة الأطواق"، فإن الفينيقيين سواء أكانوا هم الذين نقلوا فن التعدين إلى حيث تقع المناجم، وتابع بعدهم السكان المحليون الاستخراج والإذابة والتنقية وصب السبائك، فإن الفينيقي كان في تلك المرحلة التي سوغت تواجده في الموقع هو الذي كان يتحول إلى التاجر الذي كان يحمل السبائك إلى المناطق التي ترغب بشرائها. بالإضافة إلى ما يحمله من بضائعه الفينيقية من زيت وخمر وخشب، أو أقمشة وأواني مختلفة إلى الموقع. حيث يرى بعض الباحثين استبعاداً للدور الفينيقي أن سكان ذلك الموقع لم ينتظروا مجيء الفينيقي ليعلمهم فن التعدين، فإن التاجر الفينيقي كان يقوم بالدور نفسه، يشتري الناتج المعدني ليبيعه من جديد إلى من يحتاجه.

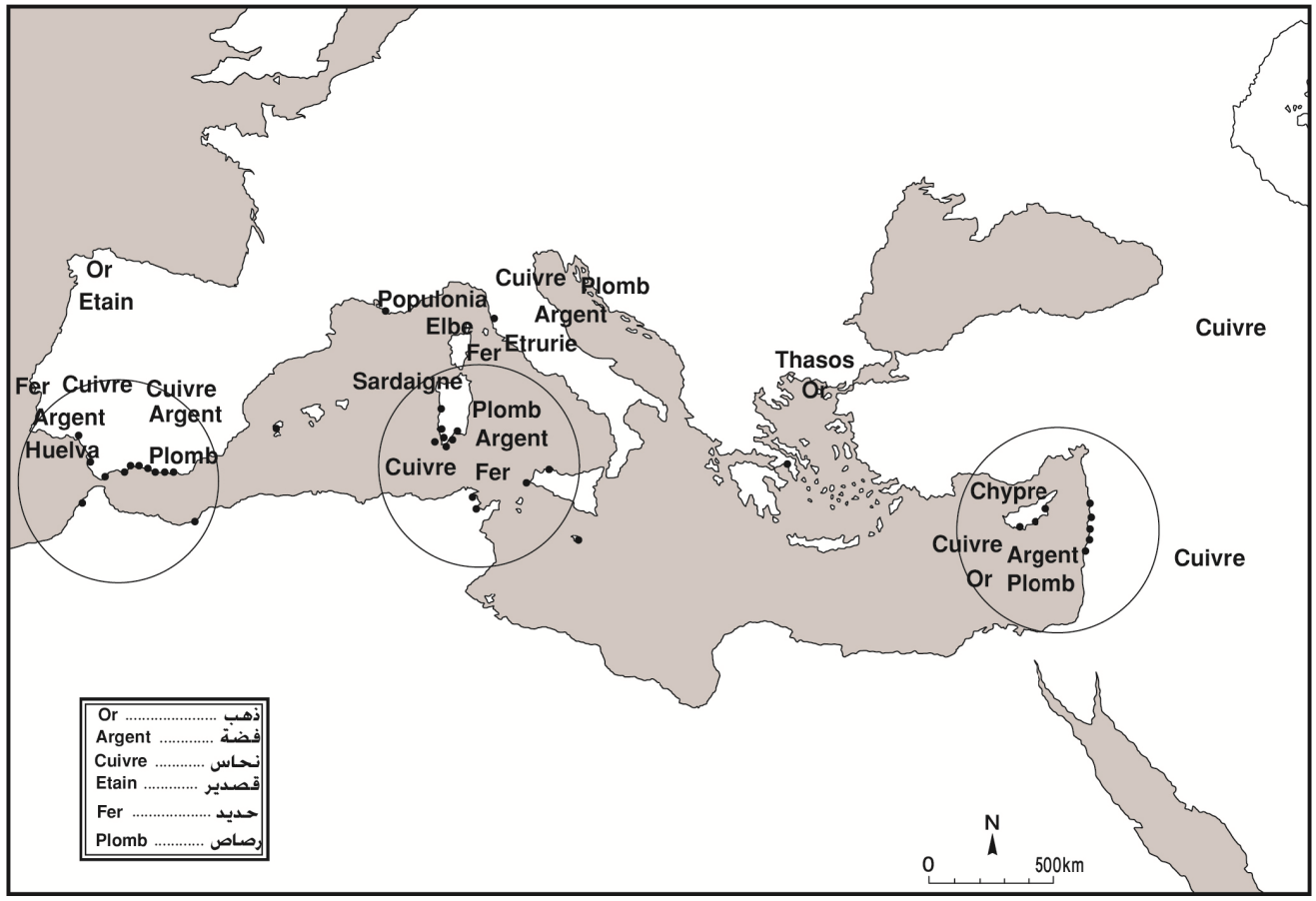

مناجم المعادن في حوض المتوسط

يقول المؤرخ اليوناني القديم (هيرودوت) (480-420ق.م). إن مناجم ذهب جزيرة تاسوس، الواقعة في أقصى شمال بلاد اليونان كان يستثمرها الفينيقيون. ويؤكد ذلك كل من الجغرافي (سترابون) (68-52م)، وبلين (23-79م)، و (كليمون الإسكندراني) (150-216م) وهم الذين أشاروا، إلى أن (قدموس) هو الذي اكتشف ذوبان الذهب في الجبل المقابل لجزيرة (تاسوس)، وهو الذي استثمر مناجمها للمرة الأولى. وإذا ما أعادت "التقاليد" اليونانية الدور لقدموس، ففي ذلك اعتراف بما أتى به الفينيقيون.

ونحن نعلم أن الفينيقيين استقروا في مناطق كانت تتوافر وتتنوع فيها فلزات المعادن (كقبرص)، و (سردينيا)، و (الأندلس)، كما إن تواجد الفينيقي في جزيرة (موجادور) المغربية على المحيط الأطلسي، بعد اجتياز مضيق (جبل طارق) أي (أعمدة هيراكلس) وفق التسمية القديمة، ذلك التواجد لم يكن للتفتيش عن أصداف المريق المستعمل في الحصول على اللون الأرجواني! مع العلم أن جزيرة (موجادور) كانت تقع إلى الجنوب الغربي من المضيق على بعد 700كم بحراً، وتوافر معدن الحديد فيها، هو الذي جعل الفينيقيين يبتعدون إلى تلك المسافات الشاسعة عن وطنهم الأم.

ولأسباب تجارية تحولت إلى إستراتيجية تمَّ تأسيس (قرطاجة)، والى شمالها القريب موقع (أوتيكا) على الخليج الطبيعي نفسه، أمَّا جزيرة موتيي (Motyè)، الواقعة قرب الشاطئ الغربي من (صقليا) إلى جنوب مدافن بيرجي (Birgi) في وسط حوض محمي بشكل كامل من جهته المغربية بجزيرة إيزولا (Isola Grande) الكبرى، وتلك الجزيرة، كانت محصَّنة، وفي شمالها منطقة حرفية وَمَعبدان فينيقيان وفي جنوبها حوض لترميم وإصلاح السفن يتم الولوج إليه عبر البوابة الجنوبية لسور الجزيرة.

وبصورة عامة، عندما كان يبحر التاجر الفينيقي عبر المتوسط باتجاه الغرب، فإنه يجد في طريقه على التوالي، جزيرة (قبرص)، ثم (كريت، و (صقليا)، و (سردينيا)، ثم بعد الشاطئ الأندلسي حيث يتمركز بكثافة، فإنه يجتاز المضيق ليستقر في كاديكس شمالاً على الشاطئ الأسباني للمحيط الأطلسي، ثم يشغل إلى الجنوب كلاً من (ليكسوس)، و (موجادور) على شاطئ المغرب الأطلسي. هذا يعني ذلك أن التاجر الفينيقي، كان عليه اجتياز (3800)كم إذا ما أبحر من (أرواد) وسار بخط مستقيم قبل اجتياز مضيق (جبل طارق)، ولذا كان لا بدَّ له من الاعتماد على مراكز ثابتة صغيرة وكبيرة وعلى محطات عديدة عبر ذلك المسار.

واستكمالاً لموضوع المعادن الذي أردنا عرضه هذا الفصل، فإننا نستعرض فيما يلي موضوع الاستقرار الفينيقي في كل من (قبرص)، و (سردينيا)، و (إسبانيا) في الأندلس، وفي (موجادور).

8-2 (ج-1) جزيرة قبرص:

وقد اشتهرت لكونها جزيرة النحاس، مع أن هذه الجزيرة كانت تمارس تعدين الذهب والفضة، واتضح اليوم أنها كانت تتعامل مع معدن الحديد، الذي كان يشكل نسبة عالية في فلزات النحاس.

لا يستبعد بعض الباحثين، أن يكون تعدين الحديد في المراكز الفينيقية الأندلسية كان نتيجة التجارب القبرصية ولا بدَّ من التساؤل هنا إذا ما كان الفينيقيون وراء ذلك؟ يتضح أيضاً أنه تمَّت في قبرص محاولة التوصل إلى حديد أكثر صلابة.

شكّل معدن النحاس في الماضي عصب الاقتصاد القبرصي، وهو الذي حقق ثروة الجزيرة منذ الألف الثاني ق.م، كما ساهم في تنشيط حركة التجارة في الجزيرة.

لقد تمَّ في الجزيرة استخراج فلزات النحاس وتعدينها، وإعداد السبائك النحاسية التي كان يعطى له شكل "جلد الثور"، وهي التي كان يتداولها العالم القديم كما إن قبرص مارست تعدين الشبه (البرونز). وسواء أكان الفينيقيون الذين استقروا في الجزيرة هم الذين كانوا يمارسون ذلك النشاط أم لا، فإنهم هم الذين كانوا يتاجرون بنتاجه اعتباراً من مرفأي أماتانت (Amathonte) وَ كيتيون (Kition).

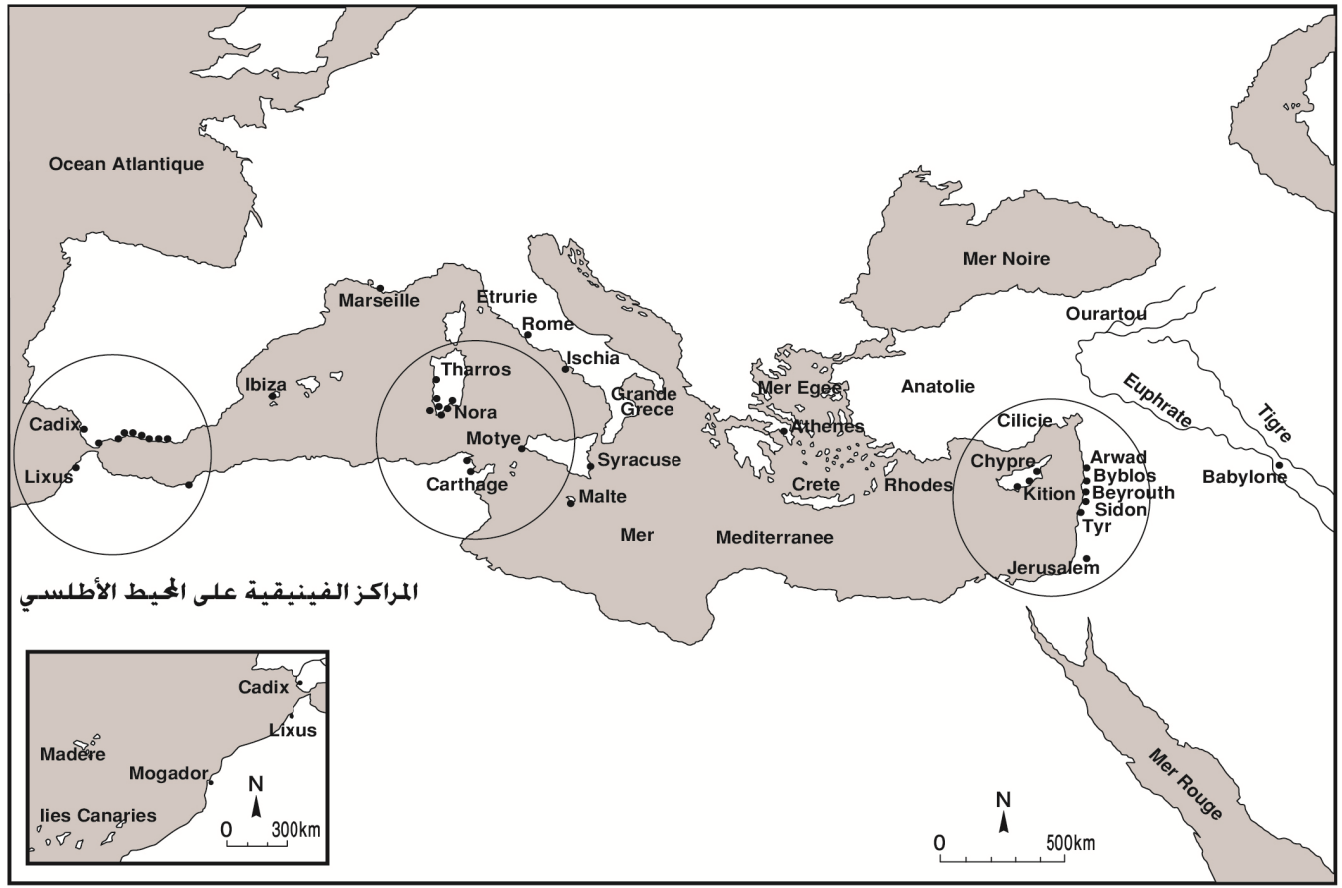

المراكز الفينيقية في حوض المتوسط

8-2 (ج-2) جزيرة سردينيا:

تقع المنطقة الغنية بفلزات المعادن إلى الجنوب الغربي من الجزيرة وليس من الصدف أن يكون الفينيقيون قد تمركزوا وأحاطوا بتلك المنطقة حيث كانت تتوافر فلزات الفضة والرصاص والحديد والنحاس والزنك، كما إن التقاليد الفينيقية في الجزيرة كانت قديمة و "التقاليد" التعدينية أيضاً في الجزيرة اعتبرت قديمة وكانت تحت إدارة جماعة أرستقراطية محاربة بدأت عبر النصف الثاني من الألف الثاني ق.م، وكانت على علاقات مع العالم (الميسيني).

عرفت (سردينيا) استيراد معدن البرونز من قبرص حتى بداية القرن الحادي عشر، ولكن الجزيرة تميّزت بنشاط كبير لاستخراج الفلزات النحاسية وتعدينها، وقد يكون ذلك بمساعدة القبارصة، أو الفينيقيين المستقرين في الموقع، على اعتبار أن الباحثين الغربيين يفضلون نسبة تلك المساعدة إلى القبارصة بقصد عدم الاعتراف بدور فينقي، كما هي العادة في مجالات عديدة.

وبما أن معظم السبائك البرونزية على شكل "جلد الثور"، والتي عثر عليها في (سردينيا)، كانت على الأرجح من إعداد محلي، يساعد ذلك على التفكير بأن الجزيرة أعدت معدن البرونز منذ الألف الثاني.

ومن باب إنكار الدور الفينيقي، يضيف مؤلفو كتاب "العالم الفينيقي":

"يعني ذلك أن الفينيقيين اكتشفوا جزيرة، لم تكن تحتاج لتتعلم منهم فن التعدين."

مع الإيضاح إلى أن إقحام القبارصة والميسينين، في التأويلات التي تقدمها لنا المصادر الغربية، مرده دوماً الإصرار على إخفاء الدور الفينيقي، ومع ذلك بالنسبة لجزيرة (سردينيا)، يُلاحظ وجود تواصل بين البرونز الأطلسي وعالم الجزيرة، بواسطة شبه الجزيرة الإسبانية، وذلك في القرن العاشر ق.م.

8-2 (ج-3) أسبانيا:

قدّمت شبه الجزيرة الإسبانية، مناجم معادن متعددة ولا سيما معدن الفضة في تارتيسّوس (Tartessos)، الموقع الذي كان معدنه أكثر المعادن إنشاداً من قبـــل

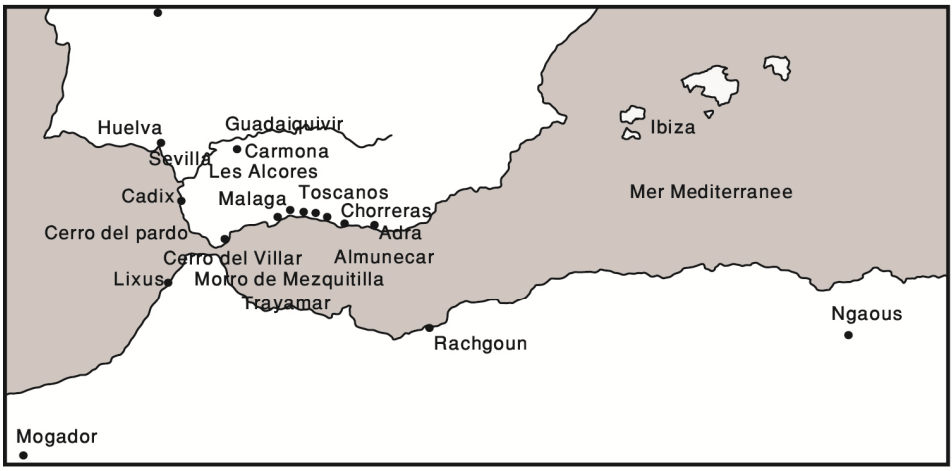

المراكز الفينيقية في الأندلس

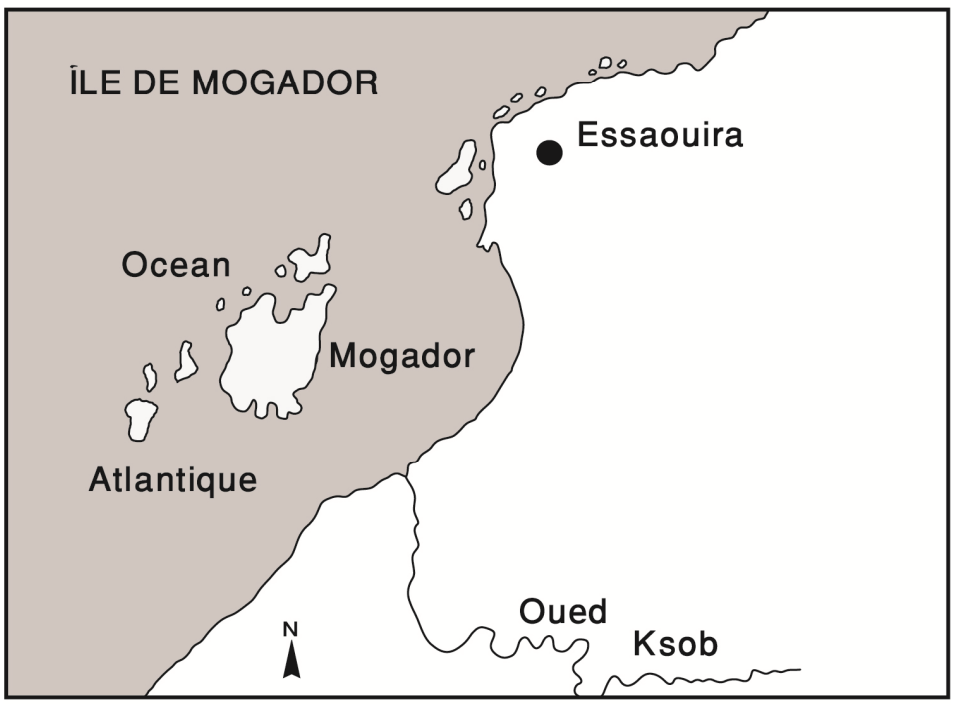

المراكز الفينيقية في الأطلسي في كل من الصويرة وجزيرة موغادور

الشعراء في القرن السادس ق.م. وفيما يخص غزارة معدن الفضة في ذلك الموقع، فإن ديودور الصقلي (Diodore de Sicile)، الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد وزار معظم مناطق العالم القديم الشرقي والغربي، وترك قرابة 40 مؤلفاً وصلنا منها 17، وهي عبارة عن موسوعة شملت الحقبة الأسطورية اليونانية وحرب طروادة، والتعريف بمصر وبلاد الرافدين والهند والجزيرة العربية، وصولاً إلى وفاة الإسكندر، والحقبة الرومانية حتى حكم (يوليوس) قيصر.

أمَّا عن غزارة معدن الفضة في موقع (تارتيسّوس)، فقد نقل (ديودور الصقلي) خبر تلك الغزارة، كما يلي:

"بعد تحميل سفنهم بالفضّة، فإن الفينيقيين، كانوا يتخلصون
من الرصاص في مراسيهم، لاستبداله بمعدن الفضة، الذي
كان لا يزال غزيراً."

وبالإضافة إلى الفضة، فإن موقع (تارتيسّوس) كان غنياً بالرصاص والحديد والقصدير. وقد اعتبر الإيليون في (أولمبيا) أن خزائن البرونز التي كانت تحوي كنوز المعبد والمنشأة عام (648ق.م)، صنعت من برونز (تارتيسّوس). أمَّا بوزانياس (Pausnias)، الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثاني للميلاد، فإنه يناقض هذا الرأي، وهو على حق في نقضه، على اعتبار أن موقع أولمبيا لم يكن يحتوي في نهاية القرن السابع أي عام (648ق.م) سوى هيكل بيلوبس (Pelops)، ولم يكن مؤهلاً للمباريات. وكان لا بدَّ من انتظار بناء معبد الإلهة هيرا (Hera)، وإعداد الستاديوم الأول في منتصف القرن السادس ق.م، من دون تحديد دقيق لسنة إقامة البناء. أمَّا معبد (زيوس) في أولمبيا فقد تمَّ في القرن الخامس ق.م، وأشرف عليه المثَّال فيدياس (Phidias) الذي عاش في القرن الخامس ق.م (480-431ق.م). ويُرجح أنه تمَّ إعداد (ستاديوم) جديد محل الستاديوم العتيق آنذاك، (انظر الفقرة 7-11) من الفصل السابع.

في عودة إلى موضوع المعادن، يمكن القول إن موقع (تارتيسّوس) كان مركزاً لتجمُّع المعادن، التي لم تستخرج من تربته ولا سيما القصدير، وكذلك الذهب الذي كان يصله من الشمال الشرقي لإسبانيا والبرونز المعدّ لإعادة إذابته.

وفقاً للمكتشفات الأثرية، فإن المعادن التي تمَّ استثمارها في المنطقة الجنوبية الشرقية من إسبانيا، في كل من هويلفا (Huelva)، وَ كاديكس (Cadix) فيما يتعلق بالفضة والنحاس، ومنطقة سيّرا مورينا (Sierra Morena) في (أشبيليا)، وموقع كاستولو (Castollo) بالنسبة للنحاس، وكذلك معدن الرصاص والفضة في سيرّا آلماجريرا (Sierra Almagrera) منذ عصر البرونز القديم.

أمَّا القصدير، فكان يصل إلى إسبانيا من (بريطانيا)، مما يشير إلى أن (الأندلس) كانت المنطقة التي تتجمع فيها المعادن، و (تارتيسوس) كانت بشكل خاص مكان تواجد المعادن في تربتها كالقصدير والذهب.

وفقاً لما عرض آنفاً، يمكن القول: إن كلاً من موقعي (تارتيسّوس)، و (هويلفا) كانا عبارة عن مركزي استيراد وتصدير، أي ما يسمى (آمبوريون) يونانياً، وقد أشار (هيرودوت) إلى ذلك حين زار شبه الجزيرة الإسبانية. ثم في منطقة الأندلس، واعتباراً من القرن التاسع ق.م، فإن مدن (هويلفا)، و (كاديكس)، وقرطبة أسست ونمت في منطقة واحدة غنية بزراعتها وبثروتها الحيوانية، وتمتاز بوقوعها قرب المحاور البحرية والنهرية، مستفيدة من النقل البري الذي كان في الوقت نفسه يخدم حركة المعادن. ولذا فإن المنطقة الأندلسية المنخفضة كانت تجتلب المنقبين والتجار، حيث كان يُستثمر النحاس منذ نهاية القرن التاسع وحتى القرن السابع ق.م. وهنا أيضاً يمكن التساؤل إذا ما كان أساس كل ذلك هو الاستقرار الفينيقي الأول في تلك المنطقة؟

8-2 (ج-4) موجادور:

يعتبر مؤلفو كتاب "العالم الفينيقي" أن بوادر التأثير الفينيقي في المنطقة ظهرت قرابة (700ق.م) أو قبل ذلك بقليل، كما إن المراكز الفينيقية التي عالجت المعادن في أماكنها تبقى نادرة، ومع ذلك، فقد عثر في موقع توسكانوس (Toscanos)، الأندلسي على بقايا تعدين نحاس وحديد، وبقايا فرن يعود إلى بداية استقرار الفينيقيين في المنطقة في النصف الثاني من القرن الثامن ق.م، وعثر في موقع (موجادور) على فرن مماثل.

أخيراً، فيما يتعلق بالمعادن، يمكن القول: إن معظم باحثي الغرب حاولوا عدم إعطاء الفينيقيين دوراً تعدينياً خاصاً بهم، معتبرين أن دورهم كتجار هو الذي دفعهم إلى الإبحار بعيداً عن وطنهم الأم، للحصول على

السلع التي كان يعدّها غيرهم للمتاجرة بها. ويتناقض هذا الاتجاه مع دور ما سماه منقب (أوغاريت) (كلود شيفر)، دور "حملة الأطواق" (Porteurs de Torques) منذ السبعينيات، وهذا الدور لم يعد له وجود في المنشورات الحديثة.

8-3- الفينيقي يتاجر بكل ما يمكن بيعه:

منذ بداية القرن الخامس عشر ق.م، ابتدع (الميتانيون) في الشمال السوري الحلي الشعبية الرخيصة الثمن من عقود وأساور، تستعمل الأصداف والزجاج والأحجار شبه الكريمة، وعمَّ ذلك العالم القديم بعد أن كانت الحلي الثمينة من ذهب وفضة وأحجار كريمة كالعقيق واليَنع والزمرد، واستعمالها كان محصوراً من قبل الأغنياء وحدهم، وبنجاح كبير انتشرت الحلي الرخيصة الثمن، وكان طبيعياً أن يتاجر بها الفينيقي.

وذلك ما أراد انتقاده والتهكم عليه الشاعر اليوناني (هوميروس)، صاحب الإلياذة والأوديسة، حين أراد التقليل من أهمية المواد والسلع التي كان يبيعها التاجر الفينيقي، والتي كانت "تمتلئ بها سفن الفينيقيين"

مطلقاً عليها صفة:

"البضائع الزهيدة الثمن، والعديمة الجودة"

وبالإضافة إلى ذلك نحن نعلم أن (هوميروس)، لم يتأخر في أوديسّيته عن اتهام الفينيقي بالاحتيال والقرصنة، واختطاف النساء لبيعهن في سوق الرق، مما أساء إلى سمعة الفينيقيين منذ ذلك التاريخ، وتبنَّت ذلك، مع الأسف المدارس الغربية في برامج التعليم، ولا يزال من خضع لمثل هذا التعليم، يلصقون بالفينيقيين تلك الصفات حتى اليوم.

حين كان التاجر الفينيقي يبحر من مرافئ ساحله حاملاً البضائع والسلع إلى العالم الإيجي وبقية مواقع حوض المتوسط، كان يعود محمّلاً بما يمكن بيعه في بلده، وعلى هذا الأساس، كشفت الحفريات الأثرية في (أوغاريت) عن عددٍ من الأواني الخزفية مصدرها (قبرص)، وهي بصورة عامة وحيدة اللون.

كما عُثر في (أوغاريت) على جرار من جزيرة (كريت)، ذات تزيينات حلزونية. ومن (ميسين)، حفظت لنا (أوغاريت) وعاءً على شكل قنفذ، يحمل

أيضاً تزيينات حلزونية بنيّة اللون، وكذلك عدداً من الأوعية المختلفة المستقدمة من المدينة نفسها.

وبالطبع فإن زوال (أوغاريت) في نهاية القرن الثاني عشر ق.م، حال دون العثور على الآنية الخزفية التي اشتهرت بها بلاد اليونان في المراحل التالية، وهي التي صنّف الباحثون تواريخ أشكالها وتبدل ألوانها وتزييناتها كدليل "كرونولوجي" لبلاد اليونان، وذلك نظراً للنقص الرهيب الذي عرفته البلاد، وذلك قبل التعرف على الأبجدية الفينيقية، وتبنيها ثم انتشارها.

عمريت:
معبدها وَ ملعبها

9-1- رحلة تاريخية تفتيشاً عن عمريت:

عرف القسم الشرقي لحوض المتوسط داخله وساحله، مراحل عديدة من عصور ما قبل التاريخ، عصور موغلة في القدم، تركت جميعها معالم إشغالٍ بشري، تطوّر تدريجياً عبر حقبٍ طويلة، تركت بقايا عديدة تدل على نشاطات شاغليه منذ 300000 سنة، وتابعت تطورها من دون انقطاع. حتى بلغت اعتباراً من 10000ق.م، بداية الاستقرار، وبناء المسكن الثابت الدائري في البداية، واستعمال أدوات منزلية من البازلت، ومناجل ذات محامل عظمية.

تمكن إنسان الساحل بعد ذلك قرابة (7000ق.م) من تدجين الماعز، وبناء مساكن مستطيلة، وكذلك بدء الزراعة. ثم عرف بعد ذلك اعتباراً من الألفين السادس والخامس ق.م استعماله الأول للفخار، وتزامنت بداية الألف الخامس ق.م مع التمركز في موقع مدينة (جبيل) المستقبلية، أمَّا بداية الألف الرابع ق.م، فقد تمت عبرها ممارسة زراعة القمح، وتربية الخرفان، وبداية الرعاية، وكذلك تعدين النحاس.

عرفت بداية الألف الثالث ق.م بعد ذلك، علاقات الساحل مع مصر الفرعونية في كل من مدينتي (جات) بين يافا وغزة، ومدينة (أراد) قرب بئر السبع.

وإلى تلك الحقبة أيضاً يعود أول توسع عمراني في مدينة (جبيل)، وبداية العلاقات التجارية مع مصر، والتقدمات الفرعونية إلى معبد سيّدة (جبيل).

ثمّ عبر الثلث الأخير من الألف الثالث ق.م وقبل نهايته، عرف الساحل الشرقي هجرة أمورية، سبقها بقليل مشروع (سرجون الكبير) الأكادي لبناء إمبراطوريته الأولى في العالم القديم، وتوسعه نحو المتوسط.

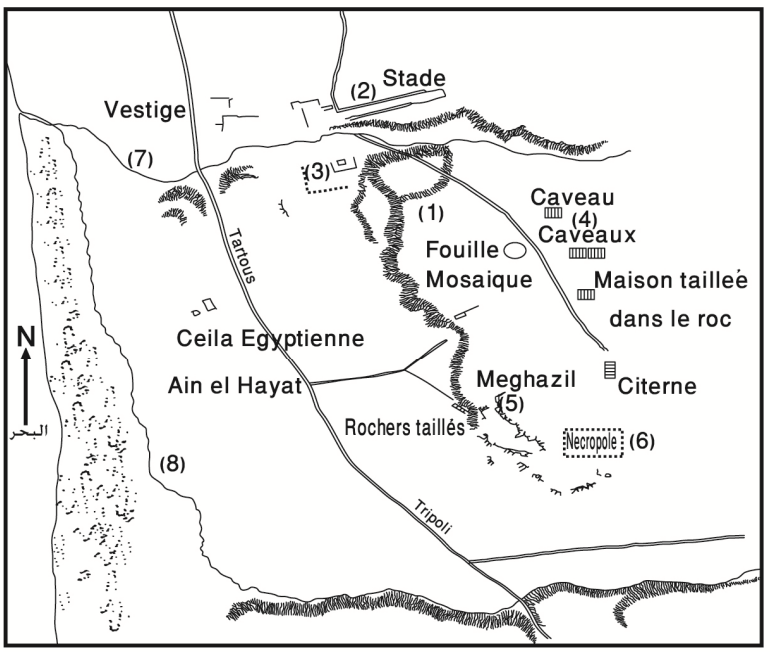

1- تل عمريت
2- الملعب الرياضي
3- المعبد
4- مدافن
5- المغازل
6- المقبرة
7- نهر عمريت
8- نهر القبلي

تل عمريت: حفريات 1954

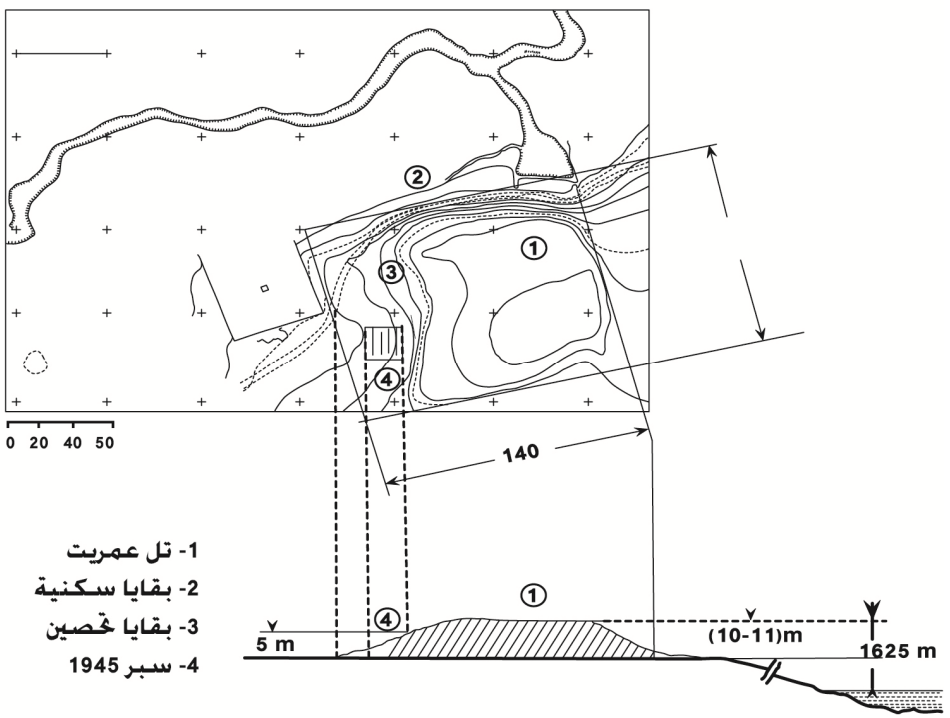

1- تل عمريت
2- بقايا سكنية
3- بقايا تحصين
4- سبر 1945

شهدت (أوغاريت) في تلك الحقبة الهجرة الأمورية، وإلى الجنوب منها، بين بانياس والنهر الكبير الشمالي في هذه المنطقة التي اتخذت اسم (أمورو) يمكن التساؤل إذا ما كانت (عمريت)، أو (أمريت) نسبة للأموريين، قد تمَّ تأسيسها آنذاك؟ مع الإشارة إلى أن سرجون الأكادي حين توسع نحو المتوسط، لم يترك لنا مع الأسف نصوصاً تصف مشاهداته على الساحل والمدن التي كانت قائمة آنذاك.

وبقصد التعمق في موضوع قدم (عمريت)، نحاول فيما يلي استعراض ما هو متوافر من النصوص القديمة، التي تعود إلى تواريخ مختلفة تحدّثت عن بلاد (أمورو)، ومدينة (صومور)، أي (سيميرا). ولا سيما عن (أرواد)، و (عمريت). أمَّا المصادر التي يمكن الرجوع إليها لهذه الغاية، فإنها تتراوح تاريخياً بين القرن التاسع عشر ق.م وبداية الحقبة الهلنستية بعد فتح الإسكندر عام (333ق.م).

تعود أقدم النصوص التي يمكن الرجوع إليها للقرنين التاسع عشر والثامن عشر ق.م، وهي ما عرف بنصوص "اللعنات المصرية"، بالنسبة لملوك ورؤساء الساحل الكنعاني، يلي ذلك بعض النصوص التي تعود إلى التوسع الفرعوني على الساحل نفسه بقصد بسط النفوذ، وذلك بعد التحرر من مرحلة حكم الهكسوس في مصر.

أمَّا القرن الرابع عشر ق.م، فقد عرف مراسلات العمارنة، وهي الرسائل التي تبادلها حكام وملوك وأمراء المنطقة الساحلية، بين أوغاريت ورفح آنذاك، والتي يبرز من عبرها دور منطقة (أمورو)، والذي يعنينا بشكل خاص.

والنصوص الأحدث نسبياً وهي التي تركها ملوك (بابل)، و (آشور)، عبر توجههم إلى الساحل (الكنعاني/الفينيقي)، وما حققه ذلك الساحل من مساهمةٍ في ازدهار التجارة العالمية آنذاك. وذلك ما حدث فعلاً بفضل النشاط البحري الفينيقي بالاعتماد على مراكزه التجارية في أنحاء حوض المتوسط كافة، محققاً بذلك تواصل الشرق القديم مع العالم الغربي، مع الإشارة إلى أن مدينة (قرطاجة) آنذاك، كانت أهم مركز فينيقي على ساحل أفريقيا الشمالية.

هكذا سوف نستعرض فيما يلي مختلف المراحل الموصوفة أعلاه، مفتشين عن كل ما يشير إلى أمورو، وَ عمريت، وَ أرواد بشكل خاص.

9-1 (أ) *نصوص اللعنات المصرية*:

اللعنات المصرية هي عبارة عن أسماء الملوك والرؤساء على الساحل الكنعاني، مع الإشارة إلى أماكن حكمهم، والتي كان يكتبها كهّان مصر الفرعونية على أوانٍ فخارية ويحطمونها من ضمن طقس سحري، ثم تُدفن الكُسَر الناتجة عنها وذلكً:

"لإدخال الرهبة إلى قلوب الأعداء، وإبعاد شرورهم"
و "وضع أراضي وغرباء جميع البلاد الأجنبية، تحت قدميّ الملك".

أمَّا النصوص التي أمكن التوصل إليها بعد تجميع الكسر المحفوظة في كل من متحفي (برلين)، و (بروكسل)، والمتعلقة بالساحل الكنعاني، فإن لائحة متحف برلين اشتملت على 24 مملكة، أو مدينة، أو منطقة، وأسماء الملوك والأمراء المشمولين باللعنات، كما اشتملت لائحة بروكسل على 69 مملكة، أو مدينة، أو منطقة بالإضافة إلى أسماء المشمولين. كل ذلك يدلّنا على مدى نمو وعمران الساحل الشرقي في كل من فلسطين ولبنان وسوريا وبعض ممالك الداخل. تعود نصوص اللعنات تلك إلى مرحلتين تاريخيتين، أقدمهما (1900-1800ق.م)، والمرحلة الثانية حُدِّد لها تاريخ (1750ق.م).

أمَّا فيما يتعلق بالمدن والمناطق التي تعنينا، فقد تضمنت اللائحة الأولى أسماء كل من (جوبلا) = (جبيل)، و (يامورو) مع تساؤلنا إذا ما كانت تشير إلى منطقة (أمورو)؟ مع التوضيح إلى أن اللائحة تعود إلى زمن قريب من هجرة واستقرار الأموريين في المنطقة. كما إن هناك إشارة إلى مدينة (أولازا)، التي هي قرب صومور (سيميرا) على مصب نهر البارد. وأخيراً فإنه من المفيد الإشارة إلى أن مدينة (أوروسالم)، وردت مرتين في جدول برلين، مع اسمين لحاكميْها.

تكرر في جدول (بروكسل) ذكر (جبيل)، و (أولازا)، و (أوروسالم) بالإضافة إلى (مجدل) قرب طرابلس، و (صور) البحرية، و (أوشو) التي هي (صور البرية)، وكذلك موقع (قرقار) قرب حماة، حيث تمّت معارك عديدة عبر التاريخ.

نلاحظ أنه لم تتم الإشارة إلى (أرواد) ومنطقتها البرية التي تشملها اللعنات، ولا بدَّ من التساؤل هنا، عما إذا كانت (أرواد) آنذاك، لم تكن بعد قد بنت أسطولها البحري، الذي سيجلب لها شهرتها فيما بعد؟ مع أن الوثائق المصرية سجّلت منذ عام (2700ق.م)، عبر حكم الفرعون (سنفرو) أول ملوك الأسرة الرابعة، سجّلت وصول أربعين سفينة من (جبيل)، محملة بأخشاب الصنوبر إلى مصر. واعْتُبر ذلك حدثاً فريداً استوجب التسجيل. يتضح هنا قِدم الملاحة البحرية في جبيل التي مارسها أهل الساحل، ولم يدرّبهم أحد على ذلك، كما ادّعت بعض الآراء المغرضة التي أرادت أن يلقن بحارة شعوب البحر الملاحة للفينيقيين (!).

9-1 (ب) *أمورو وأرواد في مراسلات تل العمارنة*:

تعود مراسلات تل العمارنة إلى حقبتي حكم كل من (أمينوفيس) الثالث، وابنه (أمينوفيس) الرابع (أخناتون) بيّن سنتي (1402 و 1364ق.م)، وهي المراسلات التي تبادلها العاهلان المصريان مع تابعيهما آنذاك من ممالك وإمارات الساحل الكنعاني بشكل خاص. وقد وصلنا منها (350) رسالة تتعلق (308) رسائل منها بممالك وإمارات (فلسطين)، و (لبنان)، و (سورية)، وقد حَلل محتواها بالتفصيل كتاب "تاريخ فلسطين القديم"[1]. وسوف نستعرض محتوى الرسائل التي أشارت إلى دور أرواد وأسطولها البحري.

9-1-ب) أمورو في الرسالة (EA 163)[2]:

الرسالة وجّهها (أمينوفيس الرابع) (أخناتون) إلى (عزيرو) الأموري، الذي أدى دوراً مهماً في تشجيع التمرّد على النفوذ المصري في (أمورو) هو وإخوته، بعد أن كان والده (عبدي - عشيرتا) قد أطلق ذلك التمرد. أمَّا حاكم (جوبلا) هو الذي كان يوجّه للفرعون رسالة بعد الأخرى، طالباً العون ومحذِّراً من خطر ذلك التمرد، بعد أن تمَّ احتلال (صومور)، حيث كان يقيم ممثل الفرعون المحلّي، وأصبح الخطر يهدد مدينة (جوبلا) ذاتها، وتفاقم الأمر بالنسبة لحاكمها، حين ثار عليه أخوه، وطرده من مملكته والتجأ إلى (بيروت).

وهذا هو (أخناتون) يكتب (لعزيرو) لمساءلته، إذا ما كان مخلصاً للملك (أي الفرعون)؟ لماذا لم يعد حاكم (جوبلا) إلى مدينته بعد أن طلب منه الحاكم ذلك واعداً بمكافأته بالكنوز التي تتوافر في المدينة؟ وعلى الرغم من تزعم (عزيرو) حركة التمرد فإنه بقي يحافظ ظاهرياً على خضوعه لسلطة مصر، وكان في الوقت نفسه يعقد مع الحثيين اتفاقاً آخر، بعد أن زاد نفوذهم على الساحل.

ما يعنينا من تلك المرحلة التي لن ندخل في محتواها أكثر من ذلك، هو مطلعها حيث يكتب الفرعون وفقاً للصيغة التقليدية، وكأنه يكلف رسوله بنقل المحتوى في تعبير:

"قل (لعزيرو) رجل (أورو)[3] (آ-مو-أو-را)[4]

١- تأليف قاسم الشواف، صدر عن دار الساقي في بيروت، عام (2006م).

٢- EA هما أول حرفين من (EL Amarna) أي العمارنة.

٣- (uru) بمعنى مدينة أو قرية.

٤- (A-mu-ur-ra).

لغة الرسائل هي الأكادية، وتعبير (أورو) الأكادي يعني (مدينة)، كما في (أورو - سالم). وهنا يكمن الالتباس، والغموض فيما إذا كان المقصود هي منطقة (أمورو) الممتدة بين بانياس والنهر الكبير الشمالي على ساحل المتوسط، وأن ذكر (أورو) هو خطأ الكاتب الذي نقش لوحة الرسالة، أم أن هناك فعلاً مدينة اسمها (آ-مو-أو-را)، وهي (أمورو)، أو (عمريت)؟

ويتأكد ذلك مما تركه (تحتمس) الثالث (1501-1447 ق.م)، عن حملته السورية على الساحل، وذكره مدينة (قرت - عمروتا)، يتضح ذلك من النص الذي خلد حملته، وهو التالي:

"أنظر! إن جلالته قهر مدينة (أرواد)، وما فيها من قمح، وقطع أشجارها الجميلة... أنظر! كانت فيها محاصيل كل بلاد (زاهي)[1] لقد كانت جنائنهم مليئة بثمارها، وخمورهم كانت في معاصرهم كالمياه الجارية، وحبوبهم على الحقول كانت أكثر من رمال الساحل. وقد غمر الجيش بالحصة التي نالها. أنظر! إن جيش جلالته كان يسكر ويمتسح بالزيت كل يوم، كما لو كان في عيد في مصر".

وبالطبع فإن الوصف أعلاه يتعلق (بعمريت) البرية وغناها، وليس بجزيرة أرواد الصخرية.

نلاحظ من ضمن النص السابق أن (عمريت) بأشجارها، ومحاصيلها كانت مشمولة بتسمية (أرواد)، ولم تكن المدينة التي نفتش عنها عبر حكم تحتمس الثالث، مع الإشارة إلى أن النص المصري سبق بقرابة 150 سنة نص رسالة العمارنة التي عاصرت حكم أخناتون (1250-1334ق.م)، وهَرب حاكم (جوبلا) ولجوئه إلى بيروت، ويبقى التساؤل فيما إذا كانت (أورو) (آ-مو-أو-را) قد أُسست آنذاك؟

نعلم كذلك، أن الملك الآشوري (شمسي - أدد) الأول (1807-1775ق.م)، كتب إلى ابنه الذي كان يشغل منصب نائب ملك في (ماري)، يُعلمه أن مسافرين قادمين من حاصور، ورسلاً موفدون من قبل أربعة ملوك من (أمورو)، هذا الخبر أعلنه العالم (ج. دوسان)، في عام (1977م) من دون عرض محتوى الرسالة بكامله، وما يعنينا هنا هو أنه منذ القرن الثامن عشر ق.م، كانت توجد أربع ممالك في (أمورو) المنطقة، فهل (أرواد - عمريت) كانت إحداها؟

9-1 (ب-2) أرواد ودورها في مراسلات تل العمارنة:

اشتملت مراسلات تل العمارنة على خمس رسائل تتعلق بأرواد، نلخص فيما يلي محتواها:

١- تعبير مصري لوصف ساحل أرواد.

- الرسالة (EA98): وفيها يسأل حاكم (بيروت) ممثل الفرعون المحلي، لماذا أهمل (صومور) = (سيميرا) لدرجة أن كافة المناطق من (جوبلا) حتى (أوغاريت) أصبحت معادية، وفي خدمة عزيرو (Azizu)[١]؟ وكذلك شيجاتا (Sigata)[٢]، و أمفي (Ampi)[٣] أصبحتا عدائيتين، وأن (عزيرو) وضع سفن (أروادا) في (أمفي)، و (شيجاتا)، بحيث لم يعد بالإمكان تزويد (صومور) بالحبوب. اكتب إلى القصر بصدد هذه القضية، وكان من الضروري إعلامك بذلك.
- الرسالة (EA101): تشير هذه الرسالة إلى أن سفن الملك يجب ألا تدخل بلاد (أمورو) بعد قتل عبدي - عشيرتا (Abdi-'Achirta)[٤] والد (عزيرو)، الذي تابع ثورته على نفوذ مصر مع إخوته. كما يتهم المرسل بأن سفن (أرواد) هي التي اعتدت عليه، وأن سفن أرواد حالياً في مصر، ويطلب مصادرتها.
- الرسالة (EA104) يوجهها حاكم (جوبلا) إلى الفرعون ليعلمه أن أحد أبناء (عبدي - عشيرتا) احتل مدينة أولآزا (Ullasa)[٥]، وأن (أرداتا)، و (واهليا) (Wahliya)[٦]، و (أمفي)، و (شيجاتا) أصبحت للمتمردين، وقد طردوا مندوب الملك منها. ثم يكرر حاكم جوبلا أسماء المدن المعددة أعلاه، مضيفاً إليها أرواد وأنها في حالة حرب ضده.
- الرسالة (EA105): هي أيضاً موجهة إلى الفرعون من قبل حاكم جوبلا، لإعلامه أن (صومور) هي سجينة كالعصفور في قفص لأن أبناء (عبدي - عشيرتا) يحاصرونها براً وسفن (أرواد) تحاصرها بحراً. كما يعلمه إنه أرسل ثلاثة سفن لنجدتها، ولكن سفن أرواد منعتها من الاقتراب.
- الرسالة (EA 749): يوجِّهها (أبي - ميلكو) حاكم صور إلى الملك يطلب منه إرسال 20 رجلاً لحماية المدينة، لأنه يريد الذهاب لمقابلة الفرعون

١- عزيرو (Azizu): هو الذي تزعم حركة التمرد بعد مقتل والده (عبدي - عشيرتا).
٢- شيجاتا (Sigata): شكا الحالية.
٣- أمفي (Ampi): أنفه في لبنان.
٤- عبدي - عشيرتا (Abdi-'Achirta): هو مطلق التمرد ضد النفوذ المصري، تابع أبناؤه حركته.
٥- أولآزا (Ullasa): مدينة قرب (سيميرا) على مصب نهر البارد.
٦- واهليا (Wahliya): طرابلس الحالية.

لأن (عزيرو) احتل صومور (Sumur)[1] وأن حاكم (صيدون) احتل (أوشو) وحاصر (صور) البحرية التي ينقصها الحطب والماء. حاكم (صيدون)، و (عزيرو) ثارا ضد الملك، كما إن رجال (أرواد) أقسموا فيما بينهم وجمعوا السفن والمركبات والمشاة للاستيلاء على (صور) خادمة الملك. ثم يقترح: وإذا ما جاء الملك بساعده القويّ فإنه سيغلبهم، ولن يتمكنوا من الاستيلاء على (صور)، إنهم استولوا على (صومور)...

يتضح من الرسائل أعلاه أن مملكة (أرواد) وأسطولها أديا دوراً مهماً في حركة التمرد، وإذا لم تذكر (عمريت) في تلك الرسائل كما ذكرت في الرسالة الأخيرة (أوشو) التي هي (صور) البرية، فإن الأهمية باعتقادنا أنها كانت تحت سلطة ملك (أرواد) آنذاك التي كانت (عمريت) خاضعة لسلطته، وسوف نتعرف فيما بعد على عدة أسماء لملوك (أرواد).

كما يمكن القول إن مملكة (أرواد) حين عقدت حلفاً مع بالتوس (Baltus)[2]، و بالانيا (Balania)[3]، و كارنا (Qarna)[4]. وإن عمريت كانت مشمولة بتسمية (أرواد).

9-1 (ج) *ساحل المتوسط وملوك بلاد الرافدين*:

تميزت علاقة الساحل الشرقي لحوض المتوسط مع الملوك الآشوريين بمزيج من الرهبة من قدرتهم على التدخل السريع، وبفوائد كبيرة أعيدت إلى تشجيع التجارة والاستفادة من قدرات الأساطيل (الكنعانية/الفينيقية) والفينيقيين أنفسهم على الاستجابة وخلق حركة تجارية برية وبحرية نامية، أدّت في الوقت نفسه إلى تقدم الحياة الاجتماعية والعمرانية.

ترك ملوك ما بين النهرين نصوصاً عديدة عن حملاتهم تلك، وسوف نشير فيما يلي إلى الأماكن التي تحدثوا عنها، والتي تعني هذا العرض.

١- صومور (Sumur): هي سيميرا التي جعل منها المصريون آنذاك مركز إقامة ممثل الفرعون المشرف على حكام مدن أمورو وهي الممالك والإمارات المحلية.

٢- (Baltus) = عرب الملك.

٣- (Balania) = بانياس.

٤- (Qarna) = القرنين.

9-1 (ج-1) تغلات فلصر الأول 1114-1074:

بعد مقدمته عن كونه الملك القوي ملك الكون، ملك آشور، ملك مناطق العالم الأربعة ترك لنا تغلات فلصر الأول النص التالي:

"بأمر من (آنو)، و (حدد) ألإلهين الكبيرين أسيادي، صعدتُ إلى جبل لبنان، قطعتُ وحصلتُ على جذوع أرزٍ من أجل معبد (آنو)، و (حدد) أ الإلهين الكبيرين أسيادي.
انتقلت إلى (أمورو)، احتليت منطقة (أمورو) بكاملها.
تلقيت جزية بلد (جوبال) = (جبيل)، و (صيدونو)، و (أروادا).
ركبت سفن مدينة (أروادا) من بلد أمورو قطعت بنجاح 3 مسافات بحرية من مدينة (أروادا)، التي هي في عرض البحر إلى مدينة (صومورو) من بلد (أمورو): قتلت في عرض البحر ما يسمونه حصان البحر...
يتابع النص إخضاع مناطق شمالية حثية.

ويمكن التساؤل هنا، ما إذا كانت (عمريت) هي (أمورو) التي انتقل إليها الملك بعد عودته من جبل لبنان (؟) واحتل بعد ذلك كامل المنطقة.

9-1 (ج-2) آشور نصير آبال الثاني الآشوري (883-859ق.م)، وملك أرواد:

تلقى (آشور نصير آبال) الثاني جزية ملك (أرواد) من الذهب والفضة والبرونز والعاج، وكان ذلك أثناء حملته في عام (876 ق.م)، وقد ترك نصاً يقول فيه إن ملك أرواد "قبل قدميه" خضوعاً[1].

9-1 (ج-3) جنود أرواد في حلف حماة لمقاومة شلمنصّر الثالث:

تابع الملك الآشوري (شلمنصّر) الثالث (858-824ق.م) الحملات على الساحل المتوسطي التي أصبحت تقليدية، وغايتها استمرار فرض السيطرة وتلقي الجزية، ولكن تزايد قوة مملكة دمشق الآرامية، ومساهمتها في الازدهار الاقتصادي في المنطقة، حين أصبحت الواحة الدمشقية تشكل نقطة التقاء القوافل المتنقلة بين الصحراء والساحل المتوسطي وصولاً إلى مرفأ صور، الذي كان الشريك الرئيس لدمشق في خدمة التجارة.

ولذا كان على (شلمنصّر الثالث) تجريد عدة حملات متتالية ضد دمشق وحماة على العاصي، وكانت حملة عام (853ق.م) أولها، وتلتها حملات الأعوام

١- وهنا يضيف العالم الأثري دورم (P.Dhorme)، الذي يعلق على مضمون النص نفسه، إن الآشوريين كانوا يسيطرون على الساحل المتوسطي "حتى أرواد، ومدينة أمورو" والتي لا يمكن أن تعني سوى (عمريت).

(849 و 848 و 845ق.م) من دون التمكن من تبديل الوضع إلا قليلاً. ثم في عام (828ق.م) جابه شلمنصّر الثالث حلفاً من اثني عشر ملكا شكله ضده ملك دمشق.

وقد روى نصب بازلتي تركه (شلمنصّر الثالث) بنهاية عام (828ق.م)، أنه جابه حلفاً مؤلّفاً من اثني عشر ملكاً عدّد منهم ملوك (دمشق)، و (حماة)، و (جبيل)، و (أرواد)، و (سيانو)، و (عمان)، و (عرب البادية). ويقول إنه تغلب على الجميع بقدرة إلهه (آشور) وتمّ ذلك في معركة (قرقار) على العاصي.

كما أشار (شلمنصّر الثالث) عبر حملته في عام (853ق.م) أنه أسر جنوداً من (سيانو)، و (أرواد)، و (أرقاتا) = تل أرقا الأمورية.

9-1 (ج-4) أدد - نيراري الخامس (810-783ق.م)، وأرواد:

عندما توفى الملك الآشوري (شمسي - حدد) (823-811ق.م) كان ولي عهده (أدد - نيراري) (810-783ق.م) صغير السن، لذلك مارست الملكية معه والدته (أسمورامات) بصفتها (ملكة - أم).

وهي التي ألف حولها اليونانيون أسطورة أشرنا إلى محتواها وخيالها من ضمن الفقرة "7-6(ج)" من الفصل السابع، كما أوضحنا حقيقتها التاريخية من ضمن الفقرة "7-6(د)" التي تلت.

أمَّا (أدد - نيراري) حين بلغ أشده قام بحملات على الساحل المتوسطي، وبعد أن فرض الجزية على كل من ملك (السامرة) (فلسطين الشمالية)، و (دمشق)، أقام نصباً تذكارياً يشير إلى كمية الذهب والفضة، التي حصل عليها من دمشق، كما فرض جزية على (صور)، و (صيدا) مضيفاً:

"ذهبت إلى البحر الكبير، بحر غروب الشمس وأقمت لي صورة ملكية في (أرواد)، وهي وسط البحر.
صعدت إلى جبل (لبنانا)، قطعت قرابة مئة جذع أرز متين لاحتياجات قصري ومعابدي"

هنا أيضاً يرد اسم (أرواد) دونما إشارة إلى (أمورو) المنطقة والمدينة المقابلة لأرواد، ولا بدَّ من التساؤل، إذا ما كانت (عمريت) آنذاك المنطقة الساحلية ذات البيوت والمنشآت الزراعية المنتشرة في الحقول والبساتين، هي التي تغنَّى بها كاتب (تحتمس الثالث) بعد عام (1500ق.م)، بحبوبها وأشجارها الجميلة وحدائقها وثمارها وخمور معاصرها، كما ورد في الفقرة "9-1(ب-1)" أعلاه؟

9-1 (ج-5) تغلات فلصر الثالث (745-727ق.م)، وثمن جزية أرواد:

عبر حكم ملك (أرواد) (ماتان بعل) الأول، أدت حكمة ذلك الملك إلى إعلان ولائه لتغلات فلصر الثالث، ودفع الجزية المترتبة عليه. لذلك نعمت (أرواد) إبان حكمه باستقلال جزئي، وساعد ذلك حركة أسطول أرواد التجاري.

9-1 (ج-6) شلمنصّر الخامس (726-722ق.م)، وأسطول أرواد الحربي:

لم يتول شلمنصّر الخامس عرش آكاد وآشور إلا عبر خمس سنوات ذهب بعدها إلى مصيره وقد تمكن من محاصرة السامرة في الشمال الفلسطيني ولكن (سرجون) الثاني هو الذي أتم سبي أهاليها في عام (720ق.م) وإسكان قبائل عربية فيها.

كما إن شلمنصّر الخامس حاول كسر كبرياء مملكة (صور) البحرية، فهاجمها بواسطة أسطول (أروادي)، قدمه له ملك أرواد (ماتان بعل)، ولكن الأسطول تحطم أمام صور.

9-1 (ج-7) سرجون الثاني 722-705ق.م، يخضع أمورو وينهي خلف حماه:

في السنة الثانية من تولي سرجون الثاني العرش، قام أحد الحمويين الذي لا حقَّ له في الحكم بجمع حلف ضد آشور، وكان رد فعل (سرجون) الثاني أنه من أجل احتلال بلدة حماة، وجه جيوشه نحو (أمورو) وبلغ حماة، كما يذكر نص سرجون مضيفاً:

"أخضعت تحت قدمي بلد (أمورو) بكامله

وذلك بعد أن كان مطلق حلف حماة، كما يقول نص محفوظات سرجون:

"ألب ضدَّي مدن (إرباد)، و (سيميرا)، و (دمشق)، و (السامرة) وأعدها للمعركة.

ويتابع نص سرجون الثاني قوله:

"عبأت جيوش آشور الوافرة العدد، وحاصرته في (قرقار) مدينته المفضلة، وقبضت عليه وأسلمت (قرقار) للنيران".

9-1 (ج-8) سنحريب (704-681ق.م)، وتعيين ملوك المدن الفينيقية:

درج ملوك آشور بصورة عامة، بعد إخضاعهم للمدن والممالك الساحلية، على تعيين ملوك محليين موالين لهم، وذلك ضماناً للاستقرار في المنطقة الخاضعة، أو ضماناً لتسديد الجزية المفروضة. وعلى هذا الأساس تمتعت ممالك فينيقية بهدوء نسبي، ومن بينها مملكة (أرواد) عبر حكم ملكها (عبدي - بعل). كان ذلك عبر حملة سنحريب الثالثة على الساحل في عام (701ق.م)، وقد ترك عن تلك الحملة نصاً طويلاً، نُقدم فيما يلي ما يفيد منه هذا العرض:

"عبر حملتي الثالثة، توجهت إلى ساحل (حاتى) أي ساحل سورية الشمالية. بريق سيادتي الرهيب قلب (لولي) "ملك (صيدونو)، الذي هرب بعيداً إلى عرض البحر، وبعدها ذهب إلى جبلة (أي توفى). سلاح آشور إلهي، قلب مدن (صيدونو) الكبيرة، و (صيدونو) الصغيرة.....

أمَّا ملك (سامرونا (السامرة)، و (أيطو بعلو) صيدونو[1]، و (عبدي ليئيتي) ملك (أرواد)... [وملك كل من (جوبلا)، و (مؤابا)، و (أمورو)، وملوك بلد (أمورو)[2]] جميعهم، فقد قدموا أربع مرات أمامي هبات سخية وهدايا ثمينة، وقبلوا قدمي".

(يتابع النص بعد ذلك تدخله في فلسطين)

9-1 (ج-9) أسرحدون (680-668ق.م)، يعزل صور البرية عن صور البحرية:

أرواد تدفع الجزية الاعتيادية إلى آشور ثمناً لحريتها النسبية، ولكن عاهل مملكة صور مدفوعاً من قبل فرعون مصر (طاهارقا) آنذاك، "نسي" أن يدفع الجزية، ولم يحترم المعاهدة التي عقدها مع آشور. وفيما يلي مقتطف من النص الذي تركه لنا (أسرحدون) في محفوظاته، فيما يخص إخضاعه مدينة (صور) في عام (670ق.م).

".... عبر حملتي أقمت تحصينات ضد (بعلو) ملك (صورو)، الذي وضع ثقته في صديقه (طاهارقا) ملك بلد (كوشو)[3]، ونبذ نير (آشور) إلهي. وما فتئ يجيبني بهجومية، قطعت عنهم الغذاء والماء الضروريين لحياتهم"...

ويقول في نص موازٍ عن الموضوع نفسه:

"(بعلو) ملك (صورو)، الذي كان يسكن في عرض البحر [....]، والذي نبذ نيري [....]، فإن جلال آشور ملك الآلهة، وبريقي كصاحب سيادة قلباه [....]، سجد عند قدمي باعتباري سيده، فرضت عليه عائدات سنوية، وكل ما تخلف عن تسديده وجزية كبيرة وبناته مزودات بمهرهن، سلخت منه مدنه القائمة في الأرض الصلبة [....]، وضممتها إلى المنطقة الآشورية.

إن ملك (أرواد) المعاصر لأسرحدون هو (ماتان بعل)

١- هو والد (إزابل) زوجة (آحاب) ملك السامرة، التي كرهتها المرويات القرائية.

٢- ملوك (آمورو) بعد ذكر أرواد، هل يعني (صومور)، و (شيجاتا)، وعرقا = (ارقاتا)؟

٣- (كوشو): هي هنا بلاد النوبة، حين سيطرت على مصر.

9-1 (ج-10) جيوش آشوربانيبال (668-627ق.م)، برفقة جيوش وسفن الساحل، تغزو مصر:

بعد أكثر من ألف عام على خضوع مصر (للهكسوس)، هذا هو (آشوربانيبال)، يوجه جيشه وقوته العسكرية نحو مصر، ترافقه جيوش وأساطيل الممالك الفينيقية، التي كانت خاضعة للإمبراطورية، أو تشكل جزءاً منها، وكان (أسرحدون) والد (آشوربانيبال)، قد حاول غزو مصر بعد حصار (صور)، كما ورد في الفقرة السابقة، وأشار إلى مروره في مدنيتي (أفق)، و (رفح) الحدوديتين.

أمَّا حملة (آشوربانيبال)، فقد حشدت عدداً أكبر من القوى، ونجحت بإخضاع (طاهارقا) ملك مصر والنوبة، وإن نص تركه (آشوربانيبال) يشير إلى تلك الحملة، كما يلي:

"(طاهارقا) الذي فرض عليه (أسرحدون) ملك (آشور) الأب، الذي ولد ني (...) نسي قوى آشور وعشتار الآلهة العظام أسيادي (...)، تملَّك الغضب قلبي وثار سخطي بسبب تلك الأحداث، رفعت يدي ورجوت آشور وعشتار الآشورية، عبأت قوى الجيوش الممتازة (...)، وتوجهت مباشرة نحو مصر، وبلد كوش"...

كان ذلك عام (667-666ق.م).

9-1 (ج-11) آشوربانيبال وأرواد:

كما فعل والده (أسرحدون) قبله، كان على (آشوربانيبال) إخضاع صور التي لم تتخل عن تمردها، وفي الوقت نفسه حاولت مملكة أرواد عرقلة التجارة الآشورية، كما إنها أبت الخضوع للسلطة الآشورية، فعمد (آشوربانيبال) إلى إخضاعها في عام (650ق.م). وبالإضافة إلى دفع الجزية، فإن ملكها (ياكينلو) رافق ابنته إلى (نينوى)، ومعها مهر ضخم، لكي يضمها آشوربانيبال إلى محظياته.

9-1 (ج-12) آشوربانيبال يختار بنفسه ولي عهد أرواد عازي بعل:

بعد وفاة (يايكينلو) ملك أرواد، توجه أبناؤه ومعهم هدايا ثمينة، وقدموا ولاءهم إلى (آشوربانيبال). وهو الذي اختار (عازي بعل) خلفاً لأبيه على العرش، وهكذا فعل قبله بزمن طويل الملك الحثي، حين اختار هو أيضاً ولي عهد مملكة (أوغاريت)، بعد وفاة ملكها (نقم عفا)، عام (1260ق.م).

بدأت (آشور) تضعف بعد وفاة (آشوربانيبال)، وكان عليها مقاومة (بابل) التي تحالفت مع الميديين ضدها، ولذا سقطت (آشور) بيد أعدائها في صيف عام (614ق.م)، على الرغم من محاولة مصر الوقوف إلى جانبها. وسقطت (نينوى) في عام (612ق.م).

توفى (نابوبولاصر) عام (605ق.م)، بعد حكم دام 21 عاماً، وخلفه على العرش (نبوخذنصّر) الثاني (604-562ق.م).

في السنوات الأولى من حكمه أي (604 و603 و 601ق.م)، كان (نبوخذنصّر) يمشي مع جيشه نحو سورية الشمالية، ويجتاز بعد ذلك كامل الساحل المتوسطي، حيث كان جميع ملوك المنطقة يحملون إليه عائداتهم الثمينة وهداياهم. وهو الذي في عام (597ق.م)، احتل مدينة (يهودو)[1] في فلسطين، وأسر ملكها الشاب ثم عيَّن عليها ملكاً اختاره هو، وفرض عليه عائدات رجع بها إلى بابل.

1-9 (ج-13) معاصرة ملوك أرواد وملوك آشور:

الملك الآشوري	سني حكمه ق.م	ملك أرواد
تغلات فلصر الثالث	(754-727ق.م)	ماتان بعل I
شمنصر الخامس	(726-722ق.م)	ماتان بعل I
سنحريب	(704-680ق.م)	عبدي بعل عبدي لئيتي
أسرحدون	(680-668ق.م)	ماتان بعل II
آشوربانيبال	(668-627ق.م)	ياكين لو عازي بعل

1-9 (ج-14) خلاصة رحلة التفتيش عن عمريت:

يتضح من جميع النصوص التي استعرضناها عن (أمورو)، و (أرواد) بشكل خاص: إن اللعنات المصرية لم تشر إلى (أرواد)، أو (عمريت)، وليس من المؤكد ومن دون استبعاد الاحتمال، أن (يامورو)، وقد أشير إلى جانبها إلى اسم (قهلامو)، تعني (أمورو) المنطقة أو المدينة (؟).

١- لم يشر النص إلى (أورو - سالم) في الجنوب الفلسطيني، بل إلى مدينة (يهودو)، أو (ياؤودو).

أمَّا مراسلات (تل العمارنة)، فقد أعلمتنا عن دور السفن الأروادية ومساهمتها في التمرد على النفوذ المصري، ووقوفها إلى جانب (عزيرو) الذي تزعم حركة المقاومة في منطقة (أمورو)، التي أشارت إليها المراسلات أكثر من مرة، وخصّت من بين مدنها (صومور)، حيث كان يقيم ممثل الفرعون المحلي.

وحدها الرسالة (EA163) ذكرت (أورو) (آ-مو-أو-را)، وقد قدمت الفقرة "9-1(ب-1)" أعلاه مناقشة عن تلك التسمية، وأبقينا التساؤل عما إذا كانت المدينة هي (أمورو)، قد أُسست بعد مضي قرابة 150 سنة على النص الفرعوني الذي يصف سخاء خضرة الساحل؟

ولا بدَّ لنا عند ذلك محاولة مناقشة تعبيري (أورو)، و (قرت)، مع الإشارة إلى أن التسمية الفينيقية الأصلية لقرطاجة هي (قرت - حداثات)، بمعنى "المدينة الحديثة"، تلك التسمية رافقت تأسيس قرطاجة عام (814ق.م)، حسب "التقاليد" والأسطورة اليونانية من قبل (ديدون)، وهي (أليسار) الفينيقية أخت ملك صور. وتعتبر الأسطورة اليونانية أن قرطاجة أُسست بعد قرابة 300 سنة، بعد سقوط طروادة قرابة (1200ق.م)، وما يعنينا هنا هو تعبير (قرت) القريب من تسمية (قرية)، والذي قد يعني القرية قبل أن تصبح المجموعة العمرانية الشهيرة التي نعرفها، وقد يلتقي ذلك مع (قرت - عمورتا).

الوارد في نص تحتمس الثالث، للقرن الخامس عشر ق.م.

أمَّا تعبير (أورو) في تسمية (آ-مو-أو-را) ومن الطبيعي أن نتذكر في هذا المجال تسمية (أورو - سالم)، التي وردت في اللعنات المصرية كما أوضحنا آنفاً. وكذلك وردت التسمية لأول مرة في نص آشوري تركه (سنحريب) عام (701ق.م)، بمناسبة تحريره لملك (عقرون) الذي أسره تابعوه، وسلموه لملك بلد (ياؤودو)، وكان سجينا في (أورشاليمو)، والتي هي بدورها كانت قرية في القرن السابع ق.م، وحين كان يشار إلى منطقة القدس الحالية، كان يستعمل تعبير بلد (ياؤودو)، أو مدينة (ياؤودو)، في نص (سنحريب).

وفيما يتعلق بهذين التعبيرين، علينا الاعتراف بصعوبة توخي الدقة اللغوية في نصوص بهذا القدم، بغية التوصل إلى المعنى المقصود من

(أورو)، و (قرت)، وقد يفيد الرجوع إلى النصوص الأصلية الأكادية، لمحاولة إزالة الالتباس المشار إليه.

وفي كل الأحوال، فقد تبين من استعراض النصوص أعلاه، أن الملوك الآشوريين تجولوا مرات عديدة على الساحل المتوسطي، وذكرت نصوصهم عدداً كبيراً من المدن والملوك، وعرفت (أرواد) في الحقبة الآشورية شهرة كبيرة، وكانت المحفوظات الآشورية تشير دوماً إلى ذلك، كما إنها كانت تشير في معظم الأحيان إلى (أمورو)، كمنطقة ممتدة بين بانياس والنهر الكبير الشمالي، وكانت (صومور)، أي (سيميرا) هي المدينة التي يتم ذكرها بعد أرواد.

ومهما كانت مكانة (عمريت) مقابل (أرواد) القرية المكملة لاحتياجات أرواد، والمنطقة الخضراء الغنية بأشجارها، وثمارها، وكرومها، وبحبوبها، ومعاصرها، وذات البيوت المتناثرة حول موارد الماء، التي أحسن استعمالها موقع عمريت، وجزيرة (أرواد). وفي حال وجود سكن على (تل عمريت) سابقاً للمرحلة الفارسية، لا بدَّ إذاً من توافر بيت وهيكل لتعبد سكان كل من أرواد وعمريت، وهذا ما سنعود إليه فيما بعد، أي بعد متابعة وضع المنطقة، بعد وفاة آشوربانيبال، وزوال آشور.

9-1 (د) *الحكم الفارسي وبناء الإمبراطورية*:

بعد زوال (آشور) فإن ملوك بابل تولّوا أمر الساحل المتوسطي، الذي كانت ممالكه تقدم الجزية والهدايا، وبعد وفاة (نابوبولاصّر) كما أشرنا إلى ذلك آنفاً بعد حكم بلغ 21 عاماً. قام خلفه نبوخذنصر الثاني، وحقّق انتصاراته في الجنوب الفلسطيني، كما انتصر على جيش مصر في (كركميش): إلا أن خليفة (نبوخذنصر)، وهو (نابونيد)، كان ملكاً ضعيفاً مهتماً بمعتقداته الدينية، أكثر من اهتمامه بمصير (بابل) التي ابتعد عنها ليقضي مدّة طويلة في واحة (تيماء)، إلى أن سقطت بابل في السنة السابعة عشر من حكمه، في عام (539ق.م)، على يدّ (كورش) الفارسي. تأسست بعد ذلك الإمبراطورية الفارسية من قبل داريوس الأول (521-486ق.م)، مشتملة على ما كانت عليه إمبراطورية (آشور)، مع التوسع الشرقي نحو أفغانستان الحالية والشواطئ الجنوبية لبحر قزوين والبحر

الأسود، وهي المناطق التي كان (كورش) قد أخضعها، مضيفاً إليها منطقة تراس (Thrace)[1] على الشاطئ الغربي للبحر الأسود، حتى حدود منطقة (مكدونيا).

تلك كانت خارطة العالم القديم آنذاك، ولم يبق أمام الإمبراطورية الفارسية سوى التوسع غرباً نحو بلاد اليونان، وهي التي كانت تطلّ على الجزر اليونانية من الساحل الشرقي لآسيا الصغرى.

وكما كان الآشوريون يشجعون التجارة، فقد تابع الفرس إنماءها بدورهم. وكان للفينيقيين دورهم في ذلك. وكذلك بلاد الأناضول، كما عرفت تلك المرحلة تأثر بلاد اليونان بالحضارة الشرقية، مما كان يشكل خطراً على استمرار بناء الحضارة الهيللّينية.

ثمّ حين أخضع الفرس مدينة (سارْد) القديمة عاصمة (ليديا)، وأزالوا حكم (كريزوس) الذي اشتهر بغناه الأسطوري، فإن مدينة (إسبارطة) اليونانية حاولت الدفاع عن (سارْد) ضد الفرس. كما إنه حين ثار الإيونيون على الفرس بعد فشلهم في إخضاع جزيرة ناكسوس (Naxos)[2] عام (499ق.م)، فإن (أتينا) دعمت الثورة بإرسال 20 سفينة، كما ساهمت منطقة إيريتري (Eretrie)[3] بخمس سفن. أمَّا ردّ فعل (داريوس) فكان عنيفاً، إذْ احتل مدينة ميليت (Milet)[4] بعد معركة بحرية أدت إلى تدمير الأسطول الإيوني، وإنهاء التمرد، وكذلك نفي عدداً كبيراً من سكان (ميليت)، كما إنه استولى على كنز الإله (أبّولون)، ونقله إلى عاصمته (سوز).

٩-١ (د-١) الحروب الميدية:

أشرنا آنفاً إلى احتلال منطقتي (تراس)، والاقتراب من (مكدونيا) وكان ذلك في عام (492ق.م)، ثمَّ بعد سنتين، في عام (490ق.م) قامت حملة فارسية من (كيليكيا) متوجهة إلى بلاد اليونان بقصد تلقين أتينا درساً، بسبب دعمها التمرد، أمَّا الغاية الخفية، فكانت تسعى لوضع البلاد اليونانية بأكملها تحت نفوذ "الملك الكبير". تلك كانت بداية ما عرف بالحروب "الميدية" التي شهدت أول لقاء. بين الفرس واليونان في خليج (ماراتون)، حيث كان اليوناني (هيبياس) الحاكم السابق (لأتينا)، يرافق الجيش الفارسي، ويسعى إلى استعادة سلطته على (أتينا).

١- تراس (Thrace): هي المنطقة الواقعة إلى الشمال الشرقي من بلاد اليونان يحدها شرقاً البحر الأسود.

٢- ناكسوس (Naxos): هي أكبر جزر السيكلاد إلى الجنوب من بحر إيجة.

٣- إيريتري (Eretrie): مدينة إلى الشمال الشرقي من (أتينا)، على بعد حول 60 كم.

٤- ميليت (Milet): مدينة قديمة إلى الجنوب من (سارد)، عاصمة (ليديا).

عرفت الحروب الميدية عدّة معارك بحرية وبرية بين الفرس واليونان، وليس من أهداف هذا العرض الدخول في تفاصيلها لكن ما يعنينا هنا، هو الإشارة إلى تطور الإستراتيجية الحربية، والاعتماد على الأساطيل البحرية المحاربة، مما يزيد بالنسبة للفرس من أهمية سفن المرافئ الفينيقية، واعتماد الفرس على أساطيلها في كل من (أرواد)، و (صيدا)، و (صور)، و (قرطاجة).

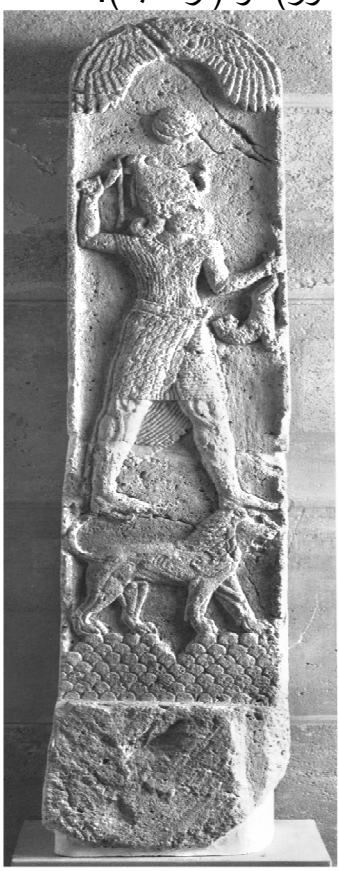

نصب من تل كزل، أي موقع سيميرا، على نهر الأبرش قرب عمريت:
قُدّر تاريخ النصب بين القرنين السادس والثامن ق.م، وهو يمثل الإله الشافي شاد رفأ في وضعية عدائية ضد قوى الشر والمرض. يقف الإله على أسد، كما رمز إلى الجبال تحت قوائم الأسد. يرفع الإله بيده اليمنى هراوته ويمسك بيده اليسرى شبل أسد. يبدو على تصميم النصب التأثير المصري دون الابتعاد عن النموذج الفينيقي، مذكراً بكل من الإلهين بعل وحدد.

1-9 (د-2) مرحلة عمريت، وازدهارها:

وبالإضافة إلى ذلك فإن التجارة البحرية والبرية سجلت نمواً وازدهاراً شجعته الإمبراطورية الفارسية واستفادت منه، كما انتشر العمران على الساحل الفينيقي، منذ بداية حكم (داريوس) الأول عام (521ق.م)، وأصبحت (أرواد) وممتلكاتها البرية (ولاية) لها أهميتها في الإمبراطورية، حتى إنها ضربت عملة فضية خاصة بها، وسمح لها بممارسة نوع من الحكم الذاتي.

إن ملك الفرس "الملك الكبير" كان يملك قصراً فخماً على الجزيرة، وبالطبع تبعه عدد من تابعيه، ويمكن القول إن عمريت في تلك الحقبة حقّقت نمواً

لم تعرفه من قبل بانتشار سكنها، وأصبح معبدها في حوضه المقدس، ومياهه الشافية محجاً للمتعبدين (لملكارت)، وللإله الشافي (شد - رفأ)، وكان (لا يمحوتب) المصري المؤله دوره أيضاً في الشفاء في عمريت، وهو الذي وجد فيه اليونانيون إلههم (إيسكلابيوس).

9-1 (د-3) ردود فعل فينيقية للتحرر:

وبصورة عامة يمكن القول إن سياسة الحكم الفارسية في الإمبراطورية، كانت تسعى لكسب ود المتنفذين في مناطقهم، تاركةً لهم ولشعوبهم حرية الممارسة الدينية، واحترمت تقاليدهم. ولكنها فرضت إتاوة مالية كان على كل مواطن تسديدها كضريبة سنوية، وعلى الرغم من ذلك برز اهتمام الحكم الفارسي ببناء الطرق والمعابر في كافة أنحاء الإمبراطورية، مما سهل التبادل التجاري، وأدّى إلى دخلٍ إضافي لممارسي التجارة، ومن ورائهم العائلات الحاكمة...

كل ذلك أدى إلى خلق هوةٍ بين الشعب وحكامه، وأبلغ مثلٍ على ذلك، هو أن الأسرة المالكة في صيدون، كانت على علاقة جيدة مع الملك الفارسي، وقد ساعدته في الحروب الميدية بتقديم أسطولها البحري كما فعلت مملكة (أرواد)، ولم تكن سياسة الأسرة المالكة في صيدون تتوافق مع إرادة الشعب الصيدوني، الذي كان ضد الاحتلال الفارسي شجعه على ذلك معارضو الحكم من الاستقلاليين، وقد أثبتت هذه الحقيقة أن الصيدونيين أنفسهم هم الذين استدعوا الإسكندر لدخول مدينتهم، كرهاً بالفرس، و (بداريوس) الثالث، الذي كان ممثله يقيم آنذاك في (صيدون). كما إن جزيرة أرواد استسلمت للإسكندر وأبدى ابن ملك (أرواد) خضوع الجزيرة ومملكتها، وقدَّم للإسكندر تاجاً ذهبياً رمزاً لذلك، بينما كان ملك (أرواد) على رأس أسطوله في خدمة (داريوس)، مع ملك (جبيل)، وملك (صيدا) كما أوضحنا آنفاً. أمَّا صور فهي التي قاومت الإسكندر، واستولى عليها وهدمها بعد حصار عنيف اضطّره لخلق طريقٍ صلب بواسطة ردم صخري في البحر، للوصول إلى المدينة المحاصرة.

لم يدخل الإسكندر أرواد بعد أن خضع له أميرها ولي العهد، ولكنه في عمريت المدينة النامية استقبل مبعوثي الملك (داريوس)، الذين طلبوا منه أن يعيد إلى ملكهم والدته وزوجته وأولاده، الذين اعتقلهم الإسكندر.

تلك هي قصة الساحل الفينيقي وملخص الأحداث التي عرفها بعد آشور وبابل والفرس حتى الإسكندر المكدوني، وهي الأحداث التي عاشتها (عمريت)، و (أرواد). وحين فتشنا عن (عمريت) عثرنا على عدة مراحل في حياة المدينة، ولا بدَّ من التوسع في عرض معالمها.

9-2- عودة لعمريت: المعبد الأقدم، والمدينة المرافقة:

درجت بلاد الرافدين منذ سومر، ومنذ الحقبة البابلية القديمة التي تلتها، على اعتبار المعابد بأنها بيوت الآلهة، وهي مقرهم على الأرض. وعن سومر ورث البابليون والآشوريون هذه التسمية، التي لا نزال نستعملها حتى اليوم.

كان الملوك القدماء يهتمون دوماً بترميم وتجميل المعابد، أو إعادة بنائها باحترام موقعها الأقدم، نظراً لقداسة المكان، وتلك العادة ورثتها بلاد فارس عن بابل، ونفذتها في إمبراطوريتها. ومن الطبيعي أن ينطبق ذلك على (عمريت)، وبالإضافة إلى ذلك فإن الاحتفاظ بما تحطم من تماثيل ومقدسات معبدٍ ما، قبل هجره لأسباب قاهرة، كان يُرمى كل ما أريد المحافظة عليه في بئر يحميه. وهذا ما حدث في (أللاخ) في مملكة صغيرة على العاصي في الشمال السوري، كان يحكمها ملك اسمه (إيدريمي) في بداية عام (1500ق.م)، وهو مؤسس المملكة التي حفظت تمثاله، تقديراً لما حققه لمن خلفه في معبد المدينة، التي هاجمها عدو ودمّرها عام (1200ق.م)، وحطم تمثال الجدِّ المؤسِّس.

لم يشأ عند ذلك المهتمون بالمعبد هجر المدينة، إلا بعد جمع حطام تمثال (إيدريمي)، وإيداعه في بئر لحمايته. وهكذا عَثرَ على تلك الأجزاء، المنقبون المعاصرون، ومن حسن الحظ فإنهم تمكنوا من ترميم التمثال، الذي يحمل نقشاً روى قصة هذا الملك الذي كان أحد أبناء ملك حلب، هرب مع إخوته بسبب حادث "مشؤوم"، وبعد مدّة من إقامته في (إيمار)، وهي (مسكنه) الحالية، انتظر الوقت الملائم لجمع مساعدين له من أهالي منطقته، وأبحر معهم إلى ساحل (أللاخ)، واحتلها، واعترف بملكيته عليها الملك الحوري آنذاك.

9-2 (أ) *عمريت القديمة*:

منذ أن شغل الأموريون في بداية الألف الثاني الساحل المتوسطي لا سيما في المنطقة التي حملت اسمهم، ومن الصعب مقابل صخرة جزيرة أرواد، عدم قيام مدينة حيث تتوافر المياه في كلٍ من نهر عمريت ونبع التل ونبع الحيّات. والتل التراكمي الذي نسب إليه المنقبون نبعاً ينبعث من قاعدته، لم يتراكم من دون إشغاله من قبل من سكنوه عبر حقب متتالية، مع الإشارة إلى أن تل (عمريت) تحيط به جنة أرضية بإنتاجها المتنوع، وصَفها نصٍ تحتمس الثالث في بداية القرن الخامس عشر ق.م. كما إنه من الصعب تصور سكن منطقةٍ غنية وسخية مثل عمريت، من دون أن يهتم ساكنوها بإقامة مكانٍ لعبادتهم، ولعبادة بحّاريهم وصيّاديهم، الذين يقيمون على الصخرة المقابلة (أرواد).

ومن المفيد مقارنة "عمريت" القديمة مع (أوغاريت)، التي تأسست في الحقبة نفسها، وشكلت مع الزمن تلاً تراكمياً تحيط به مياه نهرين هما نهر (شْبَيِّب)

في الشمال الشرقي ونهر (الدلْبة) في الجنوب، يلتقيان في غربه ليشكلا نهر الفيض. تل (أوغاريت) يبعد عن مرفأ المدينة الذي هو (مينة البيضا)، ومرفأ (أوغاريت) قرابة (1700)متر، عن القصر. وقرابة (1000)متر عن الأكروبول (الحي العالي)، حيث المعبدين. الفارق الوحيد هو أن مرفأ عمريت القديمة هو (أرواد)، والأصح القول إن ساحل (عمريت) الذي لا يملك خليجاً مرفئياً حامياً، كان شطّاً مَكّملاً لأرواد يساعد على نمو أرواد، ولم تكن هناك ضرورة لنموِّ عمريت القديمة آنذاك، حيث كان لكل منهما دوره.

ملكارت (هيراكلس) معبد عمريت

2-9 (ب) *فافيسّا معبد عمريت*:

كشفت الحفريات في عام (1954م)، في معبد (عمريت) بجوار ما عرف بمستودع المقدّسات (الفافيسّا)[1] عن كسر فخارية تعود إلى القرنين السادس والخامس ق.م، وهي عبارة عن أسرجة كنعانية (فينيقية) ذات قعر مستقيم وحرف قائم وفوهة مقروصة، عُثرَ كذلك على كسرٍ فخارية ذات طلاء أسود لامع، ولم يعثر على أي بقايا لأباريق ذات غشاء مثقوب، تعود لحقب أحدث. وعلى هذا الأساس أمكن الاستنتاج أن المعبد عرف مرحلتين لبنائه.

ثم بمقارنة معبد الحقبة الأخمينية مع معابد أخرى من القرن السادس ق.م، يمكن مقاربة النشاطات الأولى لمعبد عمريت ذي المياه المقدسة، مع المعابد الأهم المقامة أو المجددة على سفوح المرتفعات من قبل الأخمينيين، في كل من (جبيل)، و (صيدون)، و (القدس) تكريماً للآلهة المحلية.

وهنا في (عمريت) حيث كان يتعلق الأمر بتكريم الإله ملكارت/ بعل، وفي صيدون فإن معبد (إشمون) تمَّ بناؤه اعتباراً من عام (525ق.م)، فوق المعبد الأقدم في زمن السيطرة البابلية الجديدة، قبل سقوط بابل. أمَّا في (جبيل) فإن المعبد المعروف بمعبد "المسلاّت" أقيم هو أيضاً فوق معبدٍ أقدم، كما تمَّ ذلك في (القدس)

١- يقع هذا المستودع على بعد 100م من المعبد في هضبة مستطيلة اعتبرت مقلعاً من قبل الأهالي، وفيها عثر المنقب (دونان) في عام (1926م)، على عدد من التماثيل، التي استكملت أثناء حفريات (1954م).

فإن المعبد الأخميني، تمَّت إقامته فوق المعبد الذي هَدَمه جنود نبوخذنصر، في عام (586ق.م).

يعني ذلك، أن المعبد في (عمريت)، الذي أقامه الأخمينيون، اتبع عادة المحتلين القدماء البابليين أو الفرس باحترام المعابد المحلية، والأماكن المقدسة التي تحترمها الشعوب. وإقامة المعبد الجديد في الموقع نفسه، وهذا ما حدث بالنسبة لمعبد (عمريت) في مرحلته الفارسية الأخيرة، كما قدم لنا المنقبان (دونان)، و (صليبي) فكرة مجسمه عمّا كان عليها في الحقبة الأخمينية.

وقد أعلمنا المنقبان (دونان وصليبي) أنهما عثرا في (الفافيسّا)، وهي مستودع المقدسات، على عدد من التماثيل للإله (ملكارت/هيراكلس)، والمتعبدين حاملي التقدمات، وتمثال (إيمحوتب) المصري المؤله كبطل للشفاء، قلده اليونانيون في اعتماد إله طب هو (إسكليبيوس). إلا أن (الفافيسا) احتوت أيضاً على بقايا أعمدة صغيرة وتتويجات تعود إلى المعبد الأقدم، على اعتبار أن المنقبين لم يجدوا لها أي موضع لاستعمالها في المنشأة الأخيرة، التي عَثَرا على معظم عناصرها متراكمةً في الحوض.

9-2 (ج) *هل موقع الناووس الحالي يعود إلى المعبد الأقدم*؟

لا شك بأن أهم جزءٍ من أي معبد هو (الهيكل)، المكان المحدد لإقامة الإله أو الآلهة، وهو (قدس الأقداس) الذي يحتوي على تمثال الإله، أو ما يرمز إليه.

وقد عوّدنا الفينيقيون على تمثيل ألهتهم بواسطة "حجر قائم"، أو مسلات صغيرة أو كبيرة، كما في معبد سيّدة (جبيل). ومثل تلك الرموز الإلهية سواء أكانت أحادية أو ثلاثية تمثل (ثالوث الآلهة)، عُثر عليها في جزيرة كريت في هياكل صغيرة عرضتها الفقرة "4-5(أ)" و "4-5(ب)" من الفصل الخامس، والتي لها شبه كبير مع ناووس (عمريت)، سواء أحافظ التجديد الأخميني على شكل الناووس القديم أم جدّده، فإن المؤكد، هو أن موقعه حيث هو اليوم لم يتبدل، بدلالة حفر الصخر من حوله لخلق حوض كبير، والمحافظة عليه (أي على موقعه القديم).

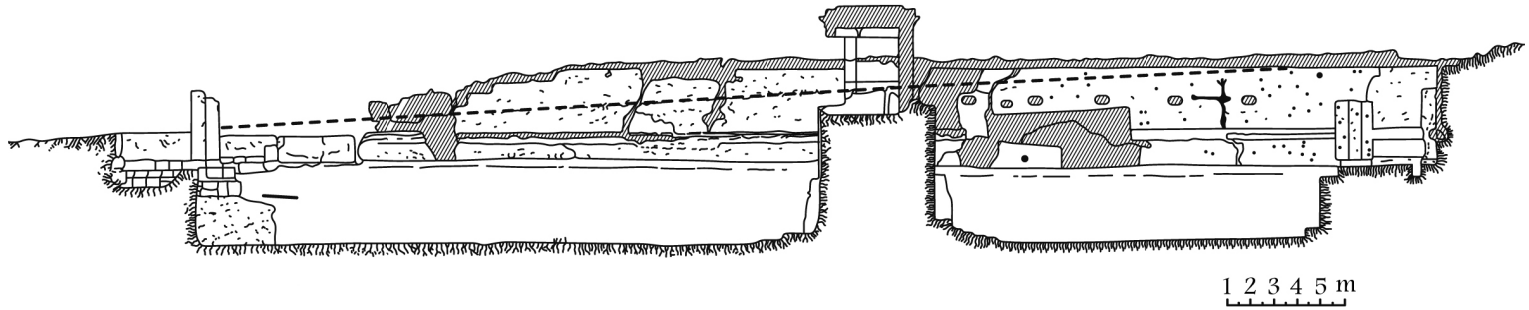

المعبد الأقدم في عمريت الذي سبق التجديد الفارسي كان، كما هو مرجح، قد أقيم حول الموقع الحالي للناووس الذي تمت المحافظة عليه، وعُمِد إلى حفر الصخر الرملي من حوله. فكان الحوض الحالي الذي يتلقى المياه الشافية. يُظهِر مقطع الحوض أعلاه أن الناووس المحافظ عليه، أو على موقعه على الأقل، كان قد أقيم فوق مستوى الأرض المجاورة. يبدو ذلك بوضوح في الصورة الثانية، حيث نرى مستوى المربع الصخري الذي بني فوقه الناووس يماثل منسوبه منسوب الأرض المجاورة

وبقصد الاستفادة القصوى من المياه الشافية، فقد عمد التجديد الأخميني إلى إحاطة تلك المياه بمعبد فخم، كما يُظهِرُ الرسم المرافق، حيث نشهد الأروقة المحيطة بالحوض المقدس، وفي وسطه الناووس. ويعتقد أن التماثيل العديدة المكتشفة كانت موزعة في الأروقة، بين الأعمدة المحيطة بالحوض المقدس. وبالإضافة إلى ذلك، فإن اكتشاف تماثيل لـ (إيمحوتب) وزير وطبيب وحكيم الفرعون (زوسر) من الأسرة الثالثة، وهو الذي اشتهر بالشفاء، وقاربه اليونانيون مع إلههم (إسكليبيوس)، كل ذلك يدعم فكرة المياه المقدسة في (عمريت)، التي كانت تحمل الشفاء، سواء أكان ذلك بالاغتسال أم بالوضوء.

وبما أننا في معبدٍ قديم كانت تغذيه على الأرجح مياه شافية، فلا يستبعد أن المعبد القديم كان يحيط به حوض صغير قبل حفر الحوض الكبير؛ بركة نتصورها رباعية الشكل، وذات عمق بسيط تتلقى مياه نبع التل، والتي يستعملها المتعبدون لممارسة طقوس اغتسال يشبه الوضوء، يسبق تقدمهم إلى الإله[1].

مثل هذه الفرضية، قد تكون هي التي أوحت للمهندس الأخميني، أو المحلي حفر الصخر الرملي حول (الناووس)، لخلق حوض كبير. تحيط به أعمدة وتماثيل، وإقامة المعبد الفخم الذي اقترح علينا المنقبون بالاعتماد على الأجزاء التي جمعوها، منظور ما كان عليه معبد (عمريت) في شكله الأخير.

9-2 (د) *الميرلونات الزينية في معبد عمريت*:

يمكن القول إن الأخمينين ورثوا الميرلونات (المسنّنات الثلاثية الشكل) (الشراريف)، عن بلاد الرافدين. واستعملها كذلك الساحل الكنعاني/الفينيقي، وهي ناتجة في أساس تشكيلها عن ترتيب مدرّج لأجرّات البناء، وإنه عثر على ميرلونات ذات سبع درجات.

١- كما إن تلك المياه يدعمها دور الإله اعتبرت (شافية)، و (مطهِّرة).

تتويج بوابة عشتار في بابل

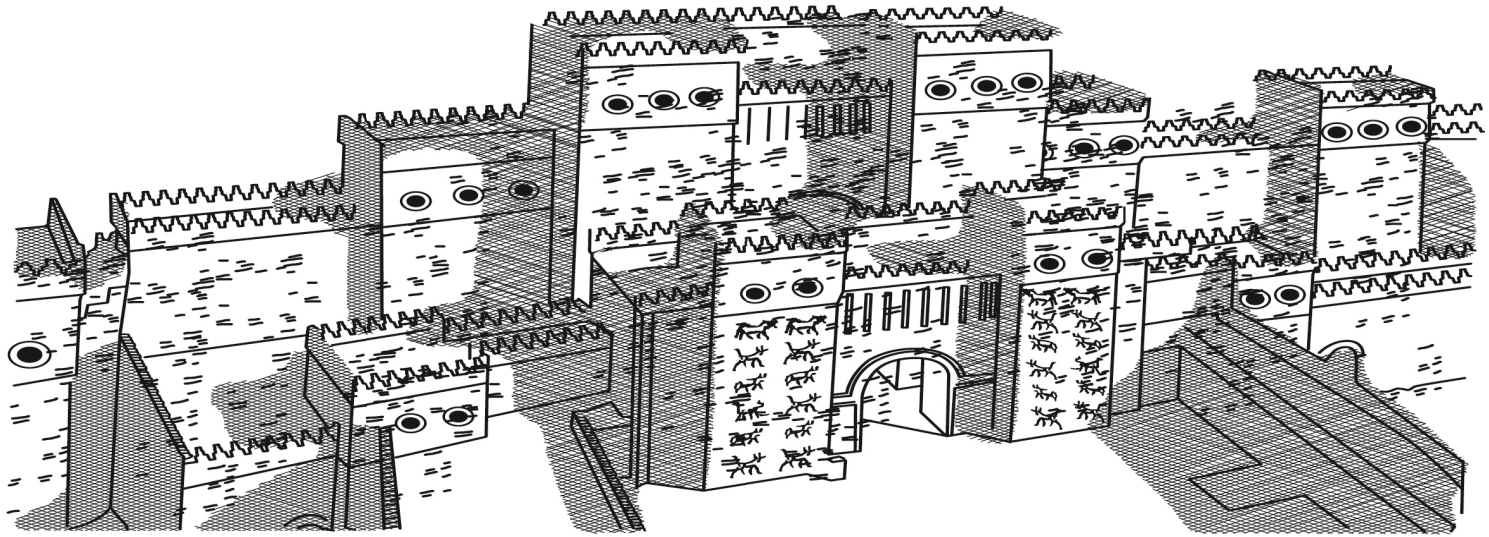

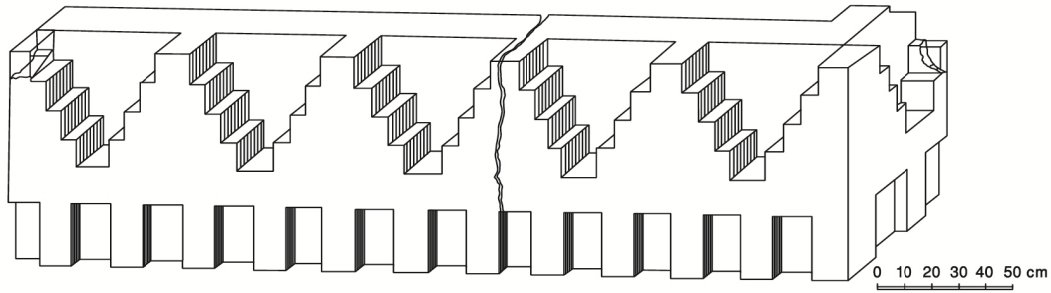

ميرلونات معبد عمريت

بالنسبة لميرلونات الناووس "المليئة" أو المخرّمة، بينما الميرلونات المفرغة قد استعملت في قاعدة الناووس، بحيث تبنى المنقّبان (دونان وصليبي) أن تكون المفرغة مستعملة في التتويج العلوي، بحيث تظهر للعين من عبرها السماء الزرقاء، أو سماء الليل تزينها النجوم، ويمكن عدم الأخذ بهذا التبني، على اعتبار أن داخل (الناووس) كان مكسياً بطبقة بيضاء ناصعة، كما كان القسم الأعمق من سقف الناووس محمّلاً بثلاثة مربعات تزينية بارزة، كل ذلك يساعد على الاعتقاد بأن الميرلونات المليئة التتويجية، كان من شأنها عدم لفت نظر المتعبِّد إلى ما هو خارج الناووس، بل إلى ما بداخله حيث كان يوجد تمثال الإله، أو الرمز الذي يمثله.

9-2 (هـ) *معبد عمريت القديم والمدينة القديمة*:

اعتماداً على ما عُرض أعلاه، فإن الاستنتاج الممكن أو المستوجب تقديمه عن (عمريت)، هو أن المعبد القديم الذي تأكد وجوده قبل التوسيع والتحسين الذي عرفه المعبد الأخير الأخميني، لم يكن معزولاً عن السكن بجواره في مدينة صغيرة، أو عن مجموعة سكانية، مارست طقوسها التعبدية فيه، وعن كهنةٍ لخدمته واستقبال متعبدي (أرواد). هذا ما يمكن اعتباره (عمريت)، التي فتشنا عنها عبر النصوص الآشورية، التي تحدثت عن (أرواد)، من دون الإشارة إليها لأنها على الأرجح لم تلفت نظر الملك الآشوري كما لفتت نظره (أرواد) التي هي في "عرض البحر"، كما ورد ذلك في أحد النصوص. وكذلك هي (عمريت)، أو (قرت - عمروتا) التي ذكرها نص تحتمس الثالث في القرن الخامس عشر، ولا يستبعد أن تكون قد زالت، أو هجرت بسبب غزو "شعوب البحر" وهم الذين، حسب اعتقاد بعض الباحثين الغربيين، استقروا في (آمور) (؟)، وكانوا من البحارة المهرة وهم كما يقول هؤلاء الباحثون، الذين علّموا أهل الساحل الأصليين، حيث نشروا استعمال الأشرعة الكبيرة، والسفن ذات القعر غير المسطح وذات مقدمة ومؤخرة عالية التي تسمح لهم بتحقيق الأسفار البعيدة، وهم الذين فتحوا المجال البحري أمام الفينيقيين. وقد تبنى مثل هذا الرأي كل من (أولمستد)، و (برتتشارد)، وعارضه الأب دوفو (Devaux) في كتابه الصادر عن جامعة

القديس يوسف اليسوعية في بيروت، ويمثل الرسم الجداري في أحد مدافن (طيبا) الفرعونية، دليلاً ينقض ذلك الادعاء[1]، كما إنه من السهل معارضة هذا الرأي الذي تعمّد تجريد الفينيقيين من تفوّقهم البحري أثناء الحقب السابقة لغزو "شعوب البحر"، والمثل الأشهر على ذلك هو (أوغاريت) ونشاطها التجاري وعلاقاتها مع (قبرص)، و (كريت)، وجزر بحر إيجة، يضاف إلى ذلك نشاط كلٍ من (جبيل)، و (صيدون)، و (صور) وقد عرض الفصل الثامن دور الفينيقيين، وتواجدهم حيث كانت تتوافر فلزات المعادن في كامل حوض المتوسط، وصولاً إلى المحيط الأطلسي.

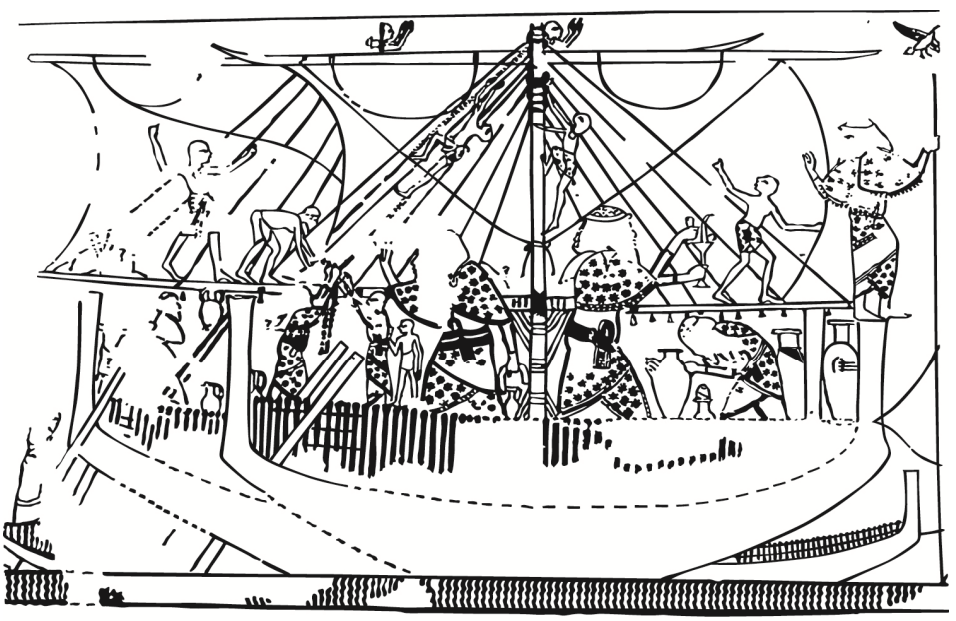

رسم جداري في قبر كينامون في مدينة طيبا الفرعونية يعود إلى القرن الخامس عشر ق.م يمثل سفينة سورية قادرة على الإبحار لمسافات بعيدة دون المساحلة

١- عن كتاب L'Univers Phénicien.

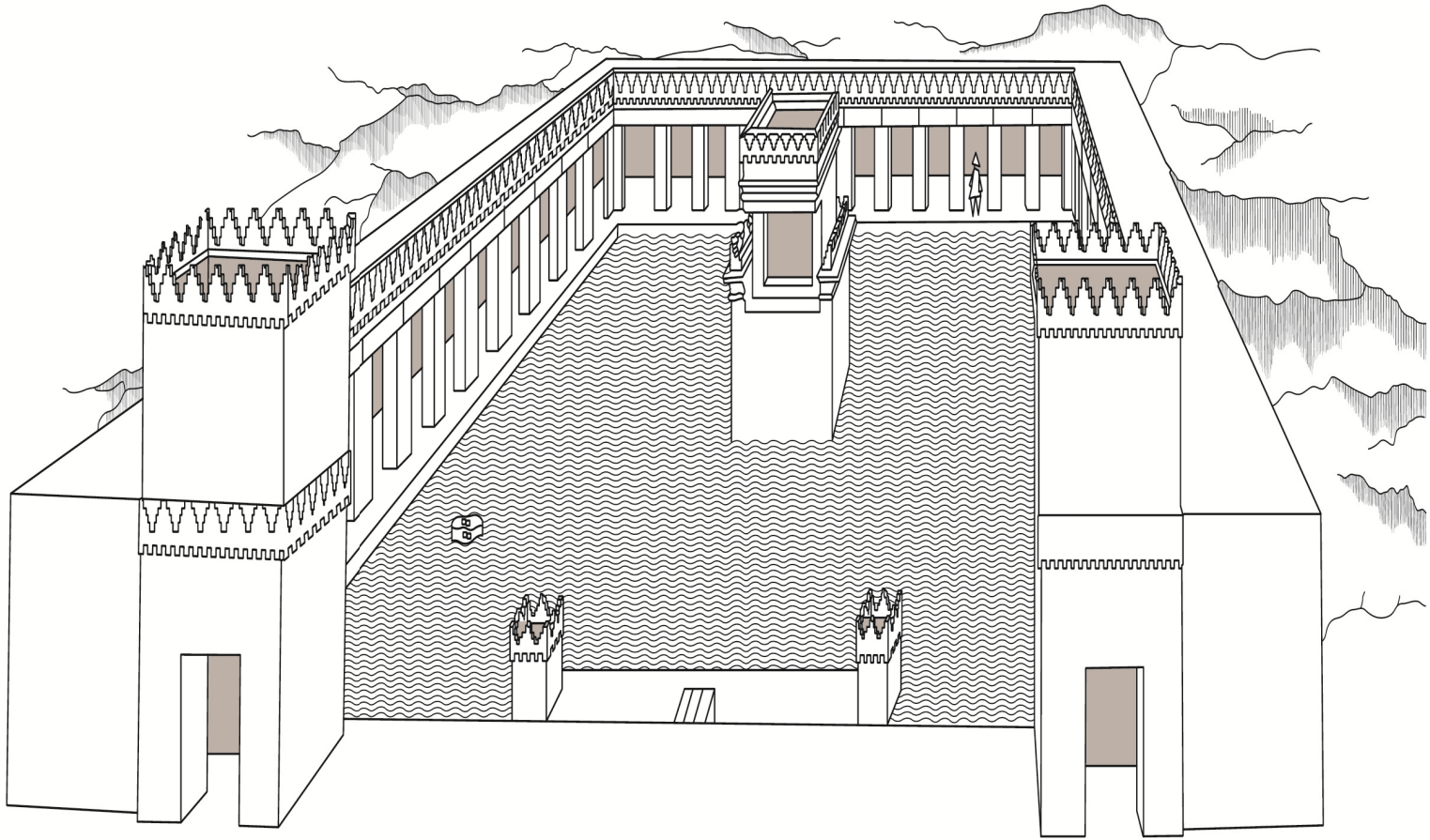

معبد عمريت المجدد في الحقبة الفارسية

9-2 (و) **عمريت الحقبة الفارسية وبلاد اليونان:**

دخلت (أرواد) وغيرها من مدن الساحل تحت نفوذ الحكم الفارسي، بعد أن احتل (كورش) بابل في عام (539ق.م)، وتمّ بعد ذلك بناء الإمبراطورية الفارسية، باحتلال (قمبيز) مصر عام (525ق.م)، واحتلال الشاطئ الأسيوي المطل على بحر إيجة حيث كان اليونانيون يملكون مراكز تجارية في مدنها، وكان الفينيقيون على منافسة متفوقة معهم.

كما كان الفينيقيون، في الوقت نفسه يتعاونون ويتبادلون المصالح مع الفرس، وكذلك كان الأمر بالنسبة لبعض المدن اليونانية، و (طيبا) بشكل خاص، وهي التي لم تقف أثناء الحروب الميدية إلى جانب اليونان. كما إن الحروب الميدية ومعاركها البحرية أدّت إلى ازدياد أهمية الأساطيل الفينيقية، لكل من (أرواد)، و (صيدا)، و (صور)، ومساهمتها في تلك الحروب إلى جانب الفرس.

وعلى الرغم من اعتبار اليونانيين مع المغالاة، بأنهم حققوا انتصارات على الفرس في معركتي (ماراتون) عام (490ق.م)، ومعركة (سلامين) عام (480ق.م)، فإن النفوذ الفارسي تزايد في بلاد اليونان، وانقسم اليونانيون إلى متعاون مع الفرس لمصالح خاصة وإلى معادٍ لهم، وأصبح ملوك فارس ولا سيما "الملك العظيم" (داريوس) يفرض مصلحة الإمبراطورية على المتعاونين معه من القادة اليونانيين، الذين كانوا يأملون العودة إلى الحكم في بلادهم، واكتفى الفرس آنذاك بذلك الوضع مما استوجب عدم الاحتلال، كما إن الخلافات الداخلية في البلاد اليونانية لم تتوقف، إذْ إنه بعد حقبة حكم (بيريكليس) التي يفتخر بها اليونان في (أتينا) بين عامي (443 و 429ق.م)، عاد اليونانيون بعد وفاته إلى الحروب الداخلية، أي حروب (البيليبونيز) بين (أتينا)، و (إسبارطة) وأحلافهما.

خسرت (أتينا) هذه الحرب بعد أن كانت بواسطة فيما عرف بحلف (ديلوس) في عام (478ق.م) مستفيدة من الحروب الميدية، فقد أسست لنفسها إمبراطورية "داخلية" تشمل عدداً من مدن البلاد اليونانية التي فرضت عليها مساهمةً مالية، وعاملتها بطرائقٍ ديكتاتورية، بعيدة كل البعد عن الديمقراطية المثالية التي روّجت لها، أو بالأحرى التي رَوّجَ لها عدة مؤرخون غربيون منذ القرنين 19/18 الحديثين. وبالإضافة إلى ذلك، فبعد خسارة (أتينا) حربها مع (إسبارطة)، عرفت في عام (404ق.م) حكماً إرهابياً على يد مجموعة الثلاثين، تلا ذلك في عام (338ق.م)، انتصار (فيليب) المكدوني والد الإسكندر على اليونان في معركة (كيّرون). ثم في (334ق.م)، تحرك الإسكندر نحو بلاد فارس، ثم نحو مصر وفي عام (333ق.م)، أعلنت له الطاعة مختلف المدن الفينيقية، وانضمت إليه ماعدا (صور)، و (غزة) مما اضطره إلى محاصرتهما واحتلالهما.

بعد وفاة الإسكندر في بابل عام (323ق.م) توزعت إمبراطوريته على جنرالاته وبدأت بعد ذلك الحقبة (الهلنستية)، التي تعرف عبرها اليونانيون على كل من حضارة بلاد الرافدين ومصر، وجاءت "الأعجوبة اليونانية" بنتيجة ذلك.

9-2 (ز) *رسل داريوس الثالث، ومقابلة الإسكندر في عمريت*:

أشارت الفقرة "9-1(د-2)" أعلاه إلى نمو (عمريت) العمراني، بعد أن أصبحت (أرواد) عاصمة الولاية في الإمبراطورية، وكان "للملك الكبير" قصره في (أرواد)، كما استقر على الساحل في (عمريت) عدد منّ تابعيه، ونمت التجارة البرّية التي كما أسلفنا سهّلتها الإمبراطورية. مما كان أيضاً من الأسباب التي استفادت منها عمريت منذ نهاية القرن الخامس ق.م. ثم بعد انتصار الإسكندر الكبير على الفرس في معركة (إيسوس) عام (333ق.م)، فإنه اجتاز الفرات بعد ذلك في عام (331ق.م)، وتغلب على الجيش الفارسي في منطقة شمال (آشور)، بينما انسحب (داريوس) الثالث إلى بلده الأصلي، لإعادة تنظيم جيشه.

ثم في (عمريت) استقبل الإسكندر رُسُلَ (داريوس) الثالث، الذين كانوا مكلفين من قبل الملك المهزوم بطلب تحرير زوجة داريوس وأبنائه ووالدته، الذين كان قد أسرهم الإسكندر عبر إحدى المعركتين.

بعد دخول الإسكندر (بابل) من دون معركة، وجعلها عاصمة لإمبراطوريته، تابع معاركه في بلاد فارس محتلاً معظم العواصم الأخمينية، وأهمها (سوز)، و (برسيبوليس) وكان ذلك في عام (327ق.م). بقي داريوس الثالث ملاحقاً، من قبل جنود الإسكندر، إلى أن قضى مغتالاً على يد ضباطه.

أمَّا الإسكندر الذي كان كثير الإعجاب بحضارة (بابل) وأراد وهو على طريق فتوحاته العودة إليها عن طريق الخليج عام (326ق.م)، بغية التعرف على جنوب البلاد، ورصد المشاريع التي يمكنه تحقيقها لتحسين المنطقة، ولكنه أصيب في صيف (323ق.م) بمرض أقعده، وهو نوع من حمىً الملاريا، وتوفى في بابل في العاشر من حزيران/يونيو عام (323ق.م)، ودفن في الإسكندرية.

9-3- عمريت الحقبة الهلنستية:

لا بدَّ من التذكير بسرعة أن الجنرالات الذين بنوا مع (الإسكندر) إمبراطوريته اجتمعوا بعد وفاته في (بابل)، وتوصلوا إلى اتفاق أولي لم يرضِ (أنتيباتر)، وهو أحد الجنرالات، والذي كان مكلفاً بإدارة (مكدونيا) أثناء غياب الإسكندر وعين آنذاك (فيليب) الثالث شقيق الإسكندر ملكاً بالإضافة إلى (الإسكندر) الرابع، وهو ابن الإسكندر الذي لم يكن قد ولد بعد. في عام (321ق.م) تمَّ اتفاق جديد في سورية، حصل بموجبه القائد (سلوقس) بابل وتوابعها الآسيوية، أي (الهلال الخصيب) وكامل المنطقة الآسيوية، كما حصل (بطليموس) على مصر الفرعونية. واستفاقت آنذاك المطامع القديمة لمصر الفرعونية لبسط نفوذها على جنوب الساحل الفلسطيني، وأخيراً حصل الجنرال (أنتيغون) على إقليم (فريجي) الكبير، وكان قائداً عاماً للجيش.

ولكن (أنتيغون) بعد اغتيال (فيليب) الثالث شقيق الإسكندر في مكدونيا عام (317ق.م)، حين كان ابن الإسكندر الذي لم يرد ذكره قط، طفلاً لا يتجاوز السادسة، هكذا بعد اغتيال (فيليب) الثالث، أعلن (أنتيغون) ملكيته على آسيا بكاملها بما في ذلك إقليم (سلوقس)، وأعلن نفسه بالإضافة إلى ذلك، سيداً على بابل، مما اضطر سلوقس إلى الالتجاء في مصر لدى بطليموس.

9-3 (أ) *الحكم السلوقي في الهلال الخصيب، وعمريت:*

تشكل بعد ذلك حلف ضد (أنتيغون)، وانتصر عليه بطليموس في (غزّة) عام (312ق.م)، عند ذلك اغتنم (سلوقس) الفرصة للعودة إلى بابل مع فرقة صغيرة، ولكن الحرب استمرت بين (سلوقس)، و (أنتيغون) من (311-308ق.م)، وبقي أثناءها (سلوقس) سيداً على إقليم بابل والشرق، وحصّن حدوده الشرقية حين قام من عام (308-303ق.م) بحملة عسكرية أوصلته حتى حدود الهند. ثم، وبعد معركة أخيرة مع (أنتيغون) عام (301ق.م)، انتصر عليه سلوقس في معركة (إفسوس) حيث قُتل. استعاد سلوقس بعد ذلك كامل ممتلكاته، وأصبح سيداً على قسم كبير من آسيا من الهند حتى المتوسط.

ويمكننا بعد ذلك ترك سلوقس الأول (305-281ق.م) لمهماته العمرانية والإستراتيجية.

وبما أن العاصمة بابل، كانت قد تأثرت كثيراً بسبب الحروب بين الحكام، فقد عمد (سلوقس) إلى تأسيس مدينة (سلوقيا) على نهر دجلة، ونقل إليها قسماً من سكان بابل، وسكان يونانيين ومكدونيين، واعتبرها واقعة على الطريق المباشر بين الغرب وآسيا.

ثم قام بتأسيس (أنطاكية) في سورية الشمالية عام (300ق.م)، إلا أنه عندما حاول استعادة القسم الأوروبي من إمبراطورية الإسكندر، تمَّ اغتياله من قبل (بطليموس كيرونوس)، الذي كان ملكاً على منطقة (تراس) من أوروبا الشرقية بين (اليونان)، و (تركيا)، و (بلغاريا)، وخلفه ابنه (أنطوخيوس) الأول (280-261ق.م).

أمَّا فيما يتعلق بالساحل المتوسطي، يمكن القول، إن مطامع مصر في بسط نفوذها على الجنوب الفلسطيني، وبعض لبنان الجنوبي لم تهمد وعرفت مدّاً وجزراً حتى عام (180ق.م).

أمَّا (عمريت) التي رأى فيها المؤرخ (أريانوس) الذي رافق الإسكندر: "مدينة مزدهرة، ولعلّها أكبر مدن الشرق!"، بلغت قمة ازدهارها واتساعها في

أواخر القرن الثالث قرابة عام (210ق.م)، أثناء حكم (أنطوخيوس) الثالث (222-187ق.م)، وتحررت من سيطرة (أرواد) الإدارية.

قبل ذلك وعند وفاة أنطيوخوس الثاني عام (246ق.م)، عمَّت اضطرابات في المنطقة السلوقية، مما جعل (بطليموس) الثاني يتقدم من مصر نحو مدينة (سلوقيا) على دجلة، وكان ذلك عبر حكم (سلوقس) الثاني (245-226ق.م)، وتحاشياً لاعتداءات مماثلة، عمد (أنطيوخوس) الثالث (222-187ق.م)، إلى خلق "ساترابية" (إقليم) جديد في منطقة البحر الأحمر.

تزامنت تلك الحقبة مع ظهور الرومان اعتباراً من نهاية القرن الثالث، كما بدأت المناطق الشرقية بالانفصال عن الدولة السلوقية وحاول (أنطيوخوس) الرابع (174-164ق.م) (إبيفان) استعادتها، وحدثت عبر حكمه حركة المكابيين في الجنوب الفلسطيني (منطقة القدس).

استمرت آنذاك مظاهر الضعف في الدولة السلوقية، مما حدا بقائد الجيش السلوقي (تريفون)، الذي كان من مريدي (إسكندر بالاس) (150-146ق.م)، وهو الذي استولى على أنطاكية عام (145ق.م)، وتآمر على الملك (ديميتريوس) الثاني (145-141ق.م). في ذلك الوقت حدثت أول محاولة أروادية لاحتلال (عمريت). لقد تابعت (عمريت) بين الأعوام (150-100ق.م)، إصدار عملات فضية عمومية التداول مما كان يشهد بدوام أهميتها.

أدت مطامع قائد الجيش السلوقي (تريفون)، إلى استيلائه على العرش السلوقي، إلا أنه في عام (138ق.م) تمكن أنطيوخوس السابع (139-129ق.م)، من التخلص من (تريفون)، حين انضم إليه قسم كبير من الجيش السلوقي، عند ذلك فرّ (تريفون) بحراً إلى (دورا) على الساحل الفلسطيني، وحاصره (أنطيوخوس) السابع، مما اضطره إلى الانتحار.

3-9 (ب) *نهاية عمريت*:

بعد أن عم الاقتتال والمنافسة بين القادة السلوقيين للاستيلاء على الحكم، من دون أن يتمكن أحدهم من التوصل إلى ذلك، واستفاد القائد الروماني آنذاك (بومبي) من الفوضى السلوقية لضم سورية إلى الإمبراطورية الرومانية، في عام (64ق.م)، عند ذلك بدأ الحلف الأروادي بالتفكك في منتصف القرن الأول، عندما ساندت (أرواد) القائد الروماني (بومبي)، ضد يوليوس قيصر، وكان عقابها فصل

(جبلة) عن (أرواد) عام (46ق.م)، كما انفصلت عنها (بانياس) (بالانيا) عام (37ق.م)، وبقيت (سيميرا) وحيدة في الحلف.

أمَّا في عمريت فقد انقطعت إصدارات العملة بعد القرن الأول، وتشير الباحثة فريديرك دويران (Frédérique Duyrant) - التي حققت دراسة مستفيضة عن العملات الفينيقية، التي صدرت في الحقبة الهلنستية ولا سيما عملات (أرواد)، و (عمريت) - إلى التوقف عن الإصدار، بقولها: "ربما لأن الموقع قد خرب أو هجر".

عندما زار الجغرافي سترابون (Strabon)[1] الموقع أثناء السنوات الأولى من القرن الميلادي، لم يتعرف إلا على أنقاض المدينة الفينيقية (ماراتوس) (عمريت).

يعتقد المؤرخون أن الأروادیين هم الذين هاجموا عمريت ودمروها، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك، ولم يُعَد إعمارها حتى فقدت مع الزمن أنقاض أبنتيها، ولم يبق لها سوى المدافن المحيطة بها، وبقايا معبد يتميز بحوضه يتمركز في وسطه الهيكل الشهير، الذي كان يلفت نظر كل زائر لساحل أرواد. تهدمت أعمدة الأروقة المحيطة بالحوض وسقطت فيه مع جوائزها، واستكمل الزمن ردم الحوض بانتظار المنقبين المعاصرين بين أعوام (1860م) (رونان)، و (دونان) (1926م)، و (دونان)، و (صليبي) اعتباراً من عام (1935 و 1953م). ثم تابعت الحفريات بعد ذلك المديرية العامة للآثار والمتاحف يمثلها الدكتور عدنان البني، ونسيب صليبي.

ولا يزال حتى اليوم (تل عمريت) يحتفظ بمعلومات مكملة لكل ما نعرفه عن عمريت، وهذا هو (دونان)، بعد إشارته إلى قيام (حيرام) ملك (صور) (969-936ق.م) بإعادة إعمار معبد (ملكارت) في (صور)، وأن هيرودوت حين زار (جبيل) علم من كهان المعبد أن المدينة مضى على بنائها 2300 سنة، وهذا ما يعيد بناء معبد سيدة (جبيل) إلى عام (2750ق.م)، ويستنتج من ذلك أن هناك استمرارية لعبادة (ملكارت) في كل من (صور)، و (عمريت)، والى قدم تلك العبادة، ويأمل كما كتب في الصفحة (40) من مؤلفه[2]:

"إن حفريات تل عمريت سوف تقدم في أحد الأيام إجابة عن ذلك"

1- (Le Temple d'Amrt dans La Perée d'Aradus) (Strabon) (63ق.م-25م).

٢- تأليف (موريس دونان) و (نسيب صليبي) الناشر Geuthner 1985.

مع الإشارة إلى أن تل عمريت، لم تتم فيه سوى حفريات أولية عام (1954م) من قبل (دونان، وصليبي) كشفت بعض المنازل في شماله، وآثار سور في جهته الغربية، وسبر واحد بعمق 5م.

3-9 (ج) *متى حطمت تماثيل المعبد ورميت في الفافيسا؟*

هذا السؤال طرحه منقب (عمريت) (دونان)، وحاول الإجابة عنه مستبعداً أن يكون الإسكندر هو الفاعل، على اعتبار أن تلميذ (أرسطو) كان يحترم المعتقدات ومعابدها. لذلك يعيد (دونان) تدنيس المعبد، وانتهاك حرمته إلى ثورة حكام المناطق (الساتراب) على الحكم الفارسي في منتصف القرن الرابع ق.م، بناء على تشجيع الفرعون المصري آنذاك.

تزامن ذلك مع الاستياء الشعبي من الحكم الفارسي، وتظلمه، وسوء معاملة السلطة لسكان المدن، وكذلك عدم رضا تجار المرافئ الفينيقية الذين أصبحوا أغنياء، وعدم الرضا من مضايقات النظام الفارسي لهم، أدى كل هذا إلى التوجه نحو التمرد، والثورة على الحكم.

وهذا ما حدث بالنسبة لثورة (صيدون) عام (342)ق.م، حين أحرق الصيدونيون أنفسهم مدينتهم. كما روى ذلك ديودور الصقلي (Diodore de Sicile -20 90ق.م) (XVI,45)، يساعد على تبني هذا التفسير العثور على تماثيل رخامية لأطفال كانت قد قُدِّمت لمعبد أشمون في ذلك الوقت، وعثر عليها بعد انتهاك حرمة المعبد مرمية في قنال مهمل، ويمكن القول إن انتهاك حرمة معبد (أشمون) في (صيدون)، وكذلك حرمة معبد ملكارت في عمريت تزامنا، وكان ذلك قرابة منتصف القرن الرابع ق.م.

في ذلك الوقت، كانت المدن الفينيقية، قد عقدت فيما بينها اتحادات فيدرالية وكانت (صور)، و (صيدون)، و (أرواد) تعقد اجتماعات اتحادها، في المدينة الصغيرة (طرابلس) التي كانت ترمز في تسميتها إلى المدن الثلاثة تري بوليس (Tri-polis)[1] ومثل هذا النظام كان لا يعطي أهمية لمدينة على أخرى، وكان يسمح للمجتمعين بالتداول وتدارس الوضع العام، واتخاذ القرارات التي من شأنها

١- تري بوليس (Tri-polis): بمعنى (ممثلة) المدن الثلاثة.

صون مصالحها. ويعتقد أنه في (طرابلس) تمَّ اتخاذ قرار ثورة الحكام (ساتراب)، وتسمية ملك صيدون تينيس (Tennes) (358-343ق.م)، لترؤس العمليات ضد الفرس.

وحين كانت التماثيل تحطم، كان الكهنة والمتعبدون هم الذين يجمعون حطام التماثيل، وكل ما هو مقدس لإيداعه في مستودع المقدسات (الفافيسا). في معبد عمريت، وعلى الرغم من ذلك تابع المتعبدون، ارتياد المعبد والتمون بالمياه الشافية، حتى انهيار الأروقة قرابة عام (125ق.م).

9-4- ملعب عمريت، وملعب أولمبي:

تطرقت الفقرة "7-11(د)" من الفصل السابع إلى تاريخ إعداد ملعب (أولمبي)، كما قارنته بملعب (عمريت)، وكان لا بدَّ لنا من الدخول في تلك المقارنة على اعتبار أن الألعاب الأولمبية نُسِبتْ بالدرجة الأولى إلى ملعب أولمبي، بعد تبني حدوث أول وأقدم مباراة في الموقع، ولا نقول في الملعب، وذلك حسب "التقاليد" في عام (776ق.م).

ولعدم تكرر ما أشير إليه آنفاً، نرجو من القارئ العودة إلى الفقرات: "(7-11)د-2" "(7-11)د-4". (راجع الصفحات رقم 1 و 4 في الملحق الملون).

عمريت مدخل جانبي للملعب ويلاحظ شكل القنطرة محفور في الصخر

أولمبي مدخل جانبي للملعب.

عمريت أساس أبنية بمحاذاة الملعب، ربما كانت لاستعمال اللاعبين

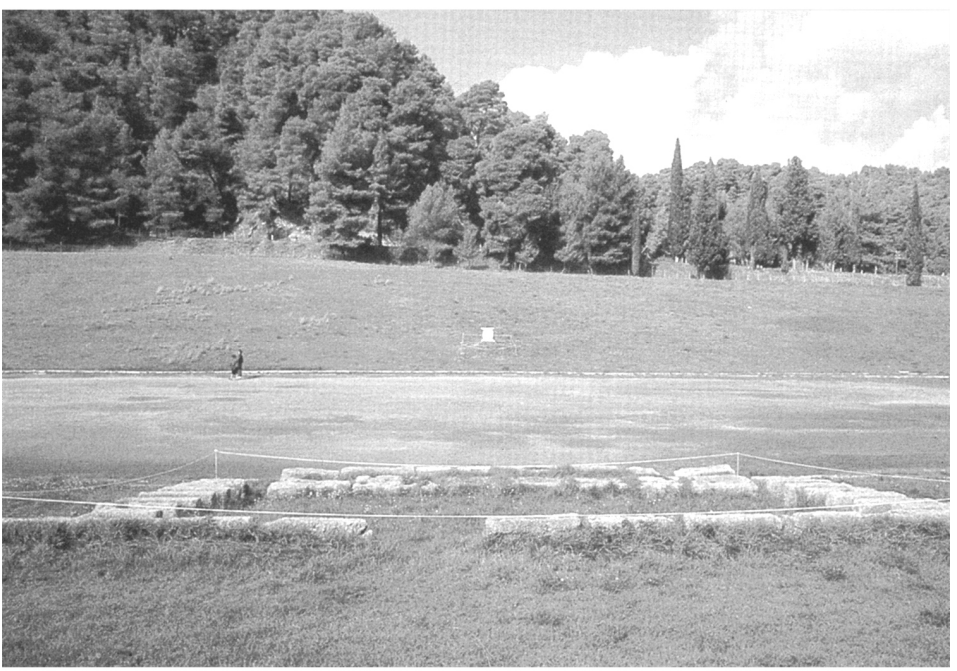

أولمبي بقايا أساس أبنية بمحاذاة الملعب

كما أننا دعماً لضآلة التجهيزات الرياضية في موقع (أولمبي)، نستكمل ما أشير إليه آنفاً عن المنشآت والتجهيزات الإضافية في موقع (أولمبي).

4-9 (أ) *مراحل إعداد تجهيزات ملعب أولمبي*:

بالنسبة لاستكمال البنية التحتية في (أولمبي)، وإقامة المنشآت الضرورية لدعم قدسية الموقع فيما يرتبط بمعابد الآلهة، وتأمين مستلزمات الممارسات الرياضية لتمرين الرياضيين، ومساهماتهم في المباريات المختلفة وكذلك إقامة الرياضيين، والقضاة ووفود المدن المشاركة. كل ذلك كان يتطلب من المشرفين على الألعاب وهم الإيليون، أن تتوافر لديهم الأموال اللازمة لذلك، ونحن نعلم أن عام (470ق.م) هو العام الذي سيطر عبره الإيليون على منطقة (بيزا)، وهكذا بواسطة ما غنموه، تمكنوا من إطلاق بناء معبد (زيوس) في (أولمبي)، بأبعادٍ تُعادل ضعف معبد الإلهة (هيرا) قرينته.

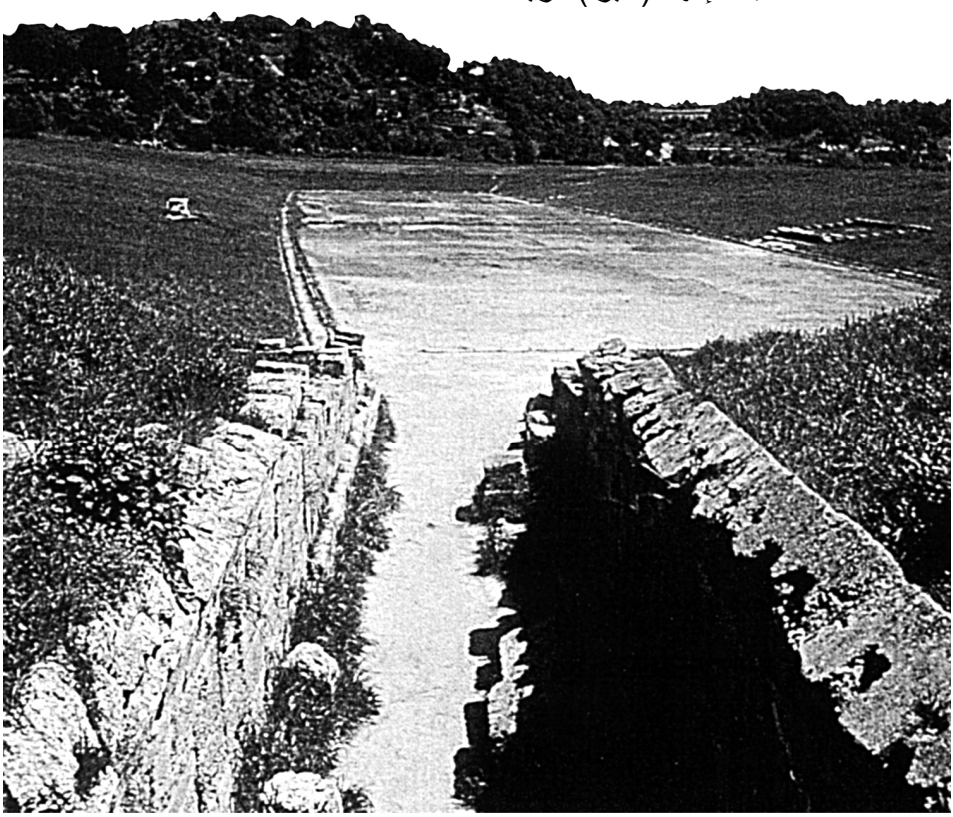

ملعب أولمبي: منظر عام.

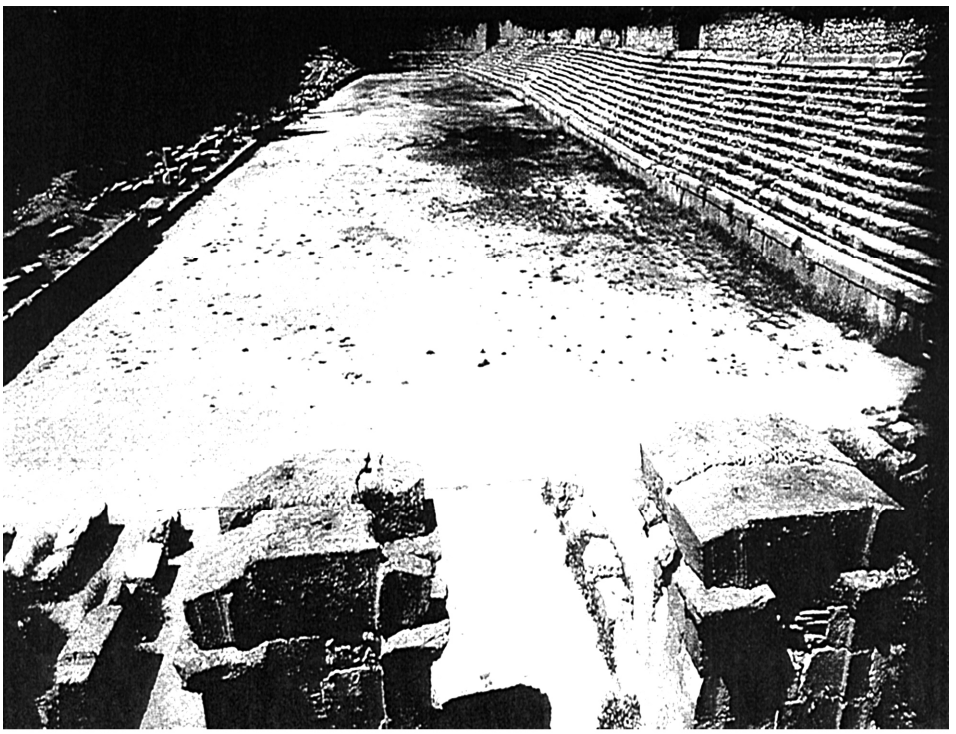

ملعب مدينة ديلف الذي يعود تأسيسه إلى النصف الثاني من القرن الخامس ق.م (نحو 450 ق.م)، ويعود مدرجه إلى النصف الثاني من القرن الثاني (نحو 150 ق.م)

ملعب أولمبي ويظهر إلى يمينه السطح المائل لاستقبال المتفرجين وهو يعود إلى القرن الرابع ق.م

حسب المؤلف (فينلي) الذي أشرنا إلى كتابه آنفاً، فإن الإيليين خلافاً لما ذكر مؤلفون آخرون، كلفوا بذلك العمل مهندساً محلياً اسمه ليبون (Libon)، بينما لم يكلف المثال الشهير فيدياس (Phidias) إلا بإعداد تمثال الإله (زيوس) الشهير، الذي تصدر المعبد بارتفاع 13م.

أمَّا بالنسبة لبناء (الجمنازيوم) أي قاعة التمارين الرياضية وملحقاته، فلم يتم ذلك إلا بين القرنين الثالث والثاني ق.م. وحتى ذلك التاريخ كان الرياضيون في (أولمبي) يتمرنون في الهواء الطلق.

كما إن منشأة "فندقية" بسيطة، لم تظهر قبل القرن الرابع، ولم يكن هناك أي شيء يمكن تسميته قرية أولمبية.

أثناء القرن الثاني ق.م (حقبة هلنستية)، أقام الأميرال كاليركراتيس (Callicratés) المصري تمثالاً لبطلبميوس الثاني ملك مصر ولشقيقته وزوجته الملكة أرسينووي (Arsinoé)، وكان لا بدَّ من انتظار ذلك القرن لكي يقوم أحد الآتينيين الأغنياء، أي عبر بداية العهد الروماني، وهو هيرود آتيكوس (Hérode Athicus)، بإنشاء نظام لتصفية المياه وتنقيتها، مع الإشارة إلى أنه قبل هذا التاريخ كانت أولمبي تعتمد على خزانات مزودة بماء النهر، الذي كان من حسن الحظ لا يجف عبر فصل الصيف، كما كانت آنذاك تنعم بمراحيض عامة بدائية.

أمَّا المتفرجون فكانوا حتى ذلك التاريخ، يشاهدون الألعاب وهم جالسون على سطوح ردم مائلة تحيط بالملعب، وكان هناك عدد ضئيل من المقاعد مخصصة للقضاة وبعض الوجهاء.

حتى ذلك التاريخ أيضاً، كان الغبار والذباب، بسبب عدم توافر النظافة يسيطر على موقع (أولمبي)، وإن الإيليين المنظمين للألعاب كانوا يقدمون قرابين، لإحدى مظاهر الإله (زيوس) الذي كان يطلب منه طرد الذباب، كما كانت إحدى النكات عن تلك الحالة تروي أن أحد الملاكين، كان يهدد عبده غير المطيع بإرساله قضاء أسبوع في (أولمبي) معاقبة له!

4-9 (ب) ***العصبية اليونانية، كانت لا تزال فاعلة في عام*** (212ق.م):

روى أحد المؤرخين الذي عاصر ما جرى أثناء مباراة بين ملاكم شهير اسمه كليتوماك (Clitomaque) من مدينة (طيبا) اليونانية، وملاكم مصري هو أريستوينكوس (Aristonicus)، وكان بحماية بطليموس الرابع ملك مصر.

وهذا هو جمهور المتفرجين، تقديراً منه لما يبذله الملاكم المصري ضد خصمه الشهير، بدأ يشجع الملاكم المصري الذي حاز إعجاب وتصفيق الجمهور، عند ذلك توقف الملاكم المحلي (كليتوماك)، وتوجه نحو الجمهور معلناً:

"لماذا تشجعون وتدعمون (أريستونيكوس)؟ هل أنا ارتكبت خطأً ما، أم خالفت النظام؟ ألا تعلمون أني أقاتل من أجل مجد اليونان، وهو يقاتل من أجل مجد بطليموس.

هل تفضلون أن يحوز مصري على الإكليل الأولمبي بانتصاره على يوناني، أم أن يصبح (طيبي)، و (بيوسي) بطل العالم في الملاكمة"؟

هكذا تمكن الملاكم اليوناني من تحويل الرأي العام لمصلحته وربح المباراة، ويمكن القول إن الحقبة الهلنستية التي تلت فتح الإسكندر وإمبراطوريته الشاسعة، رافقها غرور اليونانيين الذين اعتبروا انتصار الإسكندر المكدوني انتصاراً لهم. ولئن شملت إمبراطوريته مصر وسورية ومناطق أخرى من الشرق الأدنى، وتمت هلنستها وتبنَّي اللغة اليونانية من قبل كتابها وفلاسفتها مثال (زينون) الرواقي، و (لوقيان) السمسياطي، فإن اليونانيين مع ذلك كانوا يعتبرون (بربرياً) أي (غير متحضر) كل ما هو غير يوناني.

أمَّا بالنسبة للفينيقيين، فقد تبين عبر هذا البحث في مجالات عديدة، كيف تحوّل الإعجاب إلى الكراهية، والى الحقد على مدينة (طيبا) القدموسية، كما أشار إلى ذلك الفصل السادس.

4-9 (ج) *تسهيلاً لاتخاذ القرار فيما يخص ملعب عمريت*:

فيما يتعلق بملعب موقع (أولمبي) الذي حدد له الباحثان (فينلي)، و (بليكيت) القرن الرابع، وقد اعتمدنا بدايته أي قرابة (390ق.م)، وكذلك تطابق الأبعاد بين ملعب (أولمبي)، وملعب (عمريت)، من الصعب عدم التوقف أمام أهمية معلومات كهذه، وقد حاولت الفقرات الثانوية "(7-11)د-2" إلى "(7-11)د-4"، تحليل ما يمكن استنتاجه بالاستفادة من تلك المعلومات.

ومع التوضيح بأن كون ملعب (عمريت) هو الأقدم من ملعب (أولمبي)، فإنه سوف يحتل أهمية كبرى، ولا يسعنا منذ الآن واحتراماً لموضوعية هذا البحث اتخاذ قرار نهائي عن ذلك، على اعتبار أننا صدرنا عن فرضية، أن معبد عمريت الأخميني تجدد في زمن حكم (داريوس) الأول (521-486ق.م)، وهو الذي رسخ بناء الإمبراطورية الفارسية، كما اعتمد على أسطول أرواد البحري والأساطيل الفينيقية في المدن الساحلية الأخرى، في حروبه الميدية مع اليونان. وما يسوغ اختيار حكم داريوس الأول لتجديد معبد (عمريت)، هو أن (أرواد) كانت عاصمة منطقة من الإمبراطورية الفارسية، وأن العاهل الفارسي كان قد بنا

قصراً فخماً فيها، وسمح لها آنذاك بنوع من الاستقلالية، وإصدار عملة فضية عمومية التداول.

تضاف إلى ذلك شهرة معبد عمريت مهما كانت بساطة شكله قبل تجديده[1]، وشهرة مياهه الشافية، وآلهة الشفاء فيه (ملكارت)، و (أشمون)، و (إيمحوتب) الطبيب المصري المؤله، بدلالة العثور على نصوص مقتضبة يعود أقدمها إلى منتصف القرن السادس قرابة (550ق.م)، ومنها ما يعود إلى القرن الخامس ق.م، وكانت تلك النصوص تشكر الإله الذي استجاب "لقول" المتعبد، يعني ذلك توافر نشاط تعبدي في المعبد القديم قبل تجديده، قرابة عام (490ق.م)، يدعم ذلك شهرة المعبد القديم.

9-4 (و) *عودة للتأكيد على ضرورة معاملة ملعب عمريت بجدية، وبأقصى دقة علمية:*

مما يشجع على هذا الاتجاه، هو اكتشاف حداثة ملعب (أولمبي)، بالنسبة لقدم الحضارة الفينيقية، سواءً أكان ذلك على الساحل المتوسطي، أو ما نقلته تلك الحضارة إلى بلاد اليونان. وأن تلك الحداثة بالنسبة لملعب (أولمبي)، وبالنسبية التاريخية التي علينا أن نتعامل معها فيما يتعلق بالتواريخ الوهمية، أو الاصطلاحية التي تبناها المؤرخون الغربيون متوارين وراء "التقاليد"، التي لا تستوجب إثباتات تاريخية، أو غايات أخرى، اتضحت من ضمن هذا العرض. علينا إذاً اللجوء إلى مختلف الوسائل العلمية المتوافرة اليوم لتحديد تاريخ إقامة ملعب (عمريت). وإن تطابق الأبعاد بين الملعبين يوحي بدوره بتبني قياسا نموذجيا لإقامة الملعبين في (أولمبي)، و (عمريت)، وهو سباق الـ (200) متر.

تأصل المباريات الرياضية في العقلية الفينيقية، كما عاشتها أثناء وجودها في بلاد اليونان، وكذلك تأصل رياضة المصارعة في حضارتنا القديمة، قد يفيد في قرار لا بدَّ من اتخاذه بشكل موضوعي.

١- حاولت الفقرة "9-3(ج)"، تصور ما كان عليه المعبد قبل توسيعه.

خلاصة عامة

- عاش اليونانيون مدّة طويلة على التقاليد الشفهية، قبل تبنيهم الأبجدية الفينيقية في القرن الثامن ق.م، وقبل أن تنتشر الكتابة لديهم، وتدخل في حياتهم اليومية. بينما كانت جميع الدول الشرقية حولهم، قد قطعت شوطاً كبيراً في ممارسة الكتابة والتسجيل والتأليف، وقد وصلنا عدد كبير مما خطوه على لوحاتهم الفخارية في جميع المجالات الدينية والثقافية والدبلوماسية، بعد إن كان قد مرَّ ألف عام، على تعرف اليونان على الكتابة.
- روت "التقاليد" اليونانية، عدداً كبيراً من الأساطير عن الآلهة والأبطال، وكان لا بدَّ من إطلاع القارئ عليها، بقصد اقتناص بعض الحقائق التاريخية التي تتوارى وراءها، عبر العديد من الشخصيات الفينيقية الأصل التي اشتملت عليها.
- الكُتَّاب والمؤرخون القدماء في اليونان، تركوا أثاراً عديدةً تدل على اعترافهم بدور فينيقي في أساس حضارتهم، ومع ذلك فإن الأساطير ذاتها تبنت في الوقت نفسه لفينيقييها القدماء، مصائر رهيبة وحزينة تنم عن: إعجاب تحوّل إلى كراهية، وقد تتبع معالمها هذا البحث.
- لم يترك اليونانيون القدماء سجلات تسمح بكتابة تاريخهم كما توافر ذلك لدى دول الشرق الأدنى، لذلك عمد المؤرخون الغربيون المعاصرون منذ القرنين الثامن عشر/ التاسع عشر الميلادي، إلى ابتداع تاريخ لبلاد اليونان يعتمد على تحوير وإنكار كل دور فينيقي حضاري، وقد عَرَضَ أسبابه وتفاصيله الفصلان الثاني والثالث من هذا البحث.
- تاريخ اليونان القديم، كان مضطرباً، سيطرت عليه النزاعات والحروب الداخلية بين المدن ذات التقاويم المختلفة، والأعياد المختلفة، أضيفت إليها حروب شنها عدو خارجي، هو الإمبراطورية الفارسية.

أمَّا البلاد اليونانية "المثالية"، التي أريد لها أن تكون كذلك، فإن وجودها لم يتعد مؤلفات عديدة من قبل معظم الباحثين الغربيين، كان هدفها الرئيس استبعاد التأثير الشرقي، ودوره في تقدم البلاد في العديد من المجالات.

بعد هذا التقديم السريع لخلاصة ما تصدر هذا البحث من معلومات ضرورية عن فقدان الموضوعية في كتابة تاريخ اليونان. ندخل في موضوعنا الأساسي المتعلق بالمباريات الرياضية في حضارتنا القديمة، وصولاً إلى (عمريت)، وملعبها اللذان سوغا محاولة مجابهة صعوبات هذا البحث: الصعوبات التي يصطدم بها كل باحث يرغب في تسطير تاريخ حقيقي لبلاد اليونان، ولألعابها الأولمبية.

I) رياضة المصارعة وسباق المركبات، عرفتها حضارتنا القديمة، قبل تعرف اليونان على عالم الحضارة بزمن طويل. ففي (سومر) عرف أموريو بلاد الرافدين، وهم الذين استوطنوا الساحل المتوسطي، وأورثوا اسمهم لمنطقة (أمورو)، وهم بناة (عمريت) القديمة منذ نهاية الألف الثالث ق.م. عرف هؤلاء الأموريون المصارعة الجماعية، وانتصار البطل الأموري (مارتو)، وقد روت الفقرة "1-3(ب)" قصته الشيقة، كما أوردت ملحمة (جلجامش) في نسخة نينوى (القرن السابع ق.م) مصارعة البطل (جلجامش)، ورجل السهوب (إنكيدو)، قبل أن يتصادقا: الفقرة "1-3(أ)"، أشارت إلى تلك المصارعة.

كما إن ألإلهه (عشتار) في الملحمة نفسها، حين أرادت إغراء (جلجامش) للزواج منها، فإنها وعدته بإهدائه مركبة فخمة وخيولاً سريعة، تجعله يتفوق في سباق المركبات، كما أشار إلى ذلك النص الملحمي في الفقرة "1-3(ج)".

II) اتضح من ضمن هذه الدراسة تأصل المباريات الرياضية في عقلية فينيقي اليونان، وملوك منطقة الإيليد بشكل خاص.

منطقة (الإيليد) حيث (أولمبي)، هي منطقة الإله (إيل) الكنعاني / الفينيقي في بلاد اليونان، ومدينة (إيليس) هي التي كانت تنظم الألعاب في (أولمبي) في عام (572ق.م)، بعد مدينة (بيزا) من المنطقة نفسها.

في منطقة (بيوسيا) تقع مدينة (طيبا)، ذات البوابات السبعة في مسرحية "الفينيقيات" للمؤلف (أوريبيد)، وطيبا هي المدينة التي أسسها (قدموس)، كما إن "قَدْمِي" هو حيها العالي نسبة (لقدموس)، وفيه قصره.

يعترف اليونانيون بأن (قدموس) هو الذي نقل إليهم الأبجدية الفينيقية، حين أتى إلى البلاد ليفتش عن أخته (أوروبا)، التي اختطفها سيد الآلهة (زيوس)، من على شواطئ (فينيقيا).

الفينيقيون تركوا أثرهم في كلٍ من جزيرة (قبرص)، وجزيرة (كريت)، وعديدة هي الشواهد على ذلك. كما إن (مينوس) ملك (كريت) الشهير هو أحد

أبناء (أوروبا) أخت (قدموس)، كل ذلك عبرت عنه الأسطورة اليونانية، وقد أشار الفصل الخامس إلى علاقة الشاطئ الفينيقي مع كل من (قبرص)، و (كريت).

لجأ (أنديميون) ملك (طيبا) إلى المباراة الرياضية لاختيار وليَّ عهدٍ له من بين أبنائه، وأختار لذلك سباق المركبات (الفقرة "7-7(أ)")، كما إن توأمي ابنة ملك (طيبا)، كان أحدهما مولعاً بالمصارعة والرياضة الفينيقية، أمَّا الأخر فكان متفوقاً في الموسيقى، وإن الإله (أبولون) أهداه قيثارة (فقرة "7-7(ج)").

في مدينة (أرجوس) حيث استقر داناوس (Danaos)[1] الكنعاني ممثل (الهكسوس) الخارجين من مصر، هو وبناته الخمسون، عمد هو أيضاً إلى تنفيذ مباراة رياضية بين أبناء (أرجوس)، بقصد تزويج بناته للمتفوقين، الفقرة "7-7(د)".

عند دخول الهكسوس إلى بلاد اليونان آتين من مصر، أدخلوا معهم إليها فن حفر الآبار، ودربوا من فيها على أعمال الري.

III) مؤسسو الألعاب الأولمبية الأسطوريون هم (هيراكلس) إيدا، في جزيرة كريت، وهو أحد الذين كلفوا برعاية طفولة (زيوس)، وحجبه عن أنظار (كرونوس)، الإله البدئي، الذي يبتلع أبناءه عند ولادتهم، وقد أنقذ (زيوس) بواسطة حيلة لوالدته (ريا). وهي التي سلمته إلى (الكوريت) لرعايته، وهم الذين أتوا به طفلاً إلى موقع (أولمبي)، ولتسلية الطفل كما تقول الأسطورة، فإن (الكوريت) الأربعة، وهيراكلس كان أحدهم، تسابقوا فيما بينهم، وحققوا أول سباق في (أولمبي)، و (هيراكلس) هذا روت قصته الفقرة (7-1).

هناك (هيراكلس) آخر تبنته الأسطورة اليونانية، وهو وريث (جلجامش) ومنفِّذ الأعمال البطولية الصعبة، وهو منسوب (لطيبا) أشارت إلى ذلك الفقرة "7-2(أ)"، ثم حين أراد أحفاد (هيراكلس) العودة إلى وطن أجدادهم، فإن الفارس ممتطي الحصان الأعور (أوكسيلوس) هو الذي قادهم إلى منطقة (الإيليد).

١- (Danaos) ترى الأسطورة اليونانية أن (داناوس) هو شقيق توأم (لآيجيبتوس)، أي مصر. والاثنان هما وليدا (بيلوس)، الذي يذكر ببعل الكنعاني / الفينيقي.

المؤسس الأسطوري الآخر للألعاب هو (بيلوبس)، الذي تقول عنه الأسطورة اليونانية إنه أتى من آسيا الصغرى، روت قصته مع ملك (بيزا)، جارة مدينة (إيليس)، الفقرة (7-3) وهو الذي أصبح ملكاً على (بيزا) بعد سباق مركبات مع ملكها ووفاته، وهو الذي أطلق ألعاباً جنائزية تكريماً للملك المتوفى. مدينة (بيزا) في الإيليد نظمت الألعاب في (أولمبي) حتى عام (572ق.م)، ونظمها الإيليون بعدها.

IV) شكّكت الفقرة (7-11) بعام (776ق.م) تاريخاً لبدء الألعاب الأولمبية، كما أرادت "التقاليد" تبينه، وهذا ما تبناه معظم الباحثين الغربيين.

وقد تبين وفق الفقرة (7-11)، إن موقع (أولمبي) بعد مرور قرنين من تاريخ (776ق.م) المقترح لم تكن تتوافر فيه أي تجهيزات لا للمتبارين ولا للمتفرجين، ولم يحتوِ آنذاك حرم موقع (أولمبي) المقدس، سوى هيكلاً بسيطاً مخصصاً لعبادة (بيلوبس)، وهيكل آخر مخصص للإله (زيوس).

أول بناء عرفته (أولمبي) هو معبد (هيرا) قرينة (زيوس)، الذي رأى النور اعتباراً من عام (550ق.م)، كما إن أول ملعب في (أولمبي)، تمَّ نقله في القرن الرابع نحو الشرق. وهو المعبد الذي نراه اليوم في (أولمبي)، وهو يعود في أحسن الأحوال إلى عام (390ق.م).

أي قرابة 60 سنة، قبل تحرك (الإسكندر) وقبله والده (فيليب). جميع الألعاب التي تمت في (أولمبي)، أو المدن الأخرى مثال (ديلف)، و (نيمي)، و (كورانت)، كانت جميعها ألعاباً محلية، ولم تكن (بانهيللينية) عامة.

V) الحروب بين المدن اليونانية والعداء المتواصل بين (أتينا)، و (إسبارطة) وهي تلك الحروب التي سبقت الحروب (الميدية)، والتي عادت المدن بعدها إلى الاقتتال فيما بينها، وألفت أحلافاً بينها. ترأست (أتينا) حلفاً قوياً، وأخضعته إلى ديكتاتوريةٍ بعيدة كل البعد عن الديمقراطية، التي رُوِّج لها عبر حكم (بيريكلس) اعتباراً من (480ق.م)، كما أمكن القول إن الألعاب لم تكن شاملة، إلا قبيل تأسيس الإسكندر إمبراطوريته في نهاية القرن الرابع ق.م.

VI) مارس الفينيقيون المباريات الرياضية بعقليةٍ تختلف تماماً عن فكرة جمال الأجساد عند اليونانيين، ولا سيما جمال أجساد الفتيان التي أدت إلى الانحراف الجنسي عندهم، أوردت ذلك الفقرة (7-10)، كما أشارت إلى أن النساء في بلاد اليونان، كن تُعْتَبَرْنَ مخصصات للإنجاب فقط، وكنّ سجينات بيوت (حريم) عائلية.

VII) من المؤسف أن عدداً كبيراً من مؤرخي الغرب، عمموا منذ نهاية القرن الثامن عشر، وأثناء القرن التاسع عشر اختراع تاريخ قديم لبلاد

اليونان، صدر عن تعصبهم العرقي، وقد حاولوا بواسطة كتابتهم مثل هذا التاريخ، محاربة وإقصاء كل أثر فينيقي، أو شرقي، وتسخير التعليم الجامعي لخدمة آرائهم. وإقصاء ومحاربة كل معارض، ومن حسن الحظ أن عدداً قليلاً من المؤرخين المعاصرين، بدؤوا بفضح تلك السياسة العنصرية، وإن أشهرهم وهو صاحب كتاب (أثينا السوداء)، أطلق تسمية "النموذج الآري" على اتجاههم العرقي، وقد اضطرت هذه الدراسة لتخصيص فصل كامل (الفصل الثالث)، لفضح ما ذهبوا إليه من افتراءات.

VIII) عمريت والألعاب الأولمبية:

(عمريت) المدينة الأمورية التي تأسست في نهاية الألف الثالث ق.م. قرابة (2100ق.م)، تركت لنا تلاً تراكمياً صغيراً، يدل على قدم وجودها، والى جواره معبد تزامن معها.

عاشت عمريت مدّة طويلة، في ظل مملكة أرواد، وتحت حكمها. وكانت بمثابة الجزء المكمل لأرواد على الساحل والذي يقدم للجزيرة الصخرية ما ينقصها.

حاول الفصل التاسع من هذه الدراسة متابعة تاريخ (عمريت) المدينة، و (أمورو) المنطقة، و (أرواد) الجزيرة عبر عدد من النصوص القديمة التي سبقت غزو شعوب البحر، كنصوص اللعنات المصرية، ومراسلات العمارنة.

واتضح من ضمن النصوص التي تركها ملوك آشور أثناء زياراتهم المتعددة إلى الساحل الفينيقي، لجمع الجزية وتلقي الهدايا من قبل ممالك الساحل، اتضح أن (عمريت)، بقيت المدينة الصغيرة ذات المنطقة الساحلية الخضراء والخصبة والسخية بثمارها وكرومها وزيوتها وحبوبها، وبقيت حتى ذلك التاريخ تمثل أهم عناصر الحياة المادية والروحية بالنسبة (لأرواد)، التي بنت أسطولاً بحرياً، تأكدت أهميته منذ مرحلة تل العمارنة (1400ق.م)، وتعبدت (لملكارت)، و (أشمون) في معبدها القائم حتى الآن مقابل ملعبها.

حين غزت جيوش (آشوربانيبال) مصر، اعتمدت في غزوها على أسطول أرواد وجنود وأساطيل الممالك الفينيقية الأخرى (صيدون)، و (صور).

تلا الحكم الآشوري بعد وفاة (آشوربانيبال) (668-627ق.م)، الحكم البابلي الجديد (النيوبابلي).

تلا ذلك سقوط بابل على يد (كورش) الفارسي عام (539ق.م)، وكانت عمريت آنذاك مدينة صغيرة، عَرف معبدها القديم شهرة كبيرة بسبب مياهه الشافية.

نمت عمريت وازدهرت في الحقبة الفارسية، التي شجعت التجارة وعاملت أرواد كعاصمة لإحدى مناطق الإمبراطورية الفارسية، وأقام فيها العاهل الفارسي قصراً له، وتبعه عدد من أتباعه واستقروا في رحاب منطقة (عمريت).

IX) استفادت الإمبراطورية الفارسية من أسطول (أرواد) في حربها مع اليونان، وهذا ما زاد من أهمية (أرواد)، وعمريت في نظر الحاكم الجديد، وكعادة الحكام الجدد لإرضاء الأهالي، كان احترامهم لمعابدهم ولآلهتهم ولا سيما تجديد تلك المعابد. في عام (525ق.م) كان الأخمينيون يجددون معبد مدينة (صيدون).

أمَّا بصدد تجديد معبد عمريت، فقد طرحت الفقرة "7-11(د)"، في كل من الفقرتين الثانوية "(د-3) و (د-4)"، مشكلة تحديد تاريخ تجديد معبد عمريت، والمحافظة على موقع الهيكل القديم (الناووس)، وحفر الصخر من حوله لإنشاء الحوض الحالي، لأنه قد يساعد في التعرف على الحقبة التي تمَّ فيها إنشاء الملعب.

X) لم نعثر على نصّ تركه الأخمينيون عن تجديد معبد عمريت، ولذا تمَّ تبني أن التجديد جرى أثناء حكم "الملك الكبير"، أي داريوس الأول (521-486ق.م)، وذلك بين عامي (510 و 490ق.م).

وإذا ما تمَّ شق صخر الملعب وإعداد المدرجات المحيطة به وبمدخله، بالتزامن مع تجديد المعبد أي قرابة (490ق.م)، على أبعد تقدير، يكون ملعب (عمريت) وفق هذه الفرضية أقدم من ملعب (أولمبي)، وتتوافق أبعاد ملعب (أولمبي) مع ملعب (عمريت) الأقدم منه. وقد عرضت الفقرة "7-11(د-3)"، مدلول توافق الأبعاد.

تتناقض الفرضية أعلاه مع الرأي المعتمد في مديرية الآثار والمتاحف بدمشق، إذ يحدد الدكتور مقدسي للملعب (القرن الرابع - الثالث ق.م)، ويعتبر نسيب صليبي أن الملعب متأخر عن المعبد. كل ذلك يوجب تحديد تاريخ أدق لإعداد الملعب، وقد حاولت الفقرة (9-4) التطرق إلى تلك المشكلة، وطالبت الفقرة "9-4(د)"، بضرورة معاملة ملعب (عمريت) بجدية أكبر، وبأقصى دقة علمية، واستعمال أحدث الوسائل المتاحة لذلك.

وأخيراً يمكن التذكير إنه لما كانت المباريات الرياضية متأصلة في عقلية فينيقيي بلاد اليونان، ولم تكن غريبة عن حضارتنا القديمة، كما أشارت هذه

الدراسة إلى ذلك، وعملا بكل القرائن والإثباتات التي عرضها الكتاب، يمكن التوجه نحو الإجابة عن أهمية الدور الفينيقي السباق في نقل ممارسة المباريات الرياضية إلى اليونان، ودور إيليي موقع (أولمبي) - المنسوبين إلى الإله إيل - دورهم في ترسيخ واستمرارية هذه الألعاب، من دون إهمال دور (طيبا) مدينة (قدموس) الفينيقي، ومحافظتها على فينيقيتها.

المحتويات

توضيح و شكر 6
استهلال عن كتابة تاريخ بلاد اليونان بين القديم والحديث 7
مـقدمـة عـامـة 9
مدخل الفينيقيون و بلاد اليونان و الألعاب الأولمبية 15
الفصل الأول 16
المباريات الرياضية المتنوعة التي عرفتها حضارتنا القديمة
1-1- العصر البطولي 17
1-2- الملاحم والأساطير التأسيسية 19
1-3- مصارعات في بلاد الرافدين 22
1-4- كيف ومتى اطلع اليونان على حضارتنا القديمة 31
الفصل الثاني 32
تاريخ بلاد اليونان والصعوبات التي تعترض المؤرخ لكتابته
2-1- معلومات مكثفة عن تاريخ بلاد اليونان القديم ودور كل من كريت وَ ميسين 35
2-2- اليونانيون والمتوسط الشرقي 40
2-3- اليونان تاريخ قديم مضطرب وضيق الأراضي الزراعية..... 48
2-4- مظاهر صعوبات توحيد البلاد 54
الفصل الثالث 52
اختراع تاريخ قديم لبلاد اليونان
3-1- بين القديم والحديث..... 57
3-2- مؤرخون غربيون يدعمون النموذج الآري، وغيرهم من الموضوعيين ...61
3-3- مرتكزات ابتداع النموذج الآري..... 66
3-4- تسخير التعليم الجامعي..... 67
3-5- جمود العقلية الآرية مفاجئة حل رموز الكتابة المقطعية الكريتية 71
3-6- الاستعارات اللغوية الكنعانية ومشكلة الإله ديونيزوس 72
3-7- متابعة الحقد على الفينيقيين وقلب اتجاه التأثير..... 79
الفصل الرابع 78

عن انتشار الكتابة وبدء الألعاب الأولمبية، ودور الحس الوطني اليوناني
4-1- من أين بدأ نقل الأبجدية؟ 87
4-2- التسجيلات المقتضبة 88
4-3- التاريخ الصحيح وقاعدة الباحث بوران 88
4-4- اللوائح القديمة 89
4-5- التسجيل الكتابي لإنتاج حقبة ما قبل العصر الكلاسيكي 92
4-6- الحكم على ما كتبه مؤرخو اليونان القدماء والشعر الملحمي..... 93
الفصل الخامس 88
قبرص وَ كريت بين الشاطئ الكنعاني وبلاد اليونان
5-1- الشاطئ الكنعاني وقبرص 97
5-2- كريت والأسطورة اليونانية (أوروبا أخت قدموس وأبناؤها) 102
5-3- كريت وقدم علاقتها الشرقية 106
5-4- الفينيقيون وجزيرة كريت 110
5-5- معلومات مكمّلة عن الدور الفينيقي في كريت وآراء بعض الباحثين 118
الفصل السادس 112
الفينيقيون في أساس حضارة اليونان
6-1- مدينة طيبا في بلاد اليونان ومصير سلالة قدموس 123
6-2- الإعجاب الذي تحول إلى كراهية.....136
6-3- معلومات إضافية عن طيبا.....154
الفصل السابع.....143
المباريات الأولمبية بين الأسطورة والتاريخ
7-1- الأصول الأسطورية للألعاب الأولمبية وارتباطها بالإله زيوس والبطل هيراكلس .157
7-2- مؤسسو الألعاب الأولمبية الأسطوريون.....159
7-3- أساطير إضافية.....161
7-4- ما ذكره الباحثون القدماء والمعاصرون عن التأويل التاريخي للأساطير أعلاه، ومحاولة التوفيق فيما بينها 163
7-5- موت الأبطال وتأليه بيلوبس والألعاب الجنائزية.....166
7-6- التقاليد تناقلت الأساطير وتعددت التأويلات عنها 167
7-7- تأصل المباريات الرياضية في عقلية فينيقيي اليونان وملوك الإيليد..... 174
7-8- موقع أولمبي والتاريخ.....177
7-9- مدن أخرى غير أولمبي مارست المباريات الرياضية 181
7-10- الجمال والطيبة والألعاب الأولمبية.....183

7-11- التشكيك في عام (776ق.م) لبداية الألعاب الأولمبية.....191
7-12- ما تبناه الباحث الرياضي الدكتور لبيب بطرس عن أولوية الفينيقيين في نشر الألعاب الأولمبية في اليونان 203
الفصل الثامن.....192
العالم الفينيقي والمعادن كسلعة تجارية
8-1- تقديم العالم الفينيقي من قبل شاعر قديم وشاعر معاصر 211
8-2- المواد والسلع المفضلة في العالم القديم.....218
8-3- الفينيقي يتاجر بكل ما يمكن بيعه 231
الفصل التاسع.....233
عمريت: معبدها وَ ملعبها
9-1- رحلة تاريخية تفتيشاً عن عمريت 233
9-2- عودة لعمريت: المعبد الأقدم، والمدينة المرافقة.....254
9-3- عمريت الحقبة الهلنستية 266
9-4- ملعب عمريت، وملعب أولمبي.....270
الفصل العاشر 279
خلاصة عامة